
نزهة النظر
في
خطب المنبر



اسم الكتاب: نزهة النظر في خطب المنبر- الجزء الأول

تأليف فضيلة الشيخ: أبي الفداء أحمد بن حسن بن قايد النهاري الريمي

رقم الإيداع: ٢٠١٨/٩٨٧٩.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٥٩٦ .

القياس: ١٧X٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف: الأستاذ / يسري حسن

٢٠١٩



دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفى - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة زمار

جوال : ٧٧٥٣٠٩٩٣٥



الجزء الأول

تأليف فضيلة الشيخ
أحمد بن حسن بن قايد الريمي
عفا الله عنه






بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة شيخنا ووالدنا العلامة / محمد بن عبد اللّه الإمام



الحمد لله وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

أما بعد:

فهذا كتاب **(نزهة النظر في خطب المنبر)** ،لأخينا الفاضل الشيخ أحمد بن حسن –حفظه الله– ، جمع فيه عددًا من الخطب القيمة الصافية ، النقية ، من شوائب البدع والضلالات ، ومن غوائل الأحاديث الضعيفة والموضوعة وغيرها ، ومن شذوذ الأقوال والآراء.

فهذا الكتاب وأمثاله أمان للخطيب من الضلال ، وعون له على مواصلة الدعوة إلى خير الأعمال ، وبأحسن الكلام والأقوال ، فدونك هذا السفر المبارك وأمثاله ، فاجعله من مواردك ، ومن مصادرك ، وأضفه إلى كتبك.

واللّه أسأل أن ينفع به في الدنيا والآخرة.

كتبه

أبو نصر

محمد بن عبد اللّه الإمام

١٤٢٨/٢/٢٣هـ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة والدنا العلامة / عبد الله بن محمد عثمان الذماري



الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه ورسوله وخليله محمد الأمين ﷺ ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد:

فقد اطلعت على بعض ما كتبه أخونا الشيخ أحمد بن حسن الريمي -حفظه الله- من الخطب والمواعظ فوجدتها جيدة مباركة وجديرة بالنشر وقد اعتمد مؤلفها -حفظه الله- على الأدلة من كتاب الله ، ومن السُّنَّة الصحيحة ، وبعض أقوال أهل العلم وقد بذل فيها جهدًا يشكر عليه ، وقد سلك فيها مسلك التوسط بعيدًا عن الطول الممل والاختصار المخل، بعيدًا عن الإنشاء الكلامي المجرد عن الأدلة.

والخطب والمواعظ إذا كانت من الكتاب والسُّنَّة كان تأثيرها على النفوس أبلغ وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (يونس :٥٧- ٥٨).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾(الزمر :٢٣).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ (الأحقاف: ٢٩-٣٢).

وجاء في الصحيحين [١] عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ (الطور: ٢٩ -٣٢). كاد قلب يطير.

وكان جبير بن مطعم مشركًا قدم المدينة بعد وقعة بدر في فداء بعض الأسارى فكان سماعه للقرآن سببًا من أسباب دخوله في الإسلام، فالقرآن له تأثير على القلوب فهو نور يضيئ به الله قلوب من يشاء من عباده، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام: ١٢٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

فكم من رجل وكم من امرأة هداهم الله عند سماع القرآن والمواعظ

---

(١) البخاري برقم (٤٥٧٣). ومسلم برقم (٤٦٣).

فهداهم الله لفعل الواجبات ، وترك المحرمات بل وأصبح بعضهم طالب علم وربما أصبح بعضهم من الخطباء والوعاظ والدعاة إلى الخير ، ولأهمية المواعظ فقد كان النبي ﷺ يتعاهد أصحابه بين الحين والآخر بالمواعظ لعلمه بما في ذلك من نفع للقلوب ولتتأسى به أمته.

ولقد تأسى به أصحابه رضي الله عنهم ، وسار على منهجهم من أهل السُّنَّة والجماعة الذين نزهوا مواعظهم من الأحاديث الموضوعة والضعيفة والقصص التي لم تثبت فنفع الله بهم الأمة ، ونجا الله أهل السُّنَّة من البدع التي حدثت بسبب الأحاديث الضعيفة والموضوعة وبسبب الأهواء التي تشعبت بأهلها.

وأصبح أهل السُّنَّة هم حماة العقيدة وحماة هذا الدين ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين في مؤلفاتهم ودروسهم وخطبهم ومواعظهم ، فجزاهم الله خير الجزاء.

وهذا الكتاب من الكتب التي ننصح المسلمين بقراءتها في الخطب والمواعظ فجزى الله المؤلف خير الجزاء على ما قام به وعلى حرصه لنصح المسلمين ، والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وأن يوفقنا وإياه وجميع المسلمين إلى ما يحب ويرضى إنه على كل شيء قدير ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

كتبه

أبو منير

عبد الله بن محمد بن علي عثمان الذماري

٢٣ / صفر / ١٤٢٨هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقـدِّمَـةُ الطَّبَعَةُ الثَّانِيَة



الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين وصل الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

أما بعد:

فإن خطبة الجمعة من الوسائل العظيمة في هداية المسلمين وإصلاح الفرد والمجتمع بإذن الله رب العالمين.

أيها الإخوة الخطباء إنه ينبغي الاعتناء بالخطب وإعداد الخطبة إعداد مفيدًا بذكر الأدلة من القرآن والسُّنَّة النبوية وأقوال السلف الصالح ، حتى يحصل الأثر العظيم والنفع العميم ، ولهذا يقول الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جَلَّجَلَالُهُ، وأصول الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره، وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم .

ثم طال العهد وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسومًا

تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سُننًا لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر، وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها، وفات المقصود بها [(١)].

فإذا كانت الخطبة بهذه الصورة المذكورة كان لها التأثير والنفع التام بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : « لا يكفي في الخطبة ذم الدنيا وذكر الموت لأنه لا بد من اسم الخطبة عُرفًا بما يحرك القلوب ..صبحكم مساكم» أهـ [(٢)].

وها أنا أقدم للقراء الكرام عمومًا وللخطباء الفضلاء خصوصًا كتابنا الموسوم بـ (**نزهة النظر في خطب المنبر -الجزء الأول-**) في حلته ونورقه الجميل، بعد أن أعدنا النظر فيه وتصحيح ما وقع فيه من الأخطاء المطبعية في الطبعة الأولى .

وأيضًا قمنا بكتابة بعض الزيادات من الكتاب والسُّنَّة وأقوال سلف الأمة -رحمهم الله تعالى- ، التي قد تجلي بعض الأمور ويحتاجها القارئ الكريم والخطيب اللبيب في هذا الجزء ولله الحمد والمنة، وهذه هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب يسر الله بطباعتها ونشرها.

وأيضًا لا أنسى أن أنبه بأنه قد حولت طباعة كتابنا الخُطب بجميع أجزائه الأول والثاني والثالث للأخ الأستاذ / يسري بن محمد المصري -حفظه الله-، صاحب دار الإيمان للطباعة والنشر، ولا يسمح لأي دار

---

(١) زاد المعاد ج١(٤٠٩)
(٢) مجموع الفتاوى ج٥(٣٥٥) وما بعدها بتصرف



من دور النشر طباعته ، ولا نشره بأي وسيلة كانت ، إلا بإذن سابق من المؤلف .

والله أسأله أن ينفع بهذه الطبعة ، كما نفع بما قبلها ، إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير، وصل الله على نبينا الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا .

وكتبه

أبو الفداء

أحمد بن حسن النهاري الريمي

اليمن - ذمار

بتاريخ / ٢٨ / ربيع أول / لعام / ١٤٣٩هـ.



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَـدِّمَـةُ الطَّبَعَةُ الأولَى

الحمد لله الذي هدانا للدين المبين ، وأنار لنا الصراط المستقيم ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين .

أما بعد:

فلا يخفى على العقلاء ما للوعظ والخطابة من الأثر البالغ في هداية المسلمين وإصلاح أحوالهم ، وتزكية نفوسهم ، ورقة قلوبهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال :٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد :١٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر :٢٣).

وقال العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وَجِلَتْ منها القلوب وذرفت منها العيون......الحديث)[1].

(١) البخاري برقم (٤٦٠٧). ومسلم برقم (٢٦٧٦).

وقال بعض السلف: نعم المجلس المجلس الذي تنشر فيه الحكمة وترجى فيه الرحمة هي مجالس الذكر.

بـذكـر الله تـرتـاح الـقـلـوب ودنـيـانـا بـذكـراه تطيب

المواعظ سياط تضرب بها القلوب ، فتؤثر في القلوب كتأثير السياط في البدن ، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده ، لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه ، فكلما قوى الضرب كانت مدة بقاء الألم أكثر [(١)].

المواعظ هي والله سبب في هداية الضالين ، وتعليم الجاهلين ، وتذكير الغافلين ، وتوبة التائبين ، منزلة الخطابة والوعظ في شريعتنا الغراء منزلة عظيمة ، ومما يدل على أهمية الوعظ ومنزلته في الشريعة المطهرة ، أن الله عَزَّوَجَلَّ أضافه إلى نفسه الكريمة فقال جلت عظمته: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (النور :١٧).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ (هود :٤٦).

والوعظ هو وضيفة الأنبياء والمرسلين وأتباعهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴾ (الشعراء :١٣٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (سبأ :٤٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ (النساء :٦٣).

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ص (١٨- ١٩).

وقال تعالى عن لقمان الحكيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان :١٣).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن بعض الصالحين: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف :١٦٤).

وسمى الله القرآن موعظة فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس :٥٧).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران :١٤٨).

وهذه المواعظ والخطب تُعَدُّ من أعظم الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ، والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ لابد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل :١٢٥).

أيها المؤمنون: إن الكلمة الصادقة هي التي تثمر الحياة لصاحبها في الحياة الدنيا وبعد الممات بإذن الله تعالى.

بين الجوانح في الأعماق سكناها ... فكيف تنسى ومن في الناس ينساها

الأذن سامعة والعين دامعة ... والروح خاشية والقلب يهواها

وأخيرًا : فهذه مجموعة من الخطب المنبرية ، ولقد ألح عليَّ الكثير ممن سمعها حين ألقيتها في بعض المساجد في أيام الجمعة في مدينة ذمار ، وما جاورها أن أجمعها فتلبية لرغبتهم قمت بجمع بعضها في كتاب وسمته

بـ(**نزهة النظر في خطب المنبر**) وبإذن الله ييسر الله كتابة مجموعة أخرى، هذا ولقد حرصت غاية الحرص على جمع الأدلة من القرآن ، وما صح من السُّنَّة ومن أقوال سلف الأمة إلا النادر من الأقوال التي لم يتيسر لنا البحث عنها ، في هذه الخطب المنبرية.

وباختصار: فهذا عمل بشري معرض للخطأِ والزلل ، ولا أدعي الكمال ، بل أشعر وأحس في نفسي أني ما أديت لهذا الموضوع حقه كما ينبغي ، ولكني أقول كما قال الأول :

وإن تجد عيبًا فسد الخللا فجل من لا عيب فيه وعلا

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم،وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

يا رب أنت رجائي وفيك حسنت ظني

يا رب فاغفر ذنوبي وعافني واعف عني

العفو منك إلهي والذنب قد جاء مني

والظن فيك جميل حقق بعفوك ظني

والله تعالى المسئول أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم ، مقربًا إليه وإلى داره جنات النعيم ، وأن ينفع به عباده المؤمنين ، وأن يختم لنا بخير وعافية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

كتبه

أحمد بن حسن النهاري الريمي

٢٤ / ١٠ /١٤٢٧هـ

١ فضائل الإسلام

الخُطبَةُ الأُولَى[1] :

الحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وعلمنا السُّنَّة والقرآن الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق بين يدي الساعة ، بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، فختم به الرسالة ، وهدى به من الضلالة ، وعلم به من الجهالة ، وفتح برسالته أعينًا عُميًا وآذانًا صُمًا وقُلوبًا غُلفًا ، فأشرقت برسالته الأرض بعد ظلماتها ، وتألفت بها القلوب بعد شتاتها ، فأقام الملة العوجاء ، وأوضح بها المحجة البيضاء ، وشرح له صدره ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره ، أرسله على حين فترة من الرسل ، ودروسٍ من الكتب ، حين حُرِّف الكلم وبدلت الشرائع ، فهدى الله به الخلائق ، وأوضح به الطريق ، وأخرج به من الظلمات إلى النور ، وبصر به من العمى ، وأرشد به من الغي ، وجعله قسيم الجنة والنار وفرق ما بين الأبرار والفجار ، وجعل الهدى والفلاح في اتباعه وموافقته ، والضلال والشقاء في معصيته ومخالفته ، فصلوات الله وتسليماته عليه ما تتابع الليل والنهار ، وعلى آله الأطهار وصحابته الأبرار، وسلم تسليمًا كثيرًا >

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران :١٠٢).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء :١).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب الآيات: ٧٠-٧١).

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ، ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أما بعد فيا أيها المؤمنون: حديثنا اليوم معكم بإذن الله تعالى عن فضائل الإسلام.

أيها المؤمنون: اتقوا الله عَزَّوَجَلَّ واحمدوه على ما أنعم به عليكم من دين الإسلام الذي هو أفضل الأديان السماوية ، وتمسكوا به حتى تلقوا ربكم مسلمين.

قال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران :١٠٢).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في تفسير هذه الآية ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، فعياذاً بالله من خلاف ذلك[(١)].

(١) تفسير ابن كثير ج٢ (٣٨٩) (ط دار ابن الجوزي السعودية).

معاشر المؤمنين: الإسلام لغة: الانقياد والإذعان.

وشرعًا: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة ، والبراءة من الشرك وأهله.

والإسلام: هو دين الله رب العالمين الذي ارتضاه لعباده،من الاعتقادات الصحيحة، والأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة،قال جَلَّوَعَلَا عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾(البقرة :١٣١)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ** ﴾ (آل عمران :١٩)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا** ﴾ (المائدة :٣)، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴾ (آل عمران :٨٥). هذا عند انفراد ذكره في القرآن الكريم.

أما عند اقترانه بالإيمان فالمراد به الأعمال الباطنة ، فإذا اجتمعا افترقا، وإن افترقا اجتمعا ، وأركان الإسلام خمسة ، ففي صحيحي البخاري ومسلم[١] من حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ : «**بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**».

وفي صحيح مسلم[٢]،عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديثه المشهور وفيه: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**»، والإسلام هو دين الأنبياء والمرسلين وهو دين الأولين والآخرين لا يقبل الله دينًا غيره ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ**

---

(١) البخاري برقم (٨) ومسلم برقم (١٦) .
(٢) مسلم برقم (٨) .

إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾(الشورى : ١٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٢٠١) ، والأنبياء جميعًا على دين الإسلام ، قال تعالى عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ (يونس : ٧٢) ، وقال موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴾(يونس : ٨٤).

وقال سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾ (النمل : ٣١)، وقال تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ : ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (البقرة :١٢٧ -١٢٨)، وقال تعالى عن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة : ١٣٣).

وقال عن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (يوسف : ١٠١) ، وقال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ ۖ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ٥٢) ، وقال فيمن تقدم من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : ﴿ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ﴾ (المائدة : ٤٤) .

وقال تعالى عن ملكة سبإٍ: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل : ٤٤) ، وقال تعالى عن سحرة فرعون: ﴿ وَمَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴾ (الأعراف : ١٢٦).

وقال تعالى عن بعض أهل الكتاب: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ (القصص : ٥٢ -٥٣).

وقال تعالى عن بدر التمام ومسك الختام محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (غافر: ٦٦).

محمد رسول الله ﷺ الذي أكمل الله به الإسلام، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣).

وصدق من قال :

إذا الإسلام ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يُحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

وقال آخر:

هو الإسلام ما للناس عنه	إذا ابتغوا السلامة من غناء
إذا انصرفت شعوب الأرض عنه	فبشر كل شعب بالشقاء
نظام العدل يمنع كل شرٍّ	وطب الشرع ينزع كل داء

والمسلمون في هذا الزمان كثيرون ، ولكنهم للأسف الشديد قد فرطوا في أحكام الإسلام ، وأصبحوا في جانب كبير وبُعْدٍ عظيم عن التمسك بالإسلام وتعاليمه ، إلا من رحم الله ، فترى الكثير منهم لا يصلون الصلاوات الخمس ، ولا يؤدون الزكاة المفروضة، ولا يبتعدون عن المحرمات من أكل الربا ، وتعاطي الزنا ، وشرب الخمر ، والفحش والخداع والكذب والنفاق وأكل الحرام والغيبة والنميمة ، وشهادة الزور، وموالاة أعداء الإسلام ، وغير ذلك من الذنوب الجسيمة ، والمعاصي العظيمة ، والله المستعان وقد قال بعض السلف: اعلموا أن الإسلام هو السُّنَّة ، والسُّنَّة هي الإسلام ، ولا يقوم أحدها إلا بالآخر.

فنسأل الله العلي العظيم ، أن يميتنا على الإسلام والسُّنَّة ، إنه أرحم الراحمين.



الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون،فضائل الإسلام كثيرة وثمراته عظيمة في الدنيا والآخرة، فمن فضائل الإسلام وثمراته أنه أعظم سبب للحياة الطيبة، والسعادة في الدنيا والآخرة ، قال عز شأنه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(النحل: ٩٧) ، ومن فضائله وثمراته الطيبة أن الله يغفر لصاحبه جميع الذنوب كما قالَ تعَالَىٰ:﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ (الأنفال : ٣٨) .

وفي صحيح مسلم [١] في قصة عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ ، فقلت: ابسط يمينك فلأبايعك، فبسط يمينه، قال: فقبضت يدي، قال: «**ما لك يا عمرو؟**» قال: قلت: أردت أن أشترط، قال: «**تشترط بماذا؟**» قلت: أن يغفر لي، قال: «**أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله؟ وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها؟ وأن الحج يهدم ما كان قبله؟**» .

(١) مسلم برقم (١٢١)

فإذا أسلم العبد وحسن إسلامه لم يؤاخذ بما عمل في حال كفره ، ففي الصحيحين [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال أناس لرسول الله ﷺ : يا رسول الله، أنؤاخذ بما عملنا في الجاهلية؟ قال: «**أما من أحسن منكم في الإسلام، فلا يؤاخذ بها، ومن أساء، أخذ بعمله في الجاهلية والإسلام**»، وفي رواية « **أخذ بالأول والآخر** » .

وعن حكيم بن حزام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالت لرسول الله ﷺ : أرأيت أمورًا كنت أتحنث بها في الجاهلية؟ هل لي فيها من شيء؟ فقال له رسول الله ﷺ : «أسلمت على ما أسلفت من خير» رواه مسلم وغيره [٢] ، والمراد بالتحنث: التعبد.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أحسن أحدكم إسلامه، فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله» رواه البخاري ومسلم . [٣]

وفي البخاري ومسلم أيضًا [٤] عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: أتى النبي ﷺ رجل مقنع بالحديد، فقال: يا رسول الله أقاتل أو أسلم؟ قال: «أسلم، ثم قاتل»، فأسلم، ثم قاتل، فقتل، فقال رسول الله ﷺ : «عمل قليلًا وأجر كثيرًا».

ومن فضائل الإسلام أنه سبب للفلاح والفوز العظيم في الدنيا والآخرة ، ففي صحيح مسلم [٥] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) البخاري برقم (٦٩٢١) مسلم برقم (١٢٠)
(٢) مسلم برقم (١٢٣)
(٣) البخاري برقم (٤٢) ومسلم برقم (١٩٤)
(٤) البخاري برقم (٢٨٠٨) ومسلم برقم (١٩٠)
(٥) مسلم برقم (١٠٥٤)

أن رسول الله ﷺ ، قال: «**قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه**» والخير كله بالتمسك بالإسلام ، ولا خير فيمن لم يكن مسلمًا ، ففي مُسند الإمام أحمد[١] عن كرز بن علقمة الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **أيما أهل بيت من العرب، أو العجم أراد الله بهم خيرًا أدخل عليهم الإسلام**».

الإسلام سبب لانشراح الصدور ، قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ (الأنعام : ١٢٥).

ومن فضائل الإسلام وثمراته ، أن الإسلام يثمر النور لصاحبه في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر : ٢٢). ومعنى قوله ﴿ شَرَحَ ﴾: أي وسع الله صدره للإسلام.

وقد من الله على نبيا محمد ﷺ بأن شرح الله له صدره فقال عز من قائل: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾ (الشرح : ١).

ومن ثمرات الإسلام أنه سبب عظيم ، بل هو السبب الوحيد في دخول الجنة كما ثبت في الصحيحين[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدِّيْن بالرجل الفاجر**».

وكما قال النبي ﷺ في ذلك الرجل الذي جاء يسأل عن الإسلام ، فأخبره بالإسلام فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا أزيد عليهن وأنقص

(١) أحمد برقم (١٥٩١٧) وسنده صحيح ، انظر تحقيق المُسند (٢٥/ ٢٦٠).
(٢) البخاري برقم (٣٠٦٢) ومسلم برقم (١١١).

منهن ، فقال النبي ﷺ: «**لئن صدق ليدخلن الجنة**» ، رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما[١].

ومن ثمرات الإسلام: أنه سبب لإنقاذ العبد من النار: ففي صحيح البخاري[٢] عن أنس رضي الله عنه ، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ ، فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلم**»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم ﷺ ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد لله الذي أنقذه من النار**».

ومن ثمرات الإسلام: أنه يثمر لصاحبه حلاوة الإيمان ، فكلما تمسك العبد بالإسلام أكثر وجد حلاوة الإيمان أعظم ، كما قال عليه الصلاة والسلام: « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار** » رواه البخاري ومسلم[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**» رواه مسلم[٤].

فيا عباد الله ، المسلم له كرامة عند الله ومنزلة رفيعة ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم**» رواه النسائي[٥].

وقال عليه الصلاة والسلام « لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا في

---

(١) البخاري برقم (٦٣) ومسلم برقم (١٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) البخاري برقم (١٣٥٦)
(٣) البخاري برقم (١٦) ومسلم برقم (٤٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٤) مسلم برقم (٣٤) عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.
(٥) صحيح النسائي برقم (٣٩٨٧). صحيح الجامع برقم (٥٠٧٧).

دم مؤمن لأكبهم الله في النار» رواه الترمذي [١]

هذا هو الإسلام وهذه بعض فضائله وثمراته الجلية.

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

نسأل الله أن يحفظ لنا ديننا، وأن يتوفانا مسلمين إنه على كل شيء قدير.



(١) صحيح الترمذي برقم (١٣٩٨) صحيح الجامع برقم (٥٢٤٧).عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.



٢ فضائل الإيمان

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ، وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا معكم بمشيئة الله -عز وجل- في هذا اليوم العظيم عن الإيمان.

عباد الله: لقد أمرنا ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بالإيمان، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامِنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء : ١٣٦).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٨).

ومدح الله عَزَّوَجَلَّ المؤمنين بإيمانهم فقال عز شأنه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ (البقرة : ٢٨٥).

ومدح الله المؤمنين الذين توسلوا إليه بالإيمان ، فقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴾ (آل عمران : ١٩٣).

والمراد بالإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة ، قولٌ باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

والإيمان يأتي بمعنى التوحيد ، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة : ٥).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴾ (غافر : ١٠).

ويطلق الإيمان بمعنى الصلاة لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٤٣).

أي : صلاتكم إلى بيت المقدس.

ويطلق الإيمان بمعنى الدعاء ، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(يونس:٩٨) وقال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾(الصافات: ١٤٧-١٤٨)[1].

وأركان الإيمان ستة وهي: أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ، والدليل على هذه الأركان الستة قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (البقرة : ١٧٧)، وأما دليل القدر فقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ (القمر : ٤٩).

زيادة الإيمان ونقصانه:

إخوة الإيمان، ولقد أجمع العلماء على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ :أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[2].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

وقد وردت نصوص كثيرة على زيادة الإيمان ونقصانه ، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

---

(١) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص(١٤٤).
(٢) التمهيد لابن عبد البر ج٩(٢٣٨).

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال : ٢) ، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٢٢).وقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح : ٤).

وفي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

وفي صحيح مسلم [(٢)] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**» رواه أبو داود [(٣)]

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ :«**من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله فقد استكمل الإيمان**» رواه أبو داود [(٤)]

وعن معاذ بن أنس الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه**»[(٥)]

---

(١) البخاري برقم (٩) ومسلم برقم (٣٥).
(٢) مسلم برقم (٤٩).
(٣) أبو داود برقم (٤٦٨٢) وسنده حسن.
(٤) أبو داود برقم (٤٦٨١).وصححه العلامة الألباني.
(٥) الترمذي برقم (٢٥٢١) وأحمد برقم (١٥٦٣٨) وحسنه العلامة الألباني

أيها المؤمنون : الإيمان له حلاوة وذوق ، يعلو على كل مذاق ، وطعم يفوق كل مطعوم ، يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾ (البقرة : ١٦٥).

وقال تبارك وتعال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات : ٧) ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ (التوبة : ٢٤).

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار**» [١].

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين**» متفق عليه [٢].

وفي صحيح البخاري [٣] عن عبد الله بن هشام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي، فقال ﷺ : «**لا، والذي نفسي بيده، حتى أكون أحب إليك من نفسك**» فقال له عمر: فإنه الآن، والله،

(١) البخاري برقم (١٦) ومسلم (٤٣) .
(٢) البخاري برقم (١٥) ومسلم (٤٤) .
(٣) البخاري برقم (٦٦٣٢).

لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ : «**الآن يا عمر**» .

وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا**» رواه مسلم[١].

ويذكر عن بلال بن رباح رضي الله عنه أنه قبل له: كيف تحملت أذى قريش وتعذيبهم ، فلقد كانوا يضعون الحجارة والصخور على صدرك؟! فقال: مزجت مرارة العذاب بحلاوة الإيمان فطغت حلاوة الإيمان على مرارة العذاب.

ولا شك أن أهل الإيمان يتفاوتون في الإيمان ، ويتفاضلون فيه ، فمنهم من يكون قوي الإيمان ، ومنهم من يكون ضعيفًا ، ولذلك يقول النبي ﷺ : «**المؤمن القوي، خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير** » رواه مسلم[٢].

وعند النسائي[٣] عن عمرو بن شُرَحْبِيْلَ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ملئ عمار إيمانًا إلى مُشاشه**» أي: إلى رءوس عظامه.

وقال ﷺ : «**لو كان الإيمان عند الثريا، لناله رجال من هؤلاء** » متفق عليه[٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **لو كان الدين عند الثريا، لذهب به رجل من فارس – أو قال – من أبناء فارس حتى يتناوله**» [٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا**» رواه أبو داود [٦].

---

(١) مسلم برقم (٣٤) .
(٢) مسلم برقم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) النسائي ج٨(١١١) وسنده صحيح.
(٤) مسلم برقم(٢٦٦٤)البخاري برقم(٤٨٩٧)ومسلم برقم(٢٥٤٦)عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥) مسلم برقم(٢٥٤٦) .
(٦) أبو داود برقم (٤٦٨٢) وحسنه العلامة الألباني .

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « لو وزن إيمان أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بإيمان أهل الأرض لرجح بهم» رواه البيهقي [١].

معاشر الإخوان في الله : هذه هي حقيقة الإيمان عند السلف ، فهو في قلوبهم كالجبال الرواسي ، أما نحن فإلى المشتكى من قلة الإيمان وضعفه، ما وجدنا حلاوته ولا لذته ، ولا كماله إلا من رحم ربي ، لأن المعاصي قد حالت بيننا وبين حلاوته وحالت بيننا وبين طعمه ، فالمعاصي أعظم سبب لضعف الإيمان ونقصانه ، فقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**» .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا إيمان لمن لا أمانة له** »[٣] .

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : « يأتي على الناس زمان يجتمعون ويصلون في المساجد ، وليس فيهم مؤمن ». أي مؤمن كامل الإيمان، أو أنهم قد وقعوا في النفاق- إلا من رحمه الله- ولقد كان السلف يخافون على إيمانهم أشد الخوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ .

فلقد كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول في دعائه: « اللهم لا تنزع مني الإيمان كما أعطيتنيه »[٤] .

وكان عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: اللهم إني أسألك إيمانًا لا

(١) البيهقي في الشعب برقم (٣٥) وسنده صحيح في الشُعب (١/ ١٤٣) للدكتور/ عبد العلي عبد الحميد حامد .
(٢) البخاري برقم (٦٨١٠) ومسلم برقم (٥٧)
(٣) رواه الفريابي في صفة النفاق وذم المنافقين برقم (١٠١)، وصححه الشيخ عبد الرقيب الأبي -رعاه الله- ، الإيمان لابن أبي شيبة برقم (٧) .
(٤) الإيمان لابن أبي شيبة برقم (١٥) بتحقيق الألباني.

يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد[١].

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: «اللهم إني أسألك إيمانًا دائمًا، وعلمًا نافعًا، وهديًا قيمًا»[٢].

فيا أيها المسلمون: احرصوا على اعتناق الإيمان، وسلوا الله الثبات عليه، فهو التجارة الرابحة، وهو أفضل الأعمال وأشرفها، فمن أراد النجاة من المصائب والفتن ومن المعاصي، ومن غضب الله، وأليم عقابه فليحقق الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ (الصف: ١٠ – ١٢).

وفي الصحيحين[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: «**إيمان بالله ورسوله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: «**حج مبرور**».

اللهم إنا نسألك إيمانًا يباشر قلوبنا، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداة مهتدين.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أحمد برقم (٤٢٥٦) الجامع الصحيح لشيخنا الوادعي رحمه الله ج٤(٧٣)
(٢) الإيمان لابن أبي شيبة برقم (١٠٦) بتحقيق الألباني.
(٣) البخاري برقم (٢٦) ومسلم برقم (٨٣).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله العظيم في شأنه ، الدائم في سلطانه ، أحمده سبحانه على جزيل بره وإحسانه ، وأشكره على سوابغ نعمه وامتنانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، إن هداية الله للعبد إلى الإيمان أعظم المنن ، وأكبر النعم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (الحجرات : ١٧).

والإيمان اعتقاد وعمل ، كما ذكر عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلب وصدقته الأعمال.

وللإيمان ثمرات كثيرة ، وخيرات عظيمة عاجلة وآجلة.

وأريد منكم معاشر المؤمنين أن تعيروني القلوب الواعية والأسماع المصغية ، من أجل فهم ثمرات الإيمان فإنها من الأهمية بمكان ، فمنها:

١ - الوعد بالحياة الطيبة ، والجزاء الحسن في الآخرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل : ٩٧).

والحياة الطيبة لأهل الإيمان في الدنيا تشمل الراحة من أي جهة كانت، من الرزق الحلال ، والقناعة والسعادة والعبادة وانشراح الصدر بها.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : بعد ذكره لهذه الأقوال والصحيح أن الحياة

الطيبة تشمل هذا كله . كما جاء في الحديث الذي رواه أحمد ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ ، قال: «قد أفلح من أسلم، ورزق كفافًا، وقنعه الله بما آتاه» مسلم[1].

٢- التمكين والاستخلاف في الأرض قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥).

٣- الولاية من الله للمؤمنين ، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ (البقرة : ٢٥٧) ، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ٦٨).

٤- الدفاع عنهم: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (الحج : ٣٨).

٥- النصر لهم: قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم : ٤٨).

٦-٧ العزة والعلو: قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقون : ٨) ، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩).

٨- محبة الناس لهم في الأرض ، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

(١) مسلم برقم (١٠٥٤)

وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ (مريم : ٩٦).

٩- الهداية والتوفيق لهم لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (الحج : ٥٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ ﴾ (يونس : ٩- ١٠).

١٠- عدم تسليط الكافرين عليهم: قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ (النساء : ١٤١).

١١- حصول الأمن لهم لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٢).

١٢- حفظ أعمالهم الصالحة من الضياع والشتات لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا ﴾ (الكهف : ٣٠).

١٣- زيادة الله لهم من العلم والفهم، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٤).

١٤- نجاة الله لهم، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس : ١٠٣).

١٥- عدم الخوف والحزن يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ (المائدة : ٦٩).

١٦- التثبيت لهم في الحياة الدنيا وبعد المات في قبورهم ، لقوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم : ٢٧).

١٧- أن أهل الإيمان هم خير الخليقة ، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ (البينة : ٧).

١٨- البركة لهم في الرزق ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٩).

١٩- السلامة من الشيطان ومكائده لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَـٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (النحل : ٩٩).

٢٠- تكفير السيئات لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(العنكبوت : ٧).

٢١- دخول الجنة قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّـٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الكهف : ١٠٧- ١٠٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾(طه : ٧٥-٧٦).

عباد الله: لما ضعف إيماننا بالله عَزَّوَجَلَّ سلط الله علينا الأعداء ، لكن سلفنا الصالح لما حققوا الإيمان أعزهم الله حتى قال عمر بن الخطاب للصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ : لستم تنصرون بكثرة ، وإنما تنصرون من السماء.

وقال أيضًا: ... ولو ذلك لم تكن لنا بهم قوة، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة.

أخي المؤمن: هل رأيت- رحمك الله - زيًّا ومنظرًا أحسن من سمت الصالحين.

وهل رأيت - وفقك الله - تعبًا ونصبًا وألذّ من نعاس المتهجدين.

وهل شاهدت -حفظك الله- ماءً صافيًا أرق وأصفى من دموع النادمين على تقصيرهم والمتأسفين.

وهل رأيت جنة في الدنيا أمتع وأطيب من جنة المؤمن، وهو في محراب المتعبدين، إنه ظمأ الهواجر ومجافاة المضاجع فيا لذة عيش المستأنسين، هذه حلاوتهم في التعبد[١].

عباد الله:

لزيادة الإيمان أسباب ولنقصانه،أسباب أما أسباب زيادته فهي:

أولًا: معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته.

ثانيًا: النظر في آيات الله الكونية والشرعية.

ثالثًا: كثرة الطاعات وإحسانها.

رابعًا: ترك المعصية تقربًا إلى الله.

أما أسباب نقصانه فهي:

أولًا: الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

(١) توجيهات وذكرى - للدكتور صالح بن حميد - ج٣(١١).

ثانيًا: الإعراض عن النظر في آيات الله الكونية والشرعية، فإن هذا يوجب الغفلة وقسوة القلب.

ثالثًا: قلة العمل الصالح.

رابعًا: فعل المعاصي،قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين: ١٤)[١].

اللهم إنا نسألك عيشة هنية، وميتة سوية، ومردًا غير مخزٍ ولا فاضح.

اللهم حقق إيماننا، وارفع درجاتنا، اللهم إنا نسألك العُلا من الجنة، وأحسن اللهم عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة يا رب العالمين.



(١) شرح الواسطية للشيخ ابن العثيمين ج٢(٢٣٤-٢٣٥).



٣ النجاة وأسبابها

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: حديثنا معكم بإذن الله في هذا اليوم العظيم عن (**النجاة وأسبابها**) ، ونظرًا لأن الحديث عن هذا الموضوع مهم فسوف أركز الحديث في العناصر التالية:

أولًا: تعريف النجاة.

ثانيًا: معاني النجاة.

ثالثًا: فضل النجاة.

رابعًا: نجاة الله لرسله.

خامسًا: نجاته لأهل الإيمان.

سادسًا: أسباب النجاة.

فأعيروني القلوب والأسماع ، فإن هذا الموضوع من الأهمية بمكان ، لأن كل واحد منا يريد النجاة في الدنيا والآخرة ، ولكن لابد بعد توفيق الله تعالى من بذل الأسباب الموصلة إلى النجاة.

تعريف النجاة:

عباد الله: النجاة هي الخلاص والسلامة من الشر [١] .

ويسمى كل فائز ناجيًا .

والناجي: من خرج من ضيق إلى سعة.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والنجاة من الشيء التخلص منه [٢].

معاني النجاة:

أولًا: الخلاص من الأضرار ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (البقرة : ٤٩).

(١) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص(٥٨٢).
(٢) فتح الباري ج١٣(٨٥).

الثاني: السلامة من الهلاك ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس : ١٠٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (الشعراء : ٦٥).

الثالث: الارتفاع،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (يونس: ٩٢)، أي نرفعك على أعلى البحر.

الرابع: التوحيد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (غافر : ٤١)[1].

فضل النجاة :

والنجاة من الله عَزَّوَجَلَّ للعبد نعمة عظيمة غفل عنها الكثير من المسلمين، فالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي ينجي العبد من المصائب والشدائد ، الْمُدْ لَهِمَّةِ وينجيه من الظالمين وأعمالهم وينجيه من الأمراض والبلايا ، فالله نسأله أن ينجينا من عذابه وعقابه في الدنيا والآخرة.

إخوة الإيمان : يقول تعالى ممتنًا على بني إسرائيل ومذكرًا لهم ، فضل هذه النعمة : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴾ طه : ٨٠] ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٤٩-٥٠]

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مذكرًا لأمة محمد ﷺ : ﴿ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ

(١) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص(٥٨٣).

مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [الأنفال:٢٦] .

وقال تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٩] .

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [المائدة : ١١] .

والنجاة من الله جَلَّوَعَلَا للعبد المؤمن تكون بفضل الله ورحمته لا بعمله، ولهذا ثبت في الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «**لن ينجي أحدا منكم عمله**» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلَّا أن يتغمدني الله برحمة، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا**» .

أما العمل فإنما هو سبب فقط ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الزخرف : ٧٢] .

نجاة الله لرسله عَلَيْهِمُٱلسَّلَامُ **:**

عباد الله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ يونس: ١٠٣] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنبياء:٩] ، هكذا يخبر الله جَلَّجَلَالُهُ في هاتين الآيتين عن نجاته لرسله وعباده المؤمنين ينجيهم عند نزول المصائب والشدائد ، وقد أوجب الرب الكريم هذا الحق على نفسه

(١) البخاري برقم (٦٤٦٣) ومسلم برقم (٢٨١٦)

تفضلًا منه وإحسانًا ، قال عز شأنه : ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣] ،ولقد قص الله لنا في كتابه الكريم عن نجاة كثير من أنبيائه ورسله، وعباده المؤمنين وما ذا جرى للمكذبين من العواقب السيئة والخذلان لهم بسبب تكذيبهم للرسل والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

١- قال سبحانه عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء: ٧٦- ٧٧]، والمراد بأهله هنا ، الذين آمنوا به كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود : ٤٠] ، وقوله: ﴿مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ أي: من الشدة والتكذيب ، فالله سبحانه نجى نوحًا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ومن معه من المؤمنين وأهلك الكافرين عن بكرة أبيهم ، فلم يُبْقِ منهم على وجه الأرض أحدًا ، كما قال عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَقَالَ نُوحٞ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح : ٢٦-٢٧] .

وقد أمره الله أن يحمده على ما مُنَّ به عليه من النجاة من القوم الظالمين، فقال عز شأنه : ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون : ٢٨]

٢- وهذا إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إمام الموحدين إبراهيم الذي وَفَّى نَجَّاهُ الله من كيد قومه ، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت : ٢٤] .

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : يقول تعالى مخبرًا عن قوم إبراهيم في كفرهم وعنادهم ومكابرتهم ودفعهم الحق بالباطل ، أنَّهُم ما كان لهم جواب بعد مقالة إبراهيم هذه المشتملة على الهدى والبيان ﴿ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ وذلك لأنهم قام عليهم البرهان وتوجهت عليهم الحجة، فعدلوا إلى استعمال جاههم وقوة ملكهم ﴿ قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الصافات: ٩٧- ٩٨] وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة، وحوطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عنان السماء، ولم توقد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق، ثم قذفوه فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا، ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا، فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان [1].

وقوله تعالى : ﴿ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ أي: سلمه منها بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا .

وقال جل شأنه عن قومه: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨- ٧١].

٣- موسى وهارون عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ ، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ

---

(١) تفسير ابن كثير ج٦(٥٤- ٥٥)

هُمُ ٱلْغَـٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الصافات: ١١٤- ١١٦].

وقال تعالى: ﴿ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَـٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّـٰكَ فُتُونًا ﴾ [طه: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٣- ٦٥]. ، ولقد ذكر الله قصتهما بأساليب متنوعة تارة عن طريق الاختصار ، وأخرى عن طريق البسط على حسب ما يليق بالمقام ، وقصتهما في القرآن الكريم مفصلة واضحة قراءتها كافية عن شرح معناها ، كما يقول العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

٤- وهذا هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : قال تعالى عن نجاته ، ونجاة الذين معه: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَـٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [هود :٥٨] ، وقوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ﴾ وهو الريح العقيم فأهلكهم الله عن آخرهم ونجى هودًا وأتباعه من عذاب غليظ برحمته ولطفه(١).

٥- وهذا صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَـٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [هود: ٦٦- ٦٧].

٦- وهذا شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴾ [هود :٩٤].

ومعنى ﴿ جَـٰثِمِينَ ﴾ : أي هامدين لا حراك لهم.

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٤٥٦).

وهؤلاء القوم الفجرة الظلمة ذكر الله عذابهم هنا بالصيحة، وفي سورة الأعراف بالرجفة وفي الشعراء بعذاب يوم الظلة ، وهم أمة واحدة وقد جمع الله لهم يوم عذابهم هذه النقم الثلاث: فلأرض رجفت بهم ، وخمدتهم الصيحة ، وأخذهم عذاب يوم الظلة وقد ذكر هذا المعنى ، ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)] : وأما نبيهم شعيب والذين معه فنجاهم الله من العذاب كله ، كما نجاهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من الشرك الذي كان عند مدين ، وهذا من فضل الله على عباده.

٧- وهذا يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ﴿ **وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾** ﴾ [الأنبياء:٨٧- ٨٨].

وعند الحاكم [(٢)] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها**».

٨- وهذا لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ** ﴾ [الأنبياء:٧٤]. ولقد مَنَّ الله عليه بهذه النعمة العظيمة، فقال تعالى : ﴿ **إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾** ﴾ [القمر :٣٤-٣٥].

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٤٧١) .

(٢) الحاكم ج١(٥٠٥) وغيره ، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيح الجامع برقم (٣٨٣٣).

٩- وهذا محمد رسول الله ﷺ نجاه الله من القوم الكافرين الذين أرادوا قتله ، قال عز شأنه: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال:٣٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:٤٠].

فقد جاء في الصحيحين [١] عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: حدثني أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

أيها المؤمنون : إن العاقبة الحسنة والعاقبة الحميدة والنجاة في الدنيا والآخرة ليست والله إلا للرسل وأتباعهم الصادقين في الاتباع ، فالواجب علينا إن أردنا أن يدفع الله عنا المكاره والشرور والشدائد أن نحقق الإيمان الصادق ، وحسن الاتباع للرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فإذا حققنا هذا الشيء كان الدفاع من الله عنا على حسب ما حققنا من الإيمان وصدق الاتباع.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يجعل لنا من كل هَهمٍّ فرجًا ، ومن كل ضيق مخرجًا ومن كل بلاء عافية ، والله المستعان.



(١) البخاري برقم (٤٦٦٣) ومسلم برقم «٢٣٨١)

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وآله الأكرمين ورضي الله عن الصحابة أجمعين .

أما بعد :

فيا أيُّها المسلمون : لقد سمعتم إلى نجاة الله للأنبياء والمرسلين.

وأمَّا نجاته لعباده المؤمنين ، فهذه بعض الآيات العظيمة التي يخبر الله فيها عن نجاته لهم، قال : جلت عظمته في كتابه الكريم: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيۡنَا نُنجِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يونس: ١٠٣].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٣]

وقال تعالى ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [التحريم: ١١] ، هذه آسية بنت مزاحم امرأة فرعون.

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فوصفها الله بالإيمان والتضرع لربها، وسؤالها لربها أجل المطالب، وهو دخول الجنة، ومجاورة الرب الكريم، وسؤالها أن ينجيها الله من فتنة فرعون وأعماله الخبيثة، ومن فتنة كل ظالم، فاستجاب الله لها، فعاشت في إيمان كامل، وثبات تام، ونجاة من الفتن، ولهذا قال النبي ﷺ : « **كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء، إلا مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفضل**

عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام » أهـ[(١)]. والحديث رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أيها المؤمنون : ونجاة الله عَزَّوَجَلَّ للمؤمنين في الدنيا والآخرة ، وأعظم نجاة لهم في الآخرة حين ينجيهم الله من ناره ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ ﴾ [مريم: ٧١-٧٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر: ٦٠-٦١] ، فهنيئًا ثم هنيئًا إخوة الإيمان لمن كان من المتقين فالتقوى هي العدة عند كل هول وشدة ، فالمتقون لا يمسهم السوء: أي العذاب و لا يحزنون ، فما أعظم أمنهم اللهم اجعلنا منهم يا أرحم الراحمين.

أسباب النجاة :

معاشر المسلمين : للنجاة أسباب كثيرة ، ولا بد من معرفتها لأن معرفتها يصل العبد بإذن الله عَزَّوَجَلَّ إلى بر الأمان .

قال الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبسِ

قال الإمام الأوزاعي رَحِمَهُ اللَّهُ : ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا.

فالسبب الأول: الإيمان بالله عَزَّوَجَلَّ شرط أساسي للنجاة من عذاب الله

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٥(٢٦٤- ٢٦٥)

في الدنيا والآخرة ، وكل الأدلة السابقة تدل على هذا السبب.

السبب الثاني: التوحيد: قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ فالتوحيد مفزع أعدائه وأوليائه ، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] ، وأما أولياؤه فينجيهم من كربات الدنيا والآخرة وشدائدهما ، ولذلك فزع يونس فَنَجَّاهُ الله من تلك الظلمات ، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة ، ولما فزع فرعون عند معاينة الهلاك ، وإدراك الغرق لم ينفع ، لأن الإيمان عند المعاينة لا ينفع .

وقال أيضًا: فما رفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد[1] .

وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، عن مؤمن آل فرعون :﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [غافر:٤١-٤٢].

السبب الثالث: الصدق: لحديث كعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديث توبته ، وفيه فقلت يارسول الله إن الله تعالى إنما أنجاني بالصدق [2] .

السبب الرابع: تحقيق التقوى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [النمل: ٥٣] ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[الزمر: ٦١].وغير ذلك من الأدلة.

السبب الخامس: ذكر الله عَزَّوَجَلَّ ، ففي مُسند أحمد [3] عن معاذ بن جبل

---

(١) فوائد الفوائد ص(٤٤-٤٥)

(٢) البخاري برقم (٤٤١٨) ومسلم برقم (٢٧٦٩)

(٣) مُسند أحمد برقم(٢٢٠٧٩)،وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم(٤٤٦٥).

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما عمل آدمي عملًا قط أنجى له من عذاب الله من ذكر الله**» ، فذكر الله فيه النجاة من القلق والوحشة وعذاب الله.

السبب السادس: الدعاء قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥]، وقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾[يونس : ٨٤-٨٦] ، وقال لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[الشعراء : ١٦٩-١٧٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: « **دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت لا إله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين، إنه لم يدع بها مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له بها**» (١).

وحديث الثلاثة النفر حيث دعا كل واحد منهم ففرج الله عنهم بدعائهم فخرجوا يمشون كما في الصحيحين(٢).

السبب السابع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[الأعراف:١٦٥]،والأدلة على هذا السبب كثيرة.

السبب الثامن:اتباع منهج أهل السُّنَّة والجماعة لحديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال سول الله ﷺ «**لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله،**

---

(١) مستدرك الحاكم ج١(٥٠٥) وغيره،وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٣٣).

(٢) البخاري برقم (٤٥٧) ومسلم برقم (٢٧٤٣) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[١].

وهذه الطائفة هي الطائفة الناجية ، فإنها تنجو من الشرور والبدع والضلالات في الدنيا وتنجو في الآخرة من النار.

السبب التاسع: حفظ اللسان ، فقد ثبت عند الترمذي في سُننه [٢] عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال: «**أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**».

السبب العاشر: خشية الله في السر والعلانية.

السبب الحادي عشر: القصد في الفقر والغنى.

السبب الثاني عشر: العدل في الغضب والرضا: لحديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فقال: ثلاث مهلكات: شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . وثلاث منجيات: خشية الله في السر والعلانية، والقصد في الفقر والغنى ، والعدل في الغضب والرضا** » [٣].

السبب الثالث عشر: اعتزال الفتن : والأحاديث معلومة في هذا السبب وكثيرة ، وذلك أن من اعتزل الفتن نجاه الله ، ووقاه الله من الشرور والمكاره ، لذلك قال عيله الصلاة والسلام لعقبة بن عامر « **أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك....** ». الحديث .

---

(١) البخاري برقم (٥٩٧٤) ومسلم برقم (١٩٢١)
(٢) الترمذي برقم (٢٤٠٦). ،والصحيحة للعلامة الألباني برقم (٨٨٨).
(٣) البزار برقم (٨١) والعقيلي ج٣(٤٤٧) وأبو نعيم ج٢(٣٤٣) والقضاعي برقم (٣٢٥) وهو حسن بطرقه . ينظر الصحيحة برقم (١٨٠٢) .

السبب الرابع عشر: الاعتصام بالسُّنَّة ، قال الإمام الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الاعتصام بالسُّنَّة نجاة[(١)].

من كان يرغب في النجاة فما له	غـير اتـبـاع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغـيره	سبل الضلالة والغواية والـردى
فاتبع كتاب الله والسُّنن التي	صحت فذاك إن اتبعت هو الهدى
ودع الـسـؤال بلم وكيف فإنه	باب يجر ذوي البصيرة للعمى
الدين ما قال الرسول وصحبه	والتابعون ومن مناهجهم قفا [(٢)]

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : السُّنَّة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك.

السبب الخامس عشر: الشكر قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾ نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ﴾[القمر :٣٤-٣٥].

أيها المسلمون: وفي الختام صلوا وسلموا على نبيكم نبي الرحمة والهدى، فقد أمر كم ربكم جَلَّ وَعَلَا بالصلاة والسلام عليه فقال سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد ، وعلى أزواجه وذريته، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلِّم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) سير أعلام النبلاء ج١٨(٣٤٣) .
(٢) سير أعلام النبلاء ج٢٣(٣١٤).

٤ خطر الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1] :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : أوصيكم ونفسي بتقوى الله عَزَّوَجَلَّ ، فبها النجاة غدًا والمناجاة أبدًا. معاشر المسلمين ، حديثنا معكم في هذه الجمعة المباركة عن **(خطر الشرك بالله** عَزَّوَجَلَّ) .

عباد الله : الشرك هو: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك تحبه كما تحب الله، وتخافه كما تخاف الله وهذا هو الشرك ، هو شرك التسوية بين الخالق والمخلوق ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء : ٩٧-٩٨].

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فأكبر الكبائر الشرك بالله ، وهو نوعان:

أحدهما: أن يجعل لله نِدًا ويعبد غيره من حجر أو شجر أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عَزَّوَجَلَّ ...ألخ.

وهذا القسم مخرج من الملة ، وهو على أربعة أقسام:

١- شرك الدعوة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٥] ،

٢- شرك النية والإرادة والقصد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود:١٥-١٦].

٣-شرك الطاعة : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[التوبة: ٣١].

والمراد بشرك الطاعة طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله، كتحليل الحرام وتحريم الحلال.

والمراد بالأحبار: علماء اليهود ، والمراد بالرهبان العباد.

٤- شرك المحبة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والشرك فاحذره فشرك ظاهر ... ذا القسم ليس يقابل الغفران

وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان ... من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ... ويحبه كمحبة الديان(١)

والشرك في هذا القسم يكون في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

أما الربوبية مثل أن يعتقد أن هناك مدبرًا مع الله يدبر أمر الكون.

ومثل اتخاذ الأحبار والرهبان أربابًا من دون الله.

ومثل اتخاذ المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: قال الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣١].

وأما الشرك في الألوهية فمثل صرف الدعاء لغير الله عَزَّوَجَلَّ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ

(١) شرح النونية ج٢(١٤٢) للهراس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾[مريم : ٨١ -٨٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[يونس:١٠٦]، وغيرها من الآيات الكثيرة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ.

وأما الشرك في باب الأسماء والصفات فمثل أن يتسمى رجل باسم من أسماء الله عَزَّوَجَلَّ التي اختص الله بها نفسه مثل الرحمن وغير ذلك.

ومثل اشتقاق أسماء للأصنام من أسماء الله مثل اللات من الإله ، والعزى من العزيز ومناة من المنان ، وهذا من الإلحاد في أسماء الله المذكور في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨٠].

أيها المؤمنون : إن الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ ذنب عظيم ، فهو أكبر الكبائر وأظلم الظلم.

الشرك بالله أعظم الشرور وأشد الموبقات.

الشرك بالله ضلال بعيد.

الشرك بالله افتراء على الله عَزَّوَجَلَّ.

الشرك بالله سبب للهزيمة والضعف ، وعدم النصر على الأعداء.

الشرك بالله جَلَّوَعَلَا مانع من موانع المغفرة.

الشرك بالله مُحبط للأعمال وسبب في دخول النار وبئس القرار.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن

يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ٤٨].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [الحج : ٣١].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥١].

وهذا لقمان يقول في وصيته لابنه ، وهو يحذره أشد الحذر من الشرك بالله : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، وقال تعالى مخاطبًا صفوة رسله من خلقه: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام : ٨٨] ، وقال مخاطبًا أفضل البشر على وجه الأرض: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[الزمر : ٦٥- ٦٦].

وروى مسلم في صحيحه [١] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتى النبي ﷺ رجل فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**» .

وفي صحيح البخاري[٢] عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يشرك بالله شيئًا دخل النار» وقلت أنا: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**» .

وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: « **أتاني جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) مسلم برقم (٩٣) .
(٢) البخاري برقم (١٢٣٨).

فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق »[١] .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» **قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال:** «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**»[٢].

وفي الصحيحين [٣] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟**» ثلاثاً «**الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور - أو قول الزور -**» وكان رسول الله متكئاً، فجلس فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت.

ولقد حذر السلف الصالح غاية التحذير،من الشرك كله صغيره وكبيره.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : ترك العمل لأجل الناس رياء والعمل لأجل الناس شرك والإخلاص أن يعافيك الله منهما[٤] .

وعن ابن طاووس أن رجلًا كان يسير مع طاووس، فسمع غرابًا ينعب، (أي: يصيح) فقال: خير. فقال طاووس: أي خير عند هذا أو شر؟ لا تصحبني، أو قال: لا تمش معي[٥].

---

(١) مسلم برقم (٩٤) .
(٢) البخاري برقم (٢٧٦٦) ومسلم برقم (٨٩).
(٣) البخاري برقم (٥٩٧٦) ومسلم برقم (٨٧).
(٤) الكبائر للذهبي شرح ابن العثيمين ص(١٤).
(٥) سير أعلام النبلاء ج٥(٤٠).

وقال فضالة بن عبيد -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- يقول: من ردته الطيرة فقد قارف الشرك[١].

وهذا عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي كان اسمه عبد شمس فلما هاجر إلى المدينة سماه النبي ﷺ عبد الله[٢].

وقال ابن بطال رَحِمَهُٱللَّهُ: لا أثم أعظم من الشرك.

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: [٣] الشرك بالله أبغض إلى الله من جميع المعاصي.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُٱللَّهُ: إن العامي من الموحدين يغلب الألف من علماء المشركين كما قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧٣]، فجند الله هم الغالبون بالحجة والبيان، كما أنهم هم الغالبون بالسيف والسنان .اهـ.

مثاله ما ذكره أئمة الدعوة: أن رجلًا من عوام الموحدين كان في المدينة في المسجد النبوي فقال له أحد العلماء لما عرف أنه من هذه الجهة- هذا في الزمان الأول- : أنتم تقولون: لا يطلب الموتى ؟ هؤلاء الشهداء أحياء بنص القرآن والله جَلَّوَعَلَا، يقول: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]،هؤلاء أحياء وليسوا بأموات، فلمَ لا نطلب منهم؟ قال له العامي - هذا من الموحدين- لو قال الله أحياء عند ربهم يَرْزُقَوْنَ، لطلبنا منهم ولكن قال ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ فهم يرزقون مثل ما نرزق نحن، فنطلب من الرزاق[٤].

(١) سير أعلام النبلاء ج١٦(٥١٧).
(٢) سير أعلام النبلاء ج١٦(٢٥٩).
(٣) فتح الباري ج١٤(١٩٥).
(٤) ذكره الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ في شرحه لكشف الشبهات.

معاشر المؤمنين : لقد أمر الله بعبادته وتوحيده ، وحذر من الشرك كله صغيره وكبيره فقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾[الكهف: ١١٠] ، وقا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال عز شأنه في كتابه المبين: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام : ١٥١].

ولقد خاف الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ على نفسه من الشرك فدعا الله قائلًا: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥ – ٣٦] ، مع أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ هو الذي كسر الأصنام بيده ، ولكنه خشي من الفتنة والمؤمن لا يزكي نفسه ولا يأمن على نفسه.

وهذا العبد الصالح لقمان يخاف على ولده من الشرك فقال له محذرًا ومخوفًا ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، فالمؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ هو الذي يجتنب الشرك كله كما قال الله عن المؤمنين: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٩] ، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن مؤمني الجن: ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ [الجن : ٢] .

ولقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على أن لا يشركوا به شيئًا ، كما جاء في الصحيحين (١) عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه: «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا .... الحديث ».

---

(١) البخاري برقم (١٨) ومسلم برقم (١٧٠٩).

بل كان نبينا ﷺ لا يقبل البيعة من إنسان عليه تميمة ولا يبايعه على الإسلام ، فقد صح في مُسند أحمد [(١)] عن عقبة بن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: « **إن عليه تميمة** » فأدخل يده فقطعها، فبايعه، وقال: « **من علق تميمة فقد أشرك** » .

إخوة الإيمان والإسلام : لقد نَزَّه الله نفسه عن أن يكون له شريك، فقال سبحانه: ﴿ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[المؤمنون:٩٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾[الإسراء: ١١١]، وقال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل:٣]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٠].

وعن الأغر أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة ، وأبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال « **إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، قال يقول الله** عَزَّوَجَلَّ: **صدق عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده ، قال: صدق عبدي ، لا إله إلا أنا وحدي ، وإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ولا شريك لي، وإذا قال: لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، لي الملك، ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي** » .

قال أبو إسحاق: ثم قال الأغر شيئًا لم أفهمه، قال: فقلت لأبي جعفر:

---

(١) أحمد برقم (١٧٤٢٢) والصحيحة للألباني برقم (٤٩٢).

ما قال؟ فقال: «من رزقهن عند موته لم تمسه النار» [١].

تأمل في نبات الأرض وانظر — إلى آثار ما فعل المليك
عيون من لجين ناظرات — بأحداق هي الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شهادات — بأن الله ليس له شريك

ولله در من قال:

ما في الوجود سواك رب يعبد — كلا ولا مولى هناك فيقصد
يامن له عنت الوجوه بأسرها — رهبًا وكل الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الحق الذي — كل القلوب له تُقر وتشهد[٢]

اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه.

اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد، وعلى أزواجه وذريته، وسلِّم تسليمًا مزيدًا.



(١) ابن ماجه برقم (٣٧٩٤) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح المُسند برقم (٤٣٣).

(٢) تنبيه: لا يفهم من هذا القول بوحدة الوجود وإن أراد قائله ذلك فهو كلام باطل.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله المتوحد بصفات العظمة والجلال، المتفرد بالكبرياء والكمال المولي على خلقه النعم السابغة الجزال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبير المتعال وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أفضل الرسل في كل الخصال وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فلقد سمعتم معاشر المسلمين عن الشرك وخطورته وقبحه وفساده.

أما عقوبة المشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، فإن الله حرم عليه الجنة، ومأواه النار خالدًا مخلدًا إن مات على الشرك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٨].

المشرك بالله عَزَّوَجَلَّ رجس ونجس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [التوبة: ١٧].

المشرك بالله عَزَّوَجَلَّ بريء منه ورسوله، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾ [التوبة: ٣].

ولقد توعد الله المشركين بالويل فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴾ [فصلت: ٦].

وأمر الله بقتالهم فقال جلت عظمته: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[التوبة: ٣٦].

ولقد حرم الله النكاح منهم و إنكاحهم ، فقال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ٣].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[الممتحنة: ١٠].

عباد الله: ومن الشرك بالله الشرك الأصغر ، وهو على أنواع فمنه الرياء، والمرد بالرياء إرادة العباد بطاعة الله عَزَّوَجَلَّ ، وهذا القسم هو المذكور، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ [الكهف: ١١٠].

وفي مُسند الإمام أحمد [١] ، عن محمود بن لبيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال

(١) أحمد برقم (٢٣٦٣٠) وصححه العلامة الألباني كما في الصحيحة برقم (٩٥١).

رسول الله ﷺ : «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**»، فسئل عنه فقال: «**الرياء** ».

ومن أنواع الشرك الأصغر تعليق الحروز والتمائم ، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ :« **إن الرقى والتمائم والتولة شرك** ». (١)

والرقى: العزائم ، والتمائم: شيء يعلقونه على الأولاد يتقون به العين.

والتولة: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته.

ومن أنواع الشرك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: التطير ومعناه التشاؤم بأصوات وأسماء ومسار الطيور ، وغيرها وقد قال ﷺ : « **الطيرة شرك** » (٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: « **لا عدوى ولا طيرة** » (٣) .

ومن أنواع الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ : التنجيم لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : « **من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد** » (٤) .

والتنجيم معناه اعتقاد أن النجوم تؤثر في الكون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : هو نسبة الحوادث الأرضية إلى الأحوال الفلكية.

ومن أنواع الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ : الذهاب إلى المشعوذين والعرافين

---

(١) سُنن أبي داود برقم (٣٨٨٣) وصححه العلامة الألباني .
(٢) سُنن أبي داود برقم (٣٩١٠) والترمذي برقم (١٦١٤) وسنده صحيح .عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري برقم (٥٧٥٧) ومسلم برقم (٢٢٢٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٤) سُنن أبي داود برقم (٣٩٠٥) حسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

والكهنة والدجالين وتصديقهم بذلك ، ففي صحيح مسلم [١] عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**من أتى عرافًا فسأله عن شيء لم يقبل له صلاة أربعين ليلة**» .

وفي المُسند [٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد** ﷺ » .

وصور الشرك وأنواعه كثيرة فاحذروا يا أيها المسلمون من صرف أي عبادة لغير الله كدعاء الأموات والجن والشياطين لقضاء الحاجات وتفريج الكربات ، أو يذبح الشخص للجن من أجل شفاء مريضه ، أو النذر للقبور ، أو أن يلبس الإنسان الحلقة والخيط والطلاسم ، فيعتقد في ذلك النفع أو الضر.

أما ترون يا عباد الله إلى ما يفعله كثير من الجهال عند القبور ، من الذبائح والنذور؟! .

أما ترون المشاهد قد بنيت وشيدت عليها القباب،وأرخيت عليها الستور، وطلب أهلها المدد والعون من سكانها ، واتخاذهم وسائط عند الله ؟!

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨].



(١) مسلم برقم (٢٢٣٠).
(٢) أحمد برقم (٩٥٣٦) صححه العلامة الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٥٩٣٩).



٥ وجوب الزكاة

الخُطبَةُ الأُولَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَستَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الأخوة : موضوع حديثنا في هذه الجمعة المباركة بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ في وجوب الزكاة وأهميتها.

أيها المؤمنون عباد الله ، الزكاة لغة : النماء والزيادة ، يقال زكا الزرع

إذا نما وزاد.

وشرعًا: التعبد لله بإخراج جزء واجب شرعًا في مال معين لطائفة معينة، أو جهة مخصوصة.

أما حكمها في الوجوب فهي الركن الثالث من أركان الإسلام، ومبانيه العظام وهي قرينة الصلاة، فقد قرنها الله بالصلاة في القرآن الكريم في كثير من الآيات: قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة: ٥].

وقد أجمع المسلمون على فرضيتها إجماعًا قطعيًا، فمن أنكر وجوبها مع علمه بوجوبها، فهو كافر خارج من الإسلام، ومن بخل بها، أو انقص منها شيئًا، فهو من الظالمين المتعرضين للعقوبة والنكال.

وقد دلت أدلة كثيرة من الكتاب العزيز والسُّنَّة المطهرة على وجوبها، وركنيتها وفضيلتها قال تعالى: ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [النمل: ١-٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[التوبة: ٤١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[التوبة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

وأما ما ورد في وجوب الزكاة من سُنَّة النبي ﷺ فمن ذلك:

ما ثبت في الصحيحين [١] عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت**».

وقال أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها» [٢].

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال، حدثني أبو سفيان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فذكر حديثه

(١) البخاري برقم (٨) ومسلم برقم (١٦).
(٢) البخاري برقم (١٤٠٠) ومسلم برقم (٢٠).

مع هرقل عظيم الروم فقال بم يأمركم؟ فقال أبو سفيان: «يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف...»[١] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ ، فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ : «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا»[٢] .

وعن ابن عباس-رضي الله عنهما-أن معاذًا،قال: بعثني رسول الله ﷺ، قال: «**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك، فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٣].

وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»[٤] .

عن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم** »[٥] .

---

(١) البخاري برقم (١) ، ومسلم برقم (١٧٧٣).
(٢) البخاري برقم (١٣٩٧) ومسلم برقم (١٤).
(٣) البخاري برقم (٤٣٤٧) ومسلم برقم (١٩).
(٤) البخاري برقم (١٤٠١) ومسلم برقم (٥٦).
(٥) البخاري برقم (١٣٩٦) ومسلم برقم (١٣).

إخوة الإيمان والإسلام : لقد أخبر الله في كتابه الكريم: أن إعطاء الزكاة سبب في الفوز والفلاح فقال تعالى : ﴿ الٓمٓ ١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ ﴾ [لقمان :١- ٥] .

والذين يؤدون الزكاة الله يكتب لهم الرحمة ويرحمهم برحمته الواسعة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأعراف :١٥٦].

وأخبر الله جَلَّوَعَلَا أنه يضاعف الأجور العظيمة لمن يخرج زكاة ماله ابتغاء مرضاته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾[الروم :٣٩].

وبين ربنا جل شأنه أن من يؤدي زكاة ماله ينجيه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ من النار، فقال تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ١٦ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ١٨ ﴾[الليل:١٤- ١٨].

ولقد وصف الله المؤمنين بصفات كثيرة ، ومن ذلك أداء الزكاة فقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ : ﴿ قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ٤ ﴾[المؤمنون :١- ٤].

ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل، أنهم إن أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة أن يكفر عنهم السيئات ، ويدخلهم الجنات فقال رب الأرض والسماوات: ﴿ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ

وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:١٢].

ولعظم الزكاة وأهميتها : أن الله عَزَّوَجَلَّ فرضها على كل الأمم ، وأوصى كل الأنبياء والرسل بإيتائها، فقال جلت عظمته في كتابه الكريم :﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ [مريم:٣٠- ٣١].

وقال تبارك اسمه وتعالى جده: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ﴾ [مريم:٥٤- ٥٥].

أيها المؤمنون : أبعد هذه الفضائل يتأخر الإنسان عن أداء الزكاة ، أو يجحدها؟! عياذًا بالله من ذلك كله.

ولقد وردت أدلة عظيمة في وعيد مانعي الزكاة ، فلقد جعل الله الويل لمانعي الزكاة ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾[فصلت:٦- ٧].

وكراهية إخراج الزكاة من علامات النفاق قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ [التوبة:٥٤].

وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ

﴿٤٣﴾ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر: ٤٢- ٤٤].

ومانعوا الزكاة من أشد الناس عذابًا يوم القيامة، كما جاء في الصحيح[١] قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سَنَة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار**».

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٤- ٣٥].

الله أكبر ما أشد هذا الوعيد! وكما يقال! من أحب شيئًا وقدمه على طاعة الله عُذِّب به، قال عبد الله، بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «يكوى رجل، يكنز فيمس درهم درهمًا، ولا دينار دينارًا يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته».

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: ما أدي زكاته فليس بكنز ولو كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرًا لا يؤدى زكاته فهو كنز.[٢]

وعن الأحنف بن قيس قال: جلست إلى ملإ من قريش، فجاء رجل

(١) مسلم برقم (٩٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.
(٢) صحيح الترغيب والترهيب للعلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ برقم (٧٤٥).

خشن الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه، يتزلزل.[(١)].

والرضف: هو الحجارة المحماة.

والمراد بالرجل الذي حدثهم هو أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ﴾ هذا عذاب وألم جسدي.

وقوله تعالى: ﴿ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ هذا عذاب نفسي بالتوبيخ والتأنيب فيجمع لهم بين العذابين.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وفي صحيح البخاري [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **من آتاه الله مالًا، فلم يؤد زكاته مثل له ماله يوم القيامة شجاعًا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول أنا مالك أنا كنزك، ثم تلا هذه الآية** : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ﴾».

ومنع الزكاة سبب لمنع القطر من السماء الذي به حياة الناس والبهائم

(١) البخاري برقم (١٤٠٧) ومسلم برقم (٩٩٢).
(٢) البخاري برقم (١٤٠٣).

والأشجار والثمار ، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال أقبل علينا رسول الله ﷺ ، فقال: « **يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين، وشدة المئونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوًا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم** » .(١)

فهنيئًا- أيها الأخوة -: لمن وفقه الله وأدى الزكاة طيبة بها نفسه ، فمن فعل ذلك فليبشر بالخير الكثير والخلف العاجل ، والبركة من الله في ماله ونفسه وأهله وولده، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (سبأ : ٣٩) .

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ٢٦١).

ويروى عن عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال : الصلاة تبلغك نصف الطريق ، والصوم يبلغك باب الملك ، والصدقة تدخلك عليه.

والنبي ﷺ يقول « **ما نقصت صدقة من مال**» (٢).

---

(١) ابن ماجه برقم (٤٠١٩) وهو في الصحيحة للألباني برقم (١٠٦).
(٢) مسلم برقم (٢٥٨٨).

وفي صحيحي البخاري ومسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: « **قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك** » .

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس**» . [٢]

وكان أبو الخير لما يسمع هذا الحديث لا يخطئه يوم إلا تصدق فيه ، ولو بشيء يسير ولو بكعكة أو بصلة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه، وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم.



(١) البخاري برقم (٥٣٥٢) ومسلم برقم (٩٩٣).
(٢) أحمد برقم (١٧٣٣٣) وصححه العلامة الألباني رحمه كما في صحيح الجامع برقم (٤٥١٠) عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على نبينا الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، إن الزكاة لها فوائد عظيمة :

أولًا : أنها أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام.

ثانيًا : أنها تطهير للمال،وتطهير لنفس المزكي من البخل والشح والأخلاق الذميمة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٣].

ثالثًا : أنها تجعل صاحبها من المحسنين ، فإن عطفه على الفقراء وإحسانه للمساكين، من أعظم الإحسان، وقد قال ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[البقرة :١٩٥].

رابعًا : أنها دليل على صدق إيمان المزكي ، ولهذا سميت صدقة ، لأنها تدل على صدق طلب صاحبها لرضى الله عَزَّوَجَلَّ.

خامسًا: إنها تسبب نماء المال ، وحلول البركة فيه كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [سبأ:٣٩].

وقال عليه الصلاة والسلام : قال الله تعالى : « **أنفق يا ابن آدم أنفق**

عليك» .[١]

سادسًا : أن إخراجها ببذل وسخاء نفس سبب ، لانشراح الصدر وطمأنينة النفس ، وهذا شيءٌ محسوس وملموس.

سابعًا : أن الصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء ، كما جاء في الحديث ، إلى غير ذلك من فوائدها.

وتجب الزكاة في أربعة أصناف هي :

١- الخارج من الأرض من الحبوب والثمار: لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [البقرة :٢٦٧].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأنعام :١٤١].

وأعظم حقوق المال الزكاة .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال النبي ﷺ : «فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريًا العشر، وما سقي بالنضح نصف العشر»[٢] .

وقوله:(عثريًا) هو النخل الذي يشرب بعروقه من ماء المطر.

وقوله : (وما سقي بالنضح) أي ببعير أو ثور أو بئر أو نهر .

---

(١) البخاري برقم (٥٣٥٢) ومسلم برقم (٩٩٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) البخاري برقم (١٤٨٣)

ولا تجب الزكاة إلا إذا بلغ النصاب ، وهو خمسة أوسق لما في صحيح مسلم [١] ، عن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «**ليس في حب ولا تمر صدقة، حتى يبلغ خمسة أوسق، ولا فيما دون خمس ذود صدقة، ولا فيما دون خمس أواق** ».

وأما ما يتعلق بالزكاة في الفواكه والخضروات ، فليس فيها زكاة.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ليس في الخضروات صدقة.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « ليس في التفاح و ما أشبهه صدقة، لكن إذا باعها بدراهم فبلغت النصاب وحال عليها الحول على ثمنها، فتجب الزكاة في هذا المال».

٢- بهيمة الأنعام : وهي الأبل والبقر والغنم ضأنها ومعزها ، إذا كانت سائمة وأعدت للدر والنسل ، وبلغت نصابًا ، وأقل النصاب في الإبل خمس ، وفي البقر ثلاثون ، وفي الغنم أربعون.

٣- مما تجب فيه الزكاة الذهب والفضة : ولا تجب الزكاة في الذهب والفضة حتى يبلغ النصاب وهو عشرون دينارًا ، لقول النبي ﷺ « ليس عليك شيء حتى يكون لك عشرون دينارًا » [٢]

ونصاب الذهب خمسة وثمانون غرامًا ، وكذلك الفضة لا تجب فيها الزكاة إلا إذا بلغت النصاب وهو خمس أواق ، لحديث أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: « ليس فيما دون خمس أواق صدقة». [٣]

---

(١) مسلم برقم (٩٧٩)

(٢) أبو داود برقم (١٥٧٣) وصححه العلامة الألباني رحمه الله كما في صحيح أبي داود ، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) البخاري برقم (١٤٥٩) ومسلم برقم (٩٧٩)

والأوقية أربعون درهمًا إسلاميًا ، فيكون نصابها خمسمائة وخمسة وتسعين غرامًا .

٤- مما تجب فيه الزكاة عروض التجارة : وهي كل ما أعد للكسب والتجارة من عقار وحيوان وطعام وشراب وسيارات وغيرها ، من جميع أصناف المال فَيُقَوَّمُهَا كل سَنة ، بما تساوي عند رأس الحول ويخرج ربع العشر قيمتها أي : ريالين ونصفًا في المائة.

معاشر المسلمين : ومما يحسن التنبيه عليه أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون واليتيم ، ويشترط في المال المزكي عنه ، أن يبلغ النصاب سواء أكان من المال من ماشية أو عروض التجارة ، أو ذهب أو فضة أو غير ذلك من الأموال إلا زكاة الزروع ، فإن وقتها حين الحصاد لقوله تعالى: ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [الأنعام :١٤١].

وكذلك يشترط في المال المزكى عنه ، أن يحول عليه الحول لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا زكاة في مال حتى يحول عليه الحول**» .[١]

وأما زكاة الحلي وهو ما يلبس من الذهب والفضة، فهذه مسألة خلافية بين أهل العلم فمنهم من يقول: تجب فيه الزكاة ومنهم من يقول، لا تجب فيه الزكاة والصحيح أنها تجب فيه الزكاة لعموم الأدلة من الكتاب والسُّنَّة، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة:٣٤].

والحلي هو ما يلبس من الذهب والفضة، ولقوله عليه الصلاة والسلام:

---

(١) ابن ماجه برقم (١٧٩٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في صحيح ابن ماجه.

«ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها »[١] .

وهناك أدلة خاصة تدل على وجوب الزكاة في الحلي ، كما في المُسند وغيره [٢] **عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن امرأة أتت رسول الله ﷺ ومعها ابنة لها، وفي يد ابنتها مسكتان غليظتان من ذهب، فقال لها: «أتعطين زكاة هذا؟»، قالت: لا، قال: «**أيسرك أن يسورك الله بهما يوم القيامة سوارين من نار؟**»، قال: فخلعتهما، فألقتهما إلى النبي ﷺ، وقالت: هما لله عَزَّوَجَلَّ ولرسوله.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت: « دخل علي رسول الله ﷺ فرأى في يدي سخابا من ورق، فقال: «**ما هذا يا عائشة؟**» ، فقلت: صنعتهن أتزين لك فيهن يا رسول الله. فقال: «**أتؤدين زكاتهن؟**» فقلت: لا، أو ما شاء الله من ذلك. قال: «**هي حسبك من النار**» . [٣]

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ : « والغالب أن الفتخات لا تبلغ نصابا تجب فيها بمفردها الزكاة وإنما معناه أن تضم إلى سائر ما عندها من الحلي فتؤدي زكاتها منه». [٤]

وقال بوجوب زكاة الحلي من الصحابة عمر بن الخطاب ، وعبد الله ابن مسعود وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وهو قول سعيد بن جبير، وابن المسيب، وعطاء، وابن سيرين ، وجابر ابن زيد ، ومجاهد بن جبر ، والزهري ، وإليه ذهب الثوري رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

---

(١) صحيح مسلم برقم (٩٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أحمد برقم (١٥٦٣) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٣) أبو داود برقم (١٥٦٥) وصححه العلامة الألباني .
(٤) معالم السُنن للخطابي ج٢ص(١٥).

وهي رواية عن الإمام أحمد ، وهو مذهب الحنفية ، وأفتى به المشايخ: ابن باز وابن العثيمين والألباني وغيرهم من أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

هذا و الله نسأله التوفيق والسداد ، والعمل بالكتاب والسُّنَّة ، وأن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين ، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.





٦ حقيقة التقوى

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : اتقوا الله واعلموا أن التقوى من أمهات الفضائل ومرجع الأخلاق الحسنة.

قال بعض السلف ، ما خرج عبد من ذل المعصية إلى عز التقوى إلا

أغناه الله بلا مال ، وأعزه بلا عشيرة ، وآنسه بلا أنيس.

وفي هذه الخطبة يكون الحديث إن شاء الله بعنوان :

حقيقة التقوى :

أيها المؤمنون عباد الله ، لقد أمر الله جَلَّ وَعَلَا بها فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٢).

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ (الأحزاب : ٧٠-٧١).

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾ (الحج : ١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحشر : ١٨)

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (التوبة : ١١٩)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ (النساء : ١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ (لقمان : ٣٣).

التقوى - يا عباد الله - هي وصية الله عَزَّوَجَلَّ لجميع الأمم السابقة من أهل الكتاب، ولهذه الأمة المحمدية، كما قال جلت عظمته في كتابه الكريم: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴾ (النساء : ١٣١).

وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(الأنعام : ١٥٣).

والتقوى: هي وصية الأنبياء لأقوامهم، فكل نبي من الأنبياء عليهم الصلاة وأزكى التسليم يقول لقومه، فاتقوا الله وأطيعون، وهذه أمثلة أضعها بين أيديكم، وعلى مسامعكم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (الشعراء : ١٠٥ – ١٠٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾ (الشعراء : ١٢٣ – ١٣١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (الشعراء : ١٦٠ – ١٦٤).

وقال تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ شُعَيۡبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ ﴾(الشعراء:١٧٦ - ١٧٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الشعراء : ١٠ - ١١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ (الصافات : ١٠ - ١١).

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (الزخرف : ٦٣).

وهي وصية محمد رسول الله ﷺ لأمته فقد أوصاها بالتقوى عمومًا وخصوصًا : فعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال : «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبدًا حبشيًا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسُنتي وسُنَّة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»[(١)] .

والنواجذ : الأنياب ، وقيل الأضراس.

ومعنى وجلت : أي خافت.

و في صحيح مسلم [(٢)] عن بُريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ :

(١) أبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٨) وغيرهما ، وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٢) صحيح مسلم برقم (١٧٣١).

«إذا أمَّر أميرًا على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا » .

وعن أبي ذر ومعاذ بن حبل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالا : قال رسول الله ﷺ : **«اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن»** (١) .

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : **«من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ »** ، فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله، فأخذ بيدي فعد خمسًا وقال: **«اتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب»** (٢) .

وعن أبي أمامة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال: **«اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم»** (٣) .

وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني أريد سفرًا فزودني. قال: **«زودك الله التقوى»**، قال: زدني، قال: **«وغفر ذنبك»** قال: زدني بأبي أنت وأمي، قال: **«ويسر لك الخير حيثما كنت»** (٤) .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : **«أوصيك بتقوى الله، فإنها رأس كل شيء، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام،**

(١) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧) وصححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٠٥) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ ، وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ في الصحيح المُسند.
(٣) صحيح الترمذي برقم (٦١٦).
(٤) صحيح الترمذي برقم (٣٤٤٤) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ .

وعليك بذكر الله، وتلاوة القرآن، فإنه روحك في أهل السماء، وذكرك في أهل الأرض » [١].

والتقوى:هي وصية السلف الصالح بعضهم لبعض رضوان الله أجمعين:

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خطبته : أما بعد ، فإني أُوصيكم بتقوى الله ، وأنْ تُثنوا عليه بما هو أهلُه ، وأنْ تَخلِطُوا الرغبةَ بالرهبة ، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة ، فإنَّ الله – عَزَّوَجَلَّ – أثنى على زكريا وأهل بيته ،فقال ﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(الأنبياء : ٩٠).

وكتب عُمَرُ إلى ابنه عبد الله : أما بعدُ، فإني أُوصيك بتقوى الله– عَزَّوَجَلَّ–، فإنَّه من اتقاه وقاه، ومَنْ أقرضه جزاه، ومَنْ شكره زاده، فاجعل التقوى نصبَ عينيك وجلاء قلبك.

وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني ، فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وكتب رجل من السلف إلى أخ له : أوصيك بتقوى الله ، فإنها أكرم ما أسررت ، وأزين ما أظهرت وأفضل ما ادخرت ، أعاننا الله وإياك عليها ، وأوجب لنا ولك ثوابها .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: ودع ابن عون رجلًا فقال : عليك بتقوى الله ، فإن المتقي ليست عليه وحشة.

وقال الثوري لابن أبي ذئب : إن اتقيت الله كفاك الناس ، وإن اتقيت

---

(١) أحمد برقم (١١٧٧٤) والصحيحة برقم (٥٥٥).

الناس لن يغنوا عنك من الله شيئًا. [١]

وكتب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (أما بعد : فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله تعالى على كل حال، فإن التقوى أقوى العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب)

أقوال العلماء في تعريف التقوى:

أيها المؤمنون، أصل التقوى في اللغة : الصيانة والحذر والحماية والحفظ.

أما التقوى في الشرع: فهي كما عرفها السلف بعدة تعاريف،قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ (آل عمران : ١٠٢) ، أن يُطاع فلا يعصى ، ويُذكر فلا يُنسى ، ويُشكر فلا يكفر [٢].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التقوى:من الاتقاء من الشرك والعمل بالطاعة.

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : من كمال التقوى أن تتقي الله جَلَّ وَعَلَا وحتى تترك كثيرًا من الحلال مخافة أن يكون حرامًا.

وقال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يتقي الله عبد حتى تقاته حتى يخزن لسانه[٣]

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا بعض الحلال [٤].

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأبي بن كعب:ما تقول في التقوى يا أبي؟ ، فقال أبي: أما سلكت طريقًا ذا شوك ؟ قال: بلى ، قال : ماذا عملت؟،

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ج١(٤٠٥) وما بعده.
(٢) إسناده صحيح موقوفًا كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، في التفسير ج١(٣٦٦) وغيره.
(٣) معالم التنزيل للإمام البغوي ج١(٣٣٣).
(٤) جامع العلوم والحكم ج١(٤٠٠) فما بعدها.

قال : شمرت واجتهدت ، قال: كذلك التقوى يا عمر.

وقد أخذ هذا المعنى ابن المعتز فقال :

خلِّ الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقوى

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة إن الجبال من الحصى

وأنشد أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا فقال :

يريد المرء أن يؤتى مناه ويأبى الله إلا ما أردا

يقول المرء فائدتي ومالي وتقوى الله أفضل ما استفادا [١]

وقال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما يحاك في الصدر.

وقال طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ : التقوى ، قال : التقوى عمل بطاعة الله رجاء رحمة الله على نور من الله ، والتقوى ترك معصية الله مخافة الله على نور من الله[٢].

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ : التقوى أن لا يجد الخلق في لسانك عيبًا، ولا الملائكة في أفعالك عيبًا ، ولا ملك العرش في سرك عيبًا [٣].

وقال بعضهم : المتقي من سلك سبيل المصطفى ، وبذل الدنيا وراء القفاء ، وكلف نفسه الإخلاص والوفاء ، واجتنب الحرام والجفاء.[٤]

(١) تفسير ابن كثير ج١(٣٩).
(٢) مصنف ابن أبي شيبة برقم (٣٦٣٠٨) .
(٣) حاشية التسهيل للشيخ مصطفى بن العدوي رعاه الله ج١(١٦٣).
(٤) حاشية التسهيل للشيخ مصطفى بن العدوي ج١(١٦٣).

وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ التقوى بقوله : وأولياء الله المتقون هم الذين فعلوا المأمور وتركوا المحظور وصبروا على المقدور فأحبهم وأحبوه ورضي عنهم ورضوا عنه [١].

وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه [٢].

عباد الله : إذًا فالتقوى جماع كل بر ، ومصدر كل خير ، وأصل كل صلاح للفرد والمجتمع .

التقوى: هي أفضل زاد للآخرة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (البقرة : ١٩٧).

قال عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ يعني : زاد الآخرة.

إذا أنت لم ترحل بزاد من التقى ... ولا قيت يعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله ... وأنك لم ترصد كمن كان أرصدا

التقوى: خير لباس يلبسه العبد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف : ٢٦).

إذا المرء لم يلبس ثيابًا من التقى ... تقلب عريانًا ولو كان كاسيا

وخير لباس المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيا

(١) مجموع الفتاوى ج١١(٢٧١).
(٢) جامع العلوم والحكم ج١(٢٩٨).

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، في قوله تعالى : ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ ، لباس التقوى : العمل الصالح .

وقال بعضهم : في قوله ﴿ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ الحياء.

ولأهمية التقوى وفضلها ، فقد كررها الله في كتابه الكريم ، فإنها تذكر في الآية الواحدة تارة مرة ، وتارة مرتين ، كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحشر : ١٨) .

وتارة تذكر في الآية الواحدة ثلاث مرات ، كقوله تعالى : ﴿ لَيۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٞ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحۡسَنُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (المائدة :٩٣).

وكثيرًا ما تكرر التقوى في القرآن الكريم في السورة الواحدة ، فتأمل معي أخي المسلم مثلًا في سورة الحجرات ، كم كرر الله ذكرها في تلك السورة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾ (الحجرات : ١) : ذكرت في أول آية ثم تمر قليلًا ، فيقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾ ثم تمر الآيات قليلًا فيقول الله ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾ ثم تمر الآيات قليلًا، فيقول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾ ثم تمر الآيات قليلًا فيقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ وهكذا في سور القرآن

في البقرة وغيرها ، كم كرر الله ذكرها وما ذاك إلا لأهميتها وحاجتنا إليها، كما أن التقوى أحيانًا تقترن ببعض الأعمال.

فمثلًا اقترانها بالبر في قوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (المائدة : ٢).

ويقال برَّ واتقى فالمراد بالبر هنا فعل الخيرات ، والمراد بالتقوى ترك المنكرات ، أما إذا أفردت ولم تقترن بالبر فتكون شاملة ، تعم فعل الأوامر، وترك النواهي.

وتارة تضاف التقوى إلى اسم الله عَزَّوَجَلَّ ، وهذا كثير مثل قوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (المائدة : ٩٦) ، وغيرها من الآيات، فيكون المعنى اتقوا سخطه فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهل أن يخشى ويتقى ويعظم ويهاب ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾ (المدثر : ٥٦).

وتارة تضاف التقوى إلى عقاب الله مثل النار ، قال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ (آل عمر : ١٣١).

وتارة تضاف إلى الزمن مثل يوم القيامة كقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٨١)[1].

ولا يكون العبد من المتقين حتى يتقي الشرك والبدع والمعاصي ، ويتخلق بالأخلاق الحميدة ، ويتمسك بالإسلام كله عقيدة ، وعبادة

(١) جامع العلوم والحكم ج١ (٣٩٨).

ومعاملة وسلوكًا حسنًا.

وإن العبد إذا حقق التقوى أعزه الله تعالى .

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أنفع الذخائر التقوى وأضرها العوان [١]

وقال أيضًا: من لم تعزه التقوى فلا عز له [٢]

ولا يزال العبد في خير ، ويتدفق إليه الخير ما اتقى ربه.

قيل لميمون بن مهران : يا أبا أيوب ، لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم ، فقال: أقبل على شانك لا يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم [٣].

قال الله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤ ﴾ (يونس : ٦٢- ٦٤).



(١) سير أعلام النبلاء ج١٠ (٩٨).
(٢) سير أعلام النبلاء ج١٠ (٩٧).
(٣) سير أعلام النبلاء ج٥ (٧٥).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله الرب العظيم الرؤوف الرحيم، ذي الفضل العظيم والإحسان العميم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الكريم ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائل فيه ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على محمد وعلى آله ، وأصحابه ومن تبعهم في هديهم القويم.

أما بعد:

فيا عباد الله ، اتقوا الله فإن التقوى هي الوسيلة العظمى لنيل مرضاة الله تعالى، والقرب من جنابه ، والفوز بسعادة الدنيا وكرامة الآخرة ، هي بغية السالكين ، وأمنية الذاكرين، وهدف العابدين ، وزين الصالحين [١].

واتق الله فتقوى الله ما جاورت ... قلب امرئ إلا وصل

ليس من يقطع طرقًا بطلًا ... إنما من يتقي الله البطل

أيها الأخوة : إننا والله بحاجة ماسة للتقوى ، أشد من حاجتنا للماء والهواء ، وها أنا اسوق إليكم بعض ثمراتها وفوائدها ، لنكون من طلابها والعاملين بها:

١ - أنها تجلب محبة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ٧٦).

ومن أحبه الله أحبه الناس ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ (مريم : ٩٦).

---

(١) سمير المؤمنين للحجار، ص(٣١٦).

وفي الحديث « وإذا أحب الله العبد وضع له القبول في الأرض »[(١)].

وفي الحديث الآخر ، قال الله تعالى: في الحديث القدسي : « **فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[(٢)].

٢- الحفظ والحراسة من الأعداء لقوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ (آل عمران : ١٢٠).

٣- إصلاح العمل وغفران الذنوب لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ (الأحزاب : ٧٠ -٧١).

٤- وصفه بالكرم عند الله ، لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (الحجرات : ١٣).

٥- البشارة عند الموت ، لقوله تعالى :﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ (يونس : ٦٢- ٦٤).

٦- النجاة من الشدائد ، والحصول على الرزق الحلال ، لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ

(١) البخاري برقم (٦٠٣٤٠) ومسلم برقم (٢٦٣٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
(٢) البخاري برقم (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق : ٢-٣).

بتقوى الإله نجا من نجا وفاز وصار إلى ما رجا

ومن يتق الله يجعل له كما قال من أمره مخرجا

وقال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من أراد دوام العافية ، فليتق الله.

٧- السهولة واليسر في كل الأمور،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ (الطلاق : ٤).

٨- نور البصيرة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (الأنفال : ٢٩)

٩- معية الله الخاصة بالنصر والتأييد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٤).

١٠- كثرة البركة في الأرزاق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٦).

١١- قبول الأعمال قال تعالى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ

مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ المائدة : ٢٧).

١٢- تكفير السيئات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ (الطلاق : ٥).

١٣- الفوقية على الخلق يوم القيامة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (البقرة : ٢١٢)

١٤- النجاة من النار لقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم : ٧٢).

١٥- الخلود في الجنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ (مريم : ٦٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة، فقال: «**تقوى الله وحسن الخلق**»، وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «**الفم والفرج**»[1].

ولقد وصف الله المتقين بصفات كثيرة:

١- صفات إيمانية : كالخشية والإيمان.

٢- صفات تعبديه: كالصلاة والزكاة والاتفاق وغير ذلك.

٣- صفات خلقية وسلوكية : كالصبر والإحسان والعفو والصدق والوفاء بالعهد ، وغير ذلك.

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٠٠٤) .

معاشر المسلمين : اتقوا الله رب العالمين، ولا زموا التقوى على كل حال، هذه الصفة النبيلة والخصلة الكريمة ، فإنه كلما تزود منها المؤمن بلغ إلى كمال السعادة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾(محمد: ١٧).

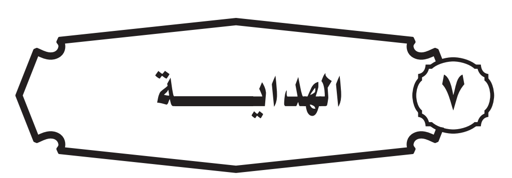
فالمجاهدة توصل إلى الهداية ، والهداية توصل إلى التقوى ، وكل ذلك لا يتم إلا بتوفيق الله ومعونته وعطائه.

ومن هنا ندرك أن البداية الصحيحة في السير إلى الله هي المجاهدة ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ (العنكبوت : ٦٩).

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

والحمد لله رب العالمين ، وصلِّ الله على نبيه الأمين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.





٧ الهدايـــة

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : إن الهداية إلى دين الله عَزَّوَجَلَّ أصل النعم ، وأعظمها يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ (المائدة : ٣).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (البقرة: ١٥٠) ، وإن من رحمة الله بعباده أن هداهم لهذا الدين العظيم ، ويسر لهم أسباب الهداية وأوضحها لهم غاية الإيضاح ليسلكوا طريقها.

أمة الإسلام : وفي هذه الجمعة المباركة سيكون حديثنا بمشيئة الله وتوفيقه عن الهداية ،. وسيكون هذا الموضوع تحت العناصر التالية .

أولاً : تعرف الهداية .

ثانيًا: أقسامها.

ثالثًا : أنواعها .

رابعًا: الله هو الهادي.

خامسًا : هداية الله للحيوانات .

سادسًا : أسباب الهداية .

أولاً: تعريف الهداية : قال الإمام المناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: الهداية دلالة بلطف إلى ما يوصل إلى المطلوب.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : [٢] الهداية: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى البيان والدلالة إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه هداية التوفيق.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الهداية الإرشاد والتوفيق. [٣]

(١) التوقيف على مهمات التعاريف ص(٣٤٣).
(٢) مدارج السالكين ج١(٣٢).
(٣) التفسير ج١(٢٠٩)درار ابن الجوزي .

ثانيا : أقسامها: تنقسم إلى قسمين :

١- هداية دلالة وإرشاد ، وهي التي تقدر عليها الرسل ، وأتباعهم قال الله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ (الرعد : ٧). وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (الشورى : ٥٢).

٢- هداية إلهام وتوفيق وتأييد ، وهذه الهداية لا يقدر عليها إلا الله رب العالمين ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (القصص : ٥٦) أي يجعل الإيمان في قلب من يشاء ﴿ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ فالتوفيق بيد الله دون غيره ، قال تعالى إخبارًا ، عن شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (هود : ٨٨).

ثالثًا أنواع الهداية :والهداية نوعان :

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وأما سؤال المؤمن من الله الهادية فإن الهداية نوعان:

١-هداية مجملة: وهي الهداية للإسلام والإيمان، وهي حاصلة للمؤمن.

وهداية مفصلة : وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل الإيمان والإسلام وإعانته على فعل ذلك ، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلًا ونهارًا ، ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كل ركعة من صلاتهم : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ الفاتحة : ٦) وكان النبي ﷺ يول في دعائه بالليل « **اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**».

ولهذا يشمت العاطس فيقال له يرحمك الله ، فيقول يهديكم الله ويصلح بالكم ، كما جاءت السُّنَّة ، وإن أنكره من أنكره من فقهاء العراق ظنًا منهم أن المسلم لا يحتاج أن يدعى له بالهداية ، وخالفهم جمهور العلماء اتباعًا

للسنة في ذلك ، وقد أمر النبي ﷺ عليًّا أن يسأل الله السداد ، وعلَّم الحسن أن يقول في قنوت الوتر : « اللهم اهدني فيمن هديت» .

ومن أنواع الهداية :

١- الهداية التي تعم بها المكلفين وغيرهم وكل شيء بحسبه قال تعالى: إخبارًا عن موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ (طه : ٥٠).

٢- الهداية التي جعلها الله على ألسنة رسله، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ (السجدة : ٢٤).

٣- هداية الإلهام والتوفيق ، قال الله تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن : ١١) .

٤- الهداية في الآخرة إلى الجنة قال الله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (الأعراف : ٤٣) .

رابعًا : والله الهادي : قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (النحل : ٣٦- ٣٧)

وقال الله تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة : ٢٧٢).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٩٣).

وقال الله تعالى: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٣٥).

وقال تعالى إخبارًا عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: ٧٨).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (الإنسان: ٣)، وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ (البلد: ١٠).

قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نجد الخير ونجد الشر.

وقال تعالى: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ۗ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٠).

وقال الله تعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ (إبراهيم: ٢١)، فقد أقر أهل النار أن الهادي هو الله تعالى.

وأما الأحاديث النبوية فكثيرة جدًا فمنها: ما جاء في الصحيحين[١] عن المسيب بن حزن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله** »، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟

(١) البخاري برقم (٤٧٧٢) ومسلم برقم (٢٤).

فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «**أما والله لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك**»، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسۡتَغۡفِرُواْ لِلۡمُشۡرِكِينَ وَلَوۡ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرۡبَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [القصص: ٥٦].

وعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، عن النبي ﷺ، فيما روى عن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع، إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار، إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي، فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد ذلك في ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد، ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه**»(١).

---

(١) مسلم برقم (٢٥٧٧).

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والله، ما ينفع تأديب الوالد إذا لم يسبق اختيار الخالق لذلك الولد! فإنه سبحانه إذا أراد شخصًا رباه من طفولته، وهداه إلى الصواب، ودله على الرشاد، وحبب إليه ما يصلح، وصحبه من يصلح، وبغض إليه ضد ذلك، وقبح عنده سفساف الأمور، وعصمه من القبائح، وأخذ بيده كلما عثر.[(١)]

معاشر الإخوان في الله: وإن من هداية الله عَزَّوَجَلَّ أن هدى الحيوان لمصالح نفسه وكل شيء بحسبه قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ① ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③﴾ (الأعلى: ١-٣) .

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمرتعها.[(٢)].

وقال سبحانه إخبارًا عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لفرعون: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ (طه: ٥٠) .

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ⑥⑧ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ⑥⑨﴾ (النحل: ٦٨-٦٩).

وقال تعالى عن شأن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ②⓪ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ②① فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ②② إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ

(١) صيد الخاطر ص (٣٤٠).
(٢) تفسير ابن كثير ج٧(٥٤٢) وسنده صحيح ، وتفسير مجاهد ج٢(٧٥١).

﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾(النحل: ٢٠-٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ (النمل: ١٦-١٨).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾(الحج: ١٨).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا راع يرعى بالحرة إذ عرض ذئب لشاة من شائه، فجاء الراعي يسعى فانتزعها منه، فقال للراعي: ألا تتقي الله، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ قال الراعي: العجب للذئب - والذئب مقع على ذنبه - يكلمني بكلام الإنس.

قال الذئب للراعي: ألا أحدثك بأعجب من هذا، هذا رسول الله ﷺ بين الحرتين، يحدث الناس بأنباء ما قد سبق، فساق الراعي شاءه إلى المدينة، فزواها في زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله ﷺ، فقال له ما قال الذئب، فخرج رسول الله وقال للراعي: «قم فأخبر»، فأخبر الناس بما قال الذئب.

وقال ﷺ: **«صدق الراعي، ألا من أشراط الساعة كلام السباع الإنس،**

والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل نعله، وعذبة سوطه، ويخبره فخذه بحديث أهله بعده »[١] .

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم العظيم ، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، أقول قولي هذا ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٦٤٩٤) ، وصححه شيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح ج٣(٤١٣) ورواه أحمد في المُسند برقم (١١٧٩٢) وللمزيد راجع شفاء العليل لابن القيم ج١ (٢٠٢) والجامع الصحيح في القدر لشيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٧١) وما بعدها.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون ، إن من فضل الله على عباده أن بين لهم أسباب الهداية، وهداهم لهذه الأسباب قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾(النساء : ٢٦-٢٨).

٦- أسباب الهداية كثيرة لا نستطيع أن نذكرها كلها ، ولكن سوف نشير إلى أهم هذه الأسباب:

١- تحقيق التوحيد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٨٢).

٢- الإيمان والعمل الصالح قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ (يونس : ٩) ، وقال الله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(الحج : ٥٤).

٣- الاعتصام بالله تعالى : قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (آل عمران : ١٠١) ، وقال الله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (النساء : ١٥٧).

٤- مجاهدة النفس: قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت : ٦٩).

٥- الصبر عند المصائب: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ (١٥٥) ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ (١٥٦) أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ (البقرة : ١٥٥ - ١٥٧).

٦- اتباع الرسول ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ (النور : ٥٤).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف : ١٥٨).

٧- عمارة المساجد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ (التوبة : ١٨).

٧- الدعاء ، قال الله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ (آل عمران : ٨) ، والأدلة في هذا السبب كثيرة أكثر من أن تحصى ، ففي صحيح مسلم [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى**» .

وعن عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كان النبي ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «**اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**» رواه مسلم [٢] .

وعن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان رسول الله ﷺ يقول : «**اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهديين**» رواه النسائي [٣] .

وفي صحيح مسلم [٤] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «**....واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت ....**» .

وفي صحيح مسلم [٥] وعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه قال: «**....يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم.....**» .

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٢١).
(٢) صحيح مسلم برقم (٧٧٠).
(٣) صحيح النسائي برقم (١٣٠٤).
(٤) صحيح مسلم برقم (٧٧٠).
(٥) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٧).

٨- الإقبال على القرآن الكريم تلاوة وحفظًا ، فالإقبال على القرآن الكريم ، والتمسك به من أعظم أسباب الهداية ، قال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣ ﴾ (السجدة : ١-٣) .

وقال الله تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ (البقرة: ١-٢) ، وقال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦ ﴾ (المائدة: ١٥-١٦) ،وقال جَلَّ وَعَلَا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٩) .

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧ ﴾ (النمل : ٧٦-٧٧). وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ ﴾ (الجن : ١-٢) .

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الأحقاف : ٢٩-٣٠).

٩- الإنابة إلى الله تعالى ، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴾ (الرعد : ٢٧) ، والمراد بالإنابة التمسك بالإسلام كله ظاهرًا وباطنًا ، وإذا ذكر الإسلام مع الإنابة ، فالمراد بالإسلام التمسك به ظاهرًا ، والمراد بالإبانة باطنًا قال الله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (الزمر : ٥٤).

١٠- الإيمان بالقضاء والقدر ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن : ١١).

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي بها وعرف أنها من الله» كما عند البخاري معلقًا عند هذه الآية .

١١- اتباع سبيل الصحابة عند هذه الآية الكريمة ، قال تعالى : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (البقرة : ١٣٧).

نسأل الله العلي القدير أن يهدي قلوبنا جميعًا ، وأن يمنحنا التوفيق والسداد ، اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك والمشركين ، ودمر أعداء الدين ، وأهلك اليهود والنصارى يا قوي يا متين ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين.

عباد الله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٩٠).

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.



٨ وجوب العدل وفضله

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : موضوع خطبتنا في هذا اليوم المبارك بإذن الله عَزَّوَجَلَّ عن « **وجوب العدل وفضله**» .

وما أدراكم - أيها الناس - ما العدل؟، إنه قوام الدين والدنيا.

والعدل في الإسلام عظيم وثوابه عند الله كبير، لا تسعد أمة ولا يستقيم حالها إلا بالعدل، ولا يجتمع شملها وينتظم عقدها إلا بالعدل حتى قيل: إن الله ينصر الدولة الكافرة العادلة على الدولة المسلمة الظالمة»[١].

معاشر المسلمين: لقد أمر الله عَزَّوَجَلَّ بالعدل في جميع الأحوال والأفعال والأحكام.

والمراد بالعدل في اللغة: القسط والإنصاف وعدم الجور.

والمراد بالعدل في الشرع: التوسط بين المرتبتين.[٢]

والمراد بالمرتبتين (الإفراط والتفريط).

يقول الإمام الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العدل الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.[٣]

ويقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط.[٤]

وما أجمل ما عرف ابن عطية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العدل بقوله، العدل: هو فعل كل مفروض من عقائد وشرائع، وسير مع الناس في أداء الأمانات، وترك الظلم والإنصاف وإعطاء الحق.[٥]

إخوة الإيمان، إن أرفع أنواع العدل، وأفضلها، وأوجبها هو توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وهو «إفراد الله بالعبادة»، وذلك هو العدل بعينه.

---

(١) الاستقامة لابن تيمية ج٢(٢٤٧).
(٢) أضواء البيان للشنقيطي ج٣(٣١٧).
(٣) التعريفات للجرجاني ص (١٩٢).
(٤) الفتح ج٢(٣٦٣).
(٥) التحرير الوجيز ج٨(٤٩٤).

وإن العدل هو وضع الشيء في موضعه ، وما يليق به فإذا صرف العبد شيئًا من أنواع العبادة لغير الله ، وتعلق قلبه بغير خالقه وبارئه ، فقد ارتكب أعظم الظلم ، وعدل عن الحق ، ووقع في الشرك والجور كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ (الأنعام : ١) ، أي : يعدلون به سواه ويساوونه بغيره ، لذلك يقول ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ قال : العدل لا إله إلا الله والإحسان أداء الفرائض.[١]

أقسام العدل : والعدل يقول ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فالعدل بين العبد وربه إيثار حق الله على حظ نفسه ، وتقديم رضاه على هواه ، والاجتناب للزواجر والامتثال للأوامر.

وأما العدل بينه وبين نفسه فمنعها عما فيه هلاكها ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾(النازعات:٤٠) ، وعزوب الأطماع عند الاتباع ولزوم القناعة في كل حال ومعنى.

وأما بينه وبين الخلق فببذل النصيحة ، وترك الخيانة فيما قل وكثر والإنصاف من نفسك لهم بكل وجه ولا يكون منك إلى أحد مساءة بقول ولا فعل لا في سر ، ولا في علن ، حتى بالهم والعزم والصبر على ما يصيبك منهم من البلوى ، وأقل ذلك الإنصاف من نفسك وترك الأذى.[٢]

عباد الله : لقد وردت آيات كثيرة ونصوص عظيمة في وجوب العدل، وبيان فضله ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ (النحل : ٩٠) ،قال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

---

(١) أضواء البيان ج٣(٣١٨).
(٢) أحكام القرآن لابن العربي ج٣(١١٧٢).

وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾ ، قال العدل الإنصاف. والإحسان: التفضل.(١)

وهنا جمع الله بين الأمر بالعدل والإحسان والتفضل بالإحسان ، وهذا كثير في القرآن الكريم قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾ ، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله : ﴿ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴾ (النحل : ١٢٦) ، وقال تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ ، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ (الشورى : ٤٠).

وقال عز شأنه: ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ﴾ ، فهذا عدل ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله: ﴿ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ ﴾ (المائدة :٤٥) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾ ، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله : ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الشورى : ٤١-٤٢).

وقال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾، فهذا عدل ، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله: ﴿ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ (النساء : ١٤٨- ١٤٩).(٢)

وقال الله تعالى : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ

(١) أضواء البيان ج٣(٣١٨).
(٢) أضواء البيان ج٣(٣١٧).

﴿١٩٤﴾ ، فهذا دل، ثم دعا الله إلى الإحسان بقوله: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة : ١٩٤).

ومن الآيات الدالة على وجوب العدل ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ (النساء : ٥٨).

وهذه الآية الكريمة إنما نزلت في الأمراء والحكام بين الناس كما قال محمد بن كعب ، وزيد بن أسلم وغيرهما من السلف. [١]

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ ، وإن من أعظم أداء الأمانات الحكم بما أنزل الله ، ففي صحيح البخاري [٢]: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ ، فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال . وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين – أراه – السائل عن الساعة**» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**» .

وفي المُسند [٣]: عن ابن نيار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**لا تذهب الدنيا حتى تكون للكع ابن لكع**»قيل المتهم بن المتهم ، وقيل اللئيم ، وقيل الوسخ ، وقيل الأحمق : وقيل خبيث الفعال الشحيح قليل الخير . [٤]

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢(١٤٥– ١٤٦).
(٢) البخاري برقم (٥٩).
(٣) مُسند أحمد برقم (١٥٨٣١) وصححه الشيخ شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٤) الصحيح المُسند في الفتن ص(٣٩٩) للشيخ مصطفى العدوي حفظه الله .

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ الحديد : ٢٥) أي : العدل.

وقال تعالى : ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات : ٩) ، وقال تعالى: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ﴾ (الشورى : ١٥).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ (النساء : ١٣٥).

فيجب العدل حتى مع الأعداء ، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ أي: بالعدل ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ أي : ولا يحملنكم ﴿ شَنَآنُ ﴾ أي: بُغض ، ﴿ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة : ٨).

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ : لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه [١].

أيها الأخوة في الله : العدل عزيز وعزُ والله لصاحبه في الدنيا والآخرة، وانظروا إلى عدل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى مع أعدائه ، وذلك حينما

---
(١) السير ج٨(٤٢٧).

سُئل عن الخوارج أمشركون هم؟، قال : «**من الشرك فروا**»، قيل: منافقون هم؟ قال: «**إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا**»، قيل: فما هم؟، قال: «**إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم ببغيهم**»[(١)].

وقال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ (ص : ٢٦).

والإمام العادل: هو العادل في نفسه العادل في حكمه ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الحج : ٤١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥).

فيا إخوة الإيمان ، الزموا العدل في أقوالكم وأفعالكم وأحكامكم ، واعدلوا بين أولادكم ، قال النبي ﷺ : « **اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم** » ، رواه البخاري ومسلم[(٢)].

واعدلوا بين زوجاتكم ، فإن الله قد أباح التعدد في الزوجات بشرط التزام العدل ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

---

(١) رواه محمد بن نصر المروزي في كتابه العظيم (تعظيم قدر الصلاة) برقم (٥٩)، وسنده صحيح ، وأخرجه البغوي في شرح السُّنَّة للبغوي ج١٠ (٢٣٥) .
(٢) البخاري برقم (٢٥٨٧) ومسلم برقم (١٦٢٣) من حديث النعمان بشير رضي الله عنه.

أَيْمَٰنُكُمْۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾ (النساء : ٣).

وقد حذر الله الزوج من المبالغة في الميل إلى واحدة من النساء ، دون بقية نسائه إن كان متزوجًا بأكثر من واحدة ، قال تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء : ١٢٩).

والمعلقة: هي التي لا هي ذات زوج ولا هي مطلقة.

وفي سُنن أبي داود وغيره [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشِقُّه مائل**» .

نسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا العدل في أقوالنا وأفعالنا وأحكامنا كلها ، وأن يصلح المسلمين ويمنحهم الفقه في الدين ، اللهم أصلح الراعي والرعية إنك على كل شيء قدير.



(١) صحيح أبي داود برقم (٢١٣٣) وصححه العلامة الألباني في صحيح أبي داود.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، إن من الأمور العظيمة التي يجب العناية بها، والعدل فيها.

والإنصاف في الحكم ، فقد روى الطبراني في الأوسط [١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا حكمتم فاعدلوا، وإذا قتلتم فأحسنوا، فإن الله عَزَّوَجَلَّ محسن يحب الإحسان**» .

فقد أمر رسول الله ﷺ في هذا الحديث المبارك بالعدل في الحكم ، فالواجب على الحكام والمسئولين أن يلازموا العدل في حكمهم وولايتهم.

والعادلون منزلتهم ، عند الله عظيمة فإنهم يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن .

فقد روى الإمام مسلم في صحيحه [٢] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن المقسطين عند الله ، أي : العادلين ، وأما المقسطون فإنهم الجائرون في حكمهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (الجن : ١٥).

يقول النبي ﷺ : «إن المقسطين عند الله ، على منابر من نور، عن يمين الرحمن عَزَّوَجَلَّ، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا».

---

(١) الأوسط للطبراني برقم (٥٧٣٥) وهو في الصحيحة للألباني برقم (٤٦٩).
(٢) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

والإمام العادل يستجيب الله له دعاءه ففي شعب الإيمان للإمام البيهقي [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ثلاثة لا يرد الله دعاءهم: الذاكر الله كثيرًا ، والمظلوم ، والإمام المقسط**» .

والإمام العادل يظله الله يوم القيامة تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله ، ففي الصحيحين[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ ، قال: « **سبعة يظلهم الله يوم القيامة في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل.....**» إلخ.

وقد قال بعض السلف : إمام عادل خير من مطر وابل ، وإمام غشوم خير من فتنة تدوم. [٣]

عباد الله : إقامة الحدود خير من نزول الأمطار ، ففي سُنن ابن ماجه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**حد يعمل به في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين صباحًا** » [٤] .

والإمام العادل إذا عدل في رعيته يكون من أهل الجنة ، كما جاء في صحيح مسلم [٥] عن عياض بن حمار المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ قال : « **وأهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال** » .

معاشر المسلمين : وعيد الله شديد وعذابه عظيم للأئمة الجائرين الذين يظلمون العباد ، ويسعون في الأرض بالفساد ، فقد روى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما ، عن معقل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) الشعب برقم (٥٨٢) الصحيحة برقم (١٢١١) صحيح الجامع برقم (٣٠٦٤).
(٢) البخاري برقم (٦٨٠٦) ومسلم برقم (١٠٣١).
(٣) ترطيب الأفواه للعفاني ج١(٩٣).
(٤) صحيح ابن ماجه برقم (٢٠٥٧) وجاء الحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيضًا.
(٥) صحيح مسلم برقم (١٨٢٧).

يقول: «**ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**» ، وهذا لفظ مسلم[١] وفي رواية : « **فلم يحطها بنصحه لم يجد رائحة الجنة** » .

وأخبر نبينا ﷺ أن الأمراء الظلمة يُمنعون يوم القيامة من الورود على حوضه ﷺ .

ففي مُسند الإمام أحمد [٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**يا كعب بن عجرة أعيذك بالله من إمارة السفهاء**» قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «**أمراء سيكونون من بعدي من دخل عليهم، فصدقهم بحديثهم، وأعانهم على ظلمهم فليسوا مني، ولست منهم، ولم يردوا علي الحوض، ومن لم يدخل عليهم، ولم يصدقهم بحديثهم، ولم يعنهم على ظلمهم، فأولئك مني، وأنا منهم، وأولئك يردون علي الحوض. يا كعب بن عجرة، الصلاة قربان، والصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار. يا كعب بن عجرة، لا يدخل الجنة من نبت لحمه من سحت، النار أولى به ، يا كعب بن عجرة، الناس غاديان، فغاد بائع نفسه، وموبق رقبته، وغاد مبتاع نفسه، ومعتق رقبته** » .

وإذا احتجب الإمام عن رعيته احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة ، ففي سُنن أبي داود [٣] عن أبي مريم الأزدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت لمعاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من ولاه الله** عَزَّوَجَلَّ

---

(١) صحيح البخاري برقم (٨) ومسلم برقم (١٤٢).
(٢) أحمد برقم (١٤٤٤١) وحسنه شيخنا الوادعي رحمه الله في الجامع الصحيح ج٤(٥٢٢).
(٣) سُنن أبي داود برقم (٢٩٤٨) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

شيئًا من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم، وخلتهم وفقرهم، احتجب الله عنه دون حاجته وخلته، وفقره» قال: فجعل معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلًا على حوائج الناس.

وفي لفظ قال : «**ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة، والخلة، والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته، وحاجته، ومسكنته**» [١] .

والله لا يحب الإمام الظالم الجائر ، فقد روى النسائي في سُننه[٢] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أربعة يبغضهم الله : البياع الحلاف، والفقير المختال، والشيخ الزاني والإمام الجائر**» .

ويجب على الإمام أن يتفقد أحوال رعيته ويحسن إليهم ، ويجتهد في إيصال الخير إليهم ، ويرفق بهم فقد روى الإمام مسلم في صحيحه[٣] عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت سمعت من رسول الله ﷺ ، يقول في بيتي هذا: «**اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به**» .

ولقد خاف رسول الله ﷺ على أمته من بيع الحكم ، ففي معجم الطبراني [٤] عن عوف بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال : «**أخاف عليكم ستا: إمارة السفهاء وسفك الدم وبيع الحكم وقطيعة الرحم ونشوًا ، يتخذون القرآن مزامير ، وكثرة الشرط**» .

---

(١)أحمد برقم (١٨٠٣٣) وسُنن الترمذي برقم (١٣٣٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٢) النسائي في السُنن ج٥(٨٦) والصحيحة برقم (٣٦٣).

(٣) مسلم برقم (١٨٢٨).

(٤) الطبراني برقم (١٠٥) الصحيحة برقم (٩٧٩).

وقد ثبت عند الإمام الدارمي [١] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة، مغلولة يداه إلى عنقه، أطلقه الحق أو أوبقه**» .

لكل ولاية لا بد عدل وصرف الدهر عقد ثم حل

وأحسن سيرة تبقى لوال مدى الأيام إحسانٌ وعدل

اللهم أصلحنا وأصلح ولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع رضاك ، يا أرحم الراحمين.



(١) سُنن الدارمي ج٢(٢٤٠) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ في الجامع الصحيح ج٤ (٥٣٣).



٩ حقوق الجار في الإسلام

الخُطْبَةُ الأُوْلَى:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

حديثنا معكم- أيها المؤمنون - عن أمر عظيم قد فرط فيه كثير من الناس ، لذا أحببت أن أجعل هذه الخطبة عن **(حقوق الجار في الإسلام)** .

قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى :﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا

وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء : ٣٦) ، ومعنى قوله ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ أي: الجار الذي بينك وبينه قرابة.

وقوله ﴿ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾ الذي ليس بينك وبينه قرابة.

إخوة الإيمان ، حق الجار في الإسلام عظيم ، فينبغي للمسلم أن يحفظ حق جيرانه ، ويحسن معاملة إخوانه حتى يحظى بالخير العميم والثواب الجزيل ، وأذية الجار محرمة في الإسلام ، والناظر في أحوال المسلمين يجد أن الأذية بينهم قد بلغت ذروتها ، وألقي بينهم التناكر والتباغض والاختلاف ، وتحقق فيهم قول نبينا صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله « **لا تقوم الساعة حتى يظهر الفُحش، والتفحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة** » رواه أحمد [١].

وفي مُسند الإمام أحمد[٢] عن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: «**علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ولكن أُخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجًا** » قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟ قال بلسان الحبشة: «**القتل، ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد أن يعرف أحدًا** » .

و في الأدب المفرد[٣] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ : «**لا تقوم الساعة حتى يقتل الرجل جاره وأخاه وأباه**».

---

(١) مُسند أحمد برقم (٦٥١٤) بتحقيق الشيخ شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، عن عبد الله عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) أحمد برقم (٢٣٣٠٦) بتحقيق الشيخ شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٣) البخاري في الأدب المفرد برقم (١١٨) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ:[١] واختلف في حد الجوار فجاء عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من سمع النداء فهو جار وقيل من صلى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار.

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا : حد الجوار أربعون دارًا من كل جانب.

وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]، أنه سئل عن الجار، فقال: أربعين دارًا أمامه، وأربعين خلفه، وأربعين عن يمينه، وأربعين عن يساره.

وقال بعضهم [٣] يمسى جارًا ولو كان في طرف المدينة لقوله تعالى : ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (الأحزاب : ٦٠).

والأقرب والله أعلم أن حد الجوار يرجع إلى العرف ، فما سمي في العرف جارًا فهو كذلك .

من هو الجار؟ :

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: واسم الجار يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق والصديق والعدو والغريب والبلدي والنافع والضار والقريب والأجنبي والأقرب دارا والأبعد وله مراتب بعضها أعلى من بعض فأعلاها من اجتمعت فيه الصفات الأول كلها ثم أكثرها ، وهلم جرًا إلى الواحد وعكسه ، من اجتمعت فيه الصفات الأخرى كذلك فيعطى كل حقه بحسب حاله .

---

(١) فتح الباري ج١٢(٦٠).
(٢) الأدب المفرد برقم (١٠٩) وحسنه العلامة الالباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٣) تفسير القرطبي ج٥(١٨٥).
(٤) فتح الباري (١٠/ ٥٤٣) .

ولا شك أن حفظ حقوق الجار من الإيمان ، وأن الإضرار به من الكبائر ، ففي صحيح البخاري [١] عن أبي شريح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» .

وفي صحيح مسلم [٢] قال عليه الصلاة والسلام: «**لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه**» .

وفي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليسكت**».

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**» [٤] .

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رجل لرسول الله ﷺ : كيف لي أن أعلم إذا أحسنت، وإذا أسأت؟، قال النبي ﷺ: « **إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت** » . [٥]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل للنبي ﷺ : يا رسول الله، إن فلانة تقوم الليل وتصوم النهار، وتفعل، وتصدق، وتؤذي جيرانها بلسانها؟ فقال رسول الله ﷺ : «**لا خير فيها، هي من أهل النار**» ، قالوا: وفلانة

---

(١) البخاري برقم (٦٠١٦) رَحِمَهُ اللَّهُ
(٢) صحيح مسلم برقم (٤٦) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري برقم (٦٠١٨) ومسلم برقم (٤٧).
(٤) الأدب المفرد برقم (١١٢) والصحيحة للألباني برقم (١٤٩).
(٥) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢٢٣) الصحيحة للألباني برقم (١٣٢٧).

تصلي المكتوبة، وتصدق بالأثوار[١]، ولا تؤذي أحدًا؟، فقال رسول الله ﷺ: «**هي من أهل الجنة**» .[٢]

وهكذا جاء الخبر بلعن من يؤذي جاره ، فعن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو جاره فقال : « **اذهب فاصبر** ». فأتاه مرتين أو ثلاثًا فقال :« **اذهب فاطرح متاعك في الطريق** ». فطرح متاعه في الطريق فجعل الناس يسألونه فيخبرهم خبره فجعل الناس يلعنونه فعل الله به وفعل وفعل فجاء إليه جاره فقال له ارجع لا ترى منى شيئًا تكرهه».[٣]

فانظر - يا أخي المسلم- إلى عقوبة من يؤذي جاره لعنه المصّبح والمغدّي والممسي كل من مر عليه ، وعرف أنه قد آذاهُ جاره لعنه ، فحق الجار عظيم ، فقد روى الإمام أحمد في مُسنده [٤] عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟**» قالوا: حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلى يوم القيامة، قال: فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: «**لأن يزني الرجل بعشرة نسوة، أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**»، قال: فقال: «**ما تقولون في السرقة؟**» قالوا: حرمها الله ورسوله فهي حرام، قال: «**لأن يسرق الرجل من عشرة أبيات، أيسر عليه من أن يسرق من جاره**» .

و عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تقتل ولدك من أجل أن يطعم معك**» قلت: ثم أي؟ قال: «**أن تزاني حليلة جارك**»[٥] .

---

(١) الأثوار : القطعة العظيمة من الأقط.
(٢) الأدب المفرد برقم (١١٩) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٩٠).
(٣) صحيح أبي داود برقم (٥١٥٣).
(٤) أحمد برقم (٢٣٨٥٤) الصحيحة للألباني برقم (٦٥) .
(٥) البخاري برقم (٤٧٧) ومسلم برقم (٨٦).

عباد الله : الواجب علينا أن نحسن الجوار ، فأين حسن الجوار عندنا يا أمة الإسلام ، ونبينا ﷺ هو القائل «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره** » رواه مسلم [١] .

وعند الإمام الترمذي[٢] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره**» .

والإحسان بالكلمة الطيبة من الجار إلى جاره الإحسان بالمعاملة الحسنة من الجار إلى الجار ، والإحسان بالنصيحة الرشيدة ، من الجار إلى جاره، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «من حق الجار أن تبسط له معروفك ، وتكف عنه أذاك » .

وقال علي بن أبي طالب للعباس رضي الله عنهما : ما بقي من كرم أخلاقك ؟ قال الإفضال على الإخوان ، وترك أذى الجيران. [٣]

وقال ابن عبد البر : ثلاثة إذا كن في الرجل لم يشك في عقله وفضله إذا حمده جاره وقرابته ورفيقه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «يا نساء المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن[٤] شاة» [٥]

وعند الترمذي [٦] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

---

(١) مسلم برقم (٤٨) عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه.
(٢) صحيح الترمذي برقم (١٩٤٤) الصحيحة للألباني برقم (١٠٣٠).
(٣) الآداب الشرعية ج٢(١٠٢).
(٤) فرسن شاة: ظلفها و هو كناية عن قلة الهدية من الجارة لجارتها.
(٥) البخاري برم (٦٠١٧) ومسلم برقم (١٠٣٠).
(٦) صحيح الترمذي برقم (٢٣٠٥) الصحيحة للعلامة الألباني برقم (٩٣٠).

«وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا» .

ومن صور الإحسان إلى الجار أن يتعاهد جاره بالهدية والطعام ونحوهما ، ففي صحيح مسلم[١] عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**يا أبا ذر إذا طبخت مرقة، فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك**» ، وفي رواية عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن خليلي ﷺ أوصاني: «**إذا طبخت مرقًا فأكثر ماءه، ثم انظر أهل بيت من جيرانك، فأصبهم منها بمعروف**» .

أيها المسلمون : من حفظ حقوق الجار ، فقد أطاع الرحمن وأسخط الشيطان وعمل بالسُّنَّة والقرآن ، ومن حفظ حقوق الجار نجا يوم القيامة من النار ، وجاز الصراط إلى دار القرار ، من حفظ حقوق الجار فقد عمل بالسُّنَّة والكتاب، وأطاع الملك الوهاب وأسخط الشيطان اللعين الكذاب.

حُسن الجوار من علامات كمال الإيمان،ويعمر الديار ويزيد في الأعمار، كما قال النبي المختار ﷺ في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وفيه «**وحُسن الخُلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار**»[٢] .

ولقد أوصى جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ النبي ﷺ بحق الجار ، وأوصى النبي ﷺ أمته بحق الجار كثيرًا وكثيرًا ، فقال عليه الصلاة والسلام : «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»[٣] .

ولقد كان عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا ذبح شاة يقول: هل أهديتم لجاري اليهودي ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه**»[٤] .

---

(١) مسلم برقم (٢٦٢٥)
(٢) أحمد برقم (٢٥٢٥٩) الصحيحة للألباني برقم (٥١٩)
(٣) البخاري برقم (٦٠١٤) ومسلم برقم (٢٦٢٤) عن عائشة وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.
(٤) أبو داود برقم (٥١٥٢) وصححه العلامة الألباني .

وهكذا الجار إذا لم ينصح جاره ، وقد رآه مضيعًا لحقوق الله من صلاة وغيرها ، فيكون جاره خصمًا له يوم القيامة ، فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**أول خصمين يوم القيامة جاران**»[(١)] .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال النبي ﷺ : «**كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا أغلق بابه دوني فمنع معروفه**»[(٢)] .

ألا فاتقوا الله عباد الله ، وليحسن كل منا إلى جاره ، وليؤدِّ إليه حقوقه وافرة كاملة ، يسلم عليه إذا لقيه ، ويعوده إذا مرض ، ويتبع جنازته إذا مات ، ويجيب دعوته إذا دعاه ، ويبذل له العون إن كان محتاجًا إليه ، ويصون حرمته ولا يؤذيه لا بفعله ، ولا بقوله ، ويغض بصره عن أهله وبناته ، كما قال الأول:

أغض الطرف إن بدت لي جارتي حتى يـــواري جـــارتي مأواها

وقال بعضهم :

سقيًا ورعيًا لجـيرانٍ نزلت بهم كـأن دار اغـترابي عندهم وطني
إذا تأملت من أخلاقهم خلفًا علمت أنهم من حلية الزمن[(٣)]

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أحمد برقم (١٧٣٧٢) والطبراني في الكبير برقم (٨٣٦) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٥٦٣)
(٢) الأدب المفرد برقم (١١١) وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٢٦٤٦).
(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح ج٢(١٠٢)

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ، ومن والاه.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون ومن إكرام الجار لجاره أن لا يمنع من غرز خشبة له في جداره ففي الصحيحين [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره**»، ثم يقول أبو هريرة: «**ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم**» .

وقوله ما لي أراكم عنها معرضين؟ يعني هذه السُّنَّة.

وأحق الجيران أقربهم بابًا ،ففي صحيح البخاري[(٢)]عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قلت: يا رسول الله، إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟، قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**» .

والجوار يشمل الجوار في المسكن والسوق والمتجر والمسجد ، والطريق والرفيق في السفر والزوجة ، ويشمل الجوار بين الدول وغير ذلك.

أيها المسلمون : إن احترام الجار وصيانة منزله من المفاخر العظيمة في الجاهلية قبل الإسلام ، حتى قال قائلهم:

أقول لجاري إذ أتاني معاتبًا ... مدلًا بحق أو مدلًا بباطل

إذا لم يصل خيري وأنت مجاوري ... إليك فما شري إليك بواصل

(١) البخاري برقم (٢٤٦٣) ومسلم برقم (١٦٠٩).
(٢) البخاري برقم (٢٢٥٩)

وقال حاتم الطائي -رحمه الله- :

نـــاري ونـــار الجـــار واحـــدة　　وإلـــيـــه تـــنـــزل الـــقـــدر

مـــاضر جـــارًا لي أجـــاوره　　أن لا يـكـون لـبـيـتـه ستر

أعـمـى إذا مـا جـارتي بـرزت　　حـتـى يـواري جـارتي الخـدر

وقال آخر:

نـزلـت عـلى آل المهلب شاتيًا　　غريبًا عن الأوطـان في بلد محل

فيما زال بي إكرامهم وافتقارهم　　وبرهم حتى حسبتهم أهــلي[1]

ومن سعادة الحياة : أن يرزقك الله يا مسلم جارًا صالحًا ، ففي الحديث عن نبينا ﷺ «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء ، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء**» [2].

وعن نافع بن عبد الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**من سعادة المرء الجار الصالح، والمركب الهنيء، والمسكن الواسع**» رواه أحمد [3] .

ولذلك قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق. [4]

يقولون قبل الـدار جـار موفق　　وقبل الطريق النهج أُنـس رفيق

(١) الآداب الشرعية ج٢(١٠٢)
(٢) صحيح ابن حبان برقم (٤٠٣٢) عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أحمد برقم (١٥٣٧٢) صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط رحمه الله.
(٤) الآداب الشرعية ج٢(١٠١)

وقال الشاعر :

اطلب لنفسك جيرانًا تُسر بهم ... لا تصلح الدر حتى يصلح الجار

وقد اضطر بعض الناس إلى بيع دورهم الغالية بسبب الجار السوء حتى قال قائلهم:

يلو مونني أن بعت بالرخص منزلي ... وما علموا جارًا هناك ينغص

فقلت لهم كفوا الملامة إنها ... بجيرانها تغلو الديار وترخص

بل من الإحسان ، والحقوق عليك - أيها الجار الصالح- أنك إذا كنت تريد أن تبيع ما تملكه من أرض أو بيت أو حانوت أن تعرضه على جارك قبل بيعه ، فقد جاء عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**من كانت له أرض فأراد بيعها، فليعرضها على جاره**» .[(١)]

عباد الله : إن الإنسان قد يبتلى بجار السوء ، فننصح بالمداراة له والصبر على ما يصدر منه من الأذى.

دارِ جارَ السوء بالصبر وإن ... لم تجد صبرًا فما أحلى النقل

وقال آخر:

إذا ما الحر هان بأرض قوم ... فليس عليه في هرب جناح

وقد هنا بأرضكم وصرنا ... كقيء الأرض تذروه الرياح

ولا ريب أن جار السوء من البلاء، ومما يتعوذ منه،فعن أبي هريرة

---

(١) ابن ماجه برقم (٢٤٩٣) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٢٣٥٨).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان من دعاء النبي ﷺ «**اللهم إني أعوذ بك من جار السوء في دار المقام، فإن جار الدنيا يتحول**»(١) .

وفي رواية النسائي (٢) « **تعوذوا بالله، من جار السوء في دار المقام، فإن جار البادية يتحول عنك**» .

اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين ، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين، اللهم شتت شملهم ، وفرق صفهم ، واجعلهم وأموالهم وما يملكون غنيمة للمسلمين ، اللهم أذل الشرك والمشركين وأهلك اليهود الظالمين ، اللهم أصلح أحوالنا وبلغنا فيما يرضيك آمالنا ، واختم بالصالحات أعمالنا ، وبالسعادة آجالنا ، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار.

هذا وصلوا وسلموا على من أمرتم بالصلاة والسلام عليه عمومًا بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٥٦).

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، صاحب الوجه الأنور والجبين الأزهر ، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



(١) الأدب المفرد برقم (١١٧)وحسنه العلامة الألباني في صحيح الأدب المفرد رقم (٨٦).
(٢) النسائي برقم (٥٥٠٢) وصححه العلامة الألباني .



١٠ خطورة سوء المعاملة

الخُطْبَةُ الأُوْلَى [١] :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : حديثنا اليوم معكم إن شاء الله عن خطورة سوء المعاملة ، لما نرى من تقصير المسلمين في هذا الجانب العظيم ، وإننا لنعلم فضل حُسن الخُلق في ديننا الإسلامي ، وما أعد الله لصاحبه من الرفعة والفضل العظيم ، فإن الله قد وصف أحب الخلق إليه بحسن الخلق

فقال جلت عظمته: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (القلم : ٤).

وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حينما سُئلت عن خُلقه ﷺ كان خُلقه القرآن[١]، فلذلك رفع الله ذكره ، وأنار دربه.

وإن العبد بحسن الخلق ليدرك بذلك درجة الصائم القائم ، وإن من أقرب الناس منزلة من نبينا ﷺ يوم القيامة أحاسنهم أخلاقًا ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يضرب بهم المثل الأعلى بعد نبينا ﷺ في حُسن الخلق فكسبوا بذلك قلوب العباد ، وفتح الله بهم البلاد ، وهدى الله على أيدهم بشرًا كثيرًا ، وصدق من قال:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم لطالما ملك الإنسان إحسان

ولكن ... للأسف الشديد ، وإلى الله المشتكى قصر كثير من المسلمين في هذا الجانب الجدير بالأهمية، وبسبب ذلك تفككت الجماعات والمجتمعات، وتنافرت القلوب وقطعت الأرحام ، وسفكت الدماء وتسلط بذلك علينا الأعداء ، فرأينا أنه من اللازم علينا أن نحذر من سوء المعاملة المنتشرة بين المسلمين في هذا الزمان.

معاشر المسلمين : المراد بسوء المعاملة أن يفعل الإنسان ما من شأنه أن يغم أو يؤذي غيره في المعاملات الشرعية من بيع أو إجارة ونحوهما ، أو المعاملات السلوكية والأخلاقية المتعلقة بالنفس أو الغير في إطار الأسرة والمجتمع والبيئة وهي تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الإساءة القولية كسب المسلمين والطعن فيهم.

(١) صحيح مسلم برقم (٧٤٦) ، وأحمد برقم (٢٤٦٠١) وصححه العلامة الألباني كما في الجامع الصحيح برقم (٤٨١١).

القسم الثاني : الإساءة الفعلية [١] كهجر المسلم بغير ضوابطه الشرعية، أو الإشارة إليه بالسلاح وغير ذلك من الإساءة الفعلية ، ولقد وردت آيات كثيرة تحذر من سوء المعاملة قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾ (الإسراء :٧) .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت : ٤٦) .

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ (فاطر : ٤٣) .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾ (النجم : ٣١).

أما من السُّنّة فالأحاديث كثيرة في ذم سوء المعاملة فمنها:

عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله أي الناس خير، قال: «**من طال عمره، وحسن عمله**»، قال: فأي الناس شر؟ قال: «**من طال عمره وساء عمله**» رواه الترمذي [٢]

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم**» رواه البخاري ومسلم [٣] .

الألد : شديد الخصومة.

(١) نضرة النعيم ج١٠(٤٦٧٤).
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٣٠) .
(٣) البخاري برقم (٢٤٥٧) ومسلم برقم (٢٦٦٨) .

الخصم: الحاذق بالخصومة بالباطل.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : « **وإن سوء الخلق ليفسد العمل ، كما يفسد الخل العسل** »[١] .

وصدق من قال:

من كان ذا خلق فاضل فيحمد في الناس حمدًا كثيرًا

ومن كان ذا خلق سيءٍ فيهجر حتى يموت حقيرًا

وصور سوء المعاملة بين الناس كثيرة ودونكم هذه الصور :

الصورة الأولى: سوء المعاملة مع الأقارب :

فالواجب على المسلم أن يحسن لأقاربه ولا يؤذيهم بقوله ولا يسيء إليهم بفعله ، وقد أمر الله عَزَّ وَجَلَّ بالإحسان إلى الأقارب ، وأقرب قريب الوالدان ، وقد أمر الله بالإحسان إليهما وحرم أذيتهما فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (الإسراء: ٢٣ - ٢٦).

وفي صحيح مسلم[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أَصِلُهمْ ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم

---

(١) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا برقم (٣٦) الصحيحة للألباني برقم (٩٠٦) .
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٨) .

ويجهلون عليَّ ، فقال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**» .

وعنى ظهير: نصير.

ومعنى تسفهم المل أي: الرماد الحار .

وقد أمر الله جَلَّ وَعَلَا بالإحسان إلى الوالدين والأقربين ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾(النساء : ٣٦).

وقال بعض الشعراء يصف حاله مع أقاربه حينما وجد منهم المعاملة السيئة وتوجع منهم توجعًا بالغًا فقال:

عرفت الناس منذ عرفت نفسي ... وَجَرَّبْتُ الأقارب والأَباعدْ

وجدتهمو ذائبًا في ثياب ... لصوصًا في الوسائل والمقاصد

وغشاشين مكارين فيما ... علمت من المسالم والمعاند

لغير الله ما فعلوا وما قالوا ... لغير الله جهرًا بالعقائد

الصورة الثانية: سوء المعاملة مع الجيران :

وقد جاءت أدلة كثيرة في تحريم أذية الجار والإساءة إليه بالقول أو بالفعل ومن ذلك:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : قال رجل لرسول الله ﷺ :

كيف لي أن أعلم إذا أحسنت، وإذا أسأت؟ قال النبي ﷺ : « **إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت، فقد أحسنت، وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت**» . (١)

عن عروة عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما، أنه حدثه: أن رجلًا من الأنصار خاصم الزبير عند النبي ﷺ في شراج الحرة، التي يسقون بها النخل، فقال الأنصاري: سرح الماء يمر، فأبى عليه؟ فاختصما عند النبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ للزبير: «**أسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**»، فغضب الأنصاري، فقال: أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر**»، فقال الزبير: «والله إني لأحسب هذه الآية نزلت في ذلك﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥] (٢) .

والمراد بشراج الحرة: هي مسايل الماء التي يسقون بها النخل.

عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟،وفي رواية صحيحة « **خاب وخسر قال «الذي لا يأمن جاره بوائقه»** رواه البخاري عن أبي شريح، والبخاري ومسلم عن أبي هريرة (٣).

وعن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليحسن إلى جاره** » رواه مسلم (٤).

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٢٢٣) الصحيحة للألباني برقم (١٣٢٧).
(٢) البخاري برقم (٢٣٥٩) ومسلم برقم (٢٣٥٧).
(٣) البخاري برقم (٦٠١٦) ومسلم برقم (٤٦).
(٤) مسلم برقم (٤٨) .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يمنع جار جاره أن يغرز خشبه في جداره**»، ثم يقول أبو هريرة: «ما لي أراكم عنها معرضين، والله لأرمين بها بين أكتافكم» البخاري ومسلم (١).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره** » البخاري ومسلم (٢).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع**» أخرجه البخاري في الأدب المفرد وغيره (٣).

والله المسئول أن يوفقنا وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات ، لما فيه السعادة ، وأن يرزقنا الحسنى وزيادة.



(١) البخاري برقم (٢٤٦٣) ومسلم برقم (١٦٠٩).
(٢) البخاري برقم (٦٠١٨) ومسلم برقم (٤٧).
(٣) الأدب المفرد برقم (١١٢) والصحيحة للألباني برقم (١٤٩).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وصل الله على نبينا الكريم وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون قد سمعتم إلى بعض صور سوء المعاملة ومن تلك الصور :

الصورة الثالثة : وهي سوء المعاملة بين الزوجين :

والإساءَة قد تكون مشتركة بينهما ،أو قد تكون من قِبل أحدهما على الآخر.

وسوء معاملة الزوج لزوجته تكون في أمور منها:

١- ضربها ضربًا مبرحًا ، فعن إياس بن عبد الله بن أبي ذباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تضربوا إماء الله**» فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: ذئرن النساء على أزواجهن، فرخص في ضربهن، فأطاف بآل رسول الله ﷺ نساء كثير يشكون أزواجهن، فقال النبي ﷺ : «**لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن ليس أولئك بخياركم**» رواه أبو داود [١].

ومعنى ذئرن : نشزن واجترأن.

وفي البخاري ومسلم [٢] عن عبد الله بن زمعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : «**لا يجلد أحدكم امرأته جلد العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم**» .

(١) أبو داود برقم (٢١٤٦) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) البخاري برقم (٥٢٠٤) ومسلم برقم (٢٨٥٥).

٢- أن لا يعدل بينها وبين ضرتها إن كان لها ضرات ، وقد صح عند أبي داود والترمذي [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما، جاء يوم القيامة وشقه مائل**» .

٣- أن يسمعها الكلام البذي الذي يؤذيها ، أو يؤذي أهلها من السب والشتم واللعن والمعاتبة الدائمة ، كما هو حال كثير من الأزواج هداهم الله.

كل هذه الأذية للزوجة ، وقد ثبت عن أبي داود [٢] عن معاوية القشيري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قلت: يا رسول الله، ما حق زوجة أحدنا عليه؟، قال: «**أن تطعمها إذا طعمت، وتكسوها إذا اكتسيت، أو اكتسبت، ولا تضرب الوجه، ولا تقبح، ولا تهجر إلا في البيت**» ومعنى: ولا تقبح: أي أن تقول قبحك الله .

ومهما يحصل من المرأة من الهفوات والأخطاء والزلات فلابد من الصبر عليها فالنبي ﷺ يقول « **استوصوا بالنساء خيرًا ، فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن استمتعت به استمتعت به وفيه عوج فاستوصوا بالنساء خيرًا** » رواه البخاري ومسلم [٣] .

ولو وجد الرجل تقصيرًا من المرأة في جانب ، فقد تكون مكملة في الجانب الآخر ، فقد جاء في صحيح مسلم [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقًا رضي منها آخر**» **أو قال:** «**غيره**» ومنى لا يفرك : أي يبغض.

---

(١) أبو داود برقم (٢١٣٣) والترمذي برقم (١١٤١).
(٢) أبو داود برقم (٢١٤٢) وقال العلامة الألباني صحيح.
(٣) البخاري برقم (٥١٨٦) ومسلم برقم (١٤٦٨).
(٤) مسلم برقم (١٤٦٩).

وقد تكون الإساءة من قبل الزوجة لزوجها ، وما أكثر ذلك من قبل النساء للرجال إلا من رحم الله فقد ثبت عند الترمذي [١] عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا » ومعنى دخيل : أي ضيف ، ومعنى يوشك : يقترب.

وسوء المعاملة من الزوجة لزوجها تكون إما بالفعل ، وإما بالقول.

أما بالفعل ففي صحيحي البخاري ومسلم[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح**» .

وفي رواية لمسلم [٣] «**والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها، فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**» ومعنى فتأبى: أي تمتنع .

وقد تجمع بين الإساءتين فتعصي أمره وتشتمه بلسانها عياذًا بالله من ذلك.

أما الإساءة بالقول ، ففي صحيحي البخاري ومسلم [٤] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ «**أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: « **يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط** » .

---

(١) الترمذي برقم (١١٧٤) ، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترمذي .
(٢) البخاري برقم (٥١٩٣) ومسلم برقم (١٤٣٦) .
(٣) مسلم برقم (١٤٣٦) .
(٤) البخاري برقم (٢٩) ومسلم برقم (٩٠٧) .

وقد قال بعض الأعراب يشكو سوء المعاملة من زوجته :

لقد كنت محتاجًا إلى موت زوجتي ولكن قرين السّوء باق معمّر
فيا ليتها صارت إلى القبر عاجلاً وعـــذّبها فيه نكير ومنكر

وقال الآخر :

لها جسم برغوث وساقا بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
وتــبرق عيناها إذا مـا رأيتها وتعبس في وجه الضّجيع وتكلح
وتفتح- لا كانت- فما لو رأيته تـوهّمـتـه بـابًـا مـن الـنـار يفتح
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوّذ منها حين يمسي ويصبح

وإن كان في هذا الكلام نوع من المجازفة ، ومما لا ينبغي قوله ، ولكن انظر إلى مدى خطورة سوء المعاملة .

الصورة الرابعة : سوء المعاملة للعبيد والعمال :

وما أكثر سوء المعاملة التي تكون من بعض الناس إلى عمالهم ، وأجرائهم ، وقد جاء عند ابن ماجه [١] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ : «**أعطوا الأجير أجره، قبل أن يجف عرقه**» .

فيا ويل لمن يستأجر الأجراء ، ثم يسيء إليهم بالمعاملة ، كأن يمنعهم من إعطاء أجرتهم أو يظلمهم بالضرب والطرد والسب ولذلك ثبت في صحيح البخاري [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ ، قال: « **قال الله: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حرًا فأكل**

(١) ابن ماجه برقم (٢٤٤٣) وصححه العلامة الألباني كما في الإرواء برقم (١٤٩٨).
(٢) البخاري برقم (٢٢٧٠) .

ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يعطه أجره » .

وفي صحيح البخاري [١] عن المعرور بن سويد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: رأيت أبا ذر الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا، فشكاني إلى النبي ﷺ ، فقال لي النبي ﷺ : «**أعيرته بأمه**»، ثم قال: «**إن إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم**» .

وعن أبي مسعود البدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنت أضرب غلامًا لي بالسوط، فسمعت صوتًا من خلفي، «اعلم، أبا مسعود»، فلم أفهم الصوت من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسول الله ﷺ ، فإذا هو يقول: «**اعلم، أبا مسعود، اعلم، أبا مسعود**»، قال: فألقيت السوط من يدي، فقال: «**اعلم، أبا مسعود، أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام**»، قال: فقلت: لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا، فقلت: يا رسول الله، هو حر لوجه الله، فقال: «**أما لو لم تفعل للفحتك النار**»، أو «**لمستك النار**» رواه مسلم [٢] .

الصورة الخامسة: سوء المعاملة للحيوانات:

عن عبد الله بن جعفر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا، أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: «**من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟**»،

---

(١) البخاري برقم (٢٥٤٥) .
(٢) مسلم برقم (١٦٥٩) .

فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه**»[(١)].

ومعنى ذفراه: أي، خلف أذنيه.

تدئبه: أي، تسوقه سوقًا شديدًا.

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت جوعًا، فدخلت فيها النار**» قال: فقال: والله أعلم: «**لا أنت أطعمتها ولا سقيتها حين حبستيها، ولا أنت أرسلتها، فأكلت من خشاش الأرض**» رواه البخاري وغيره.[(٢)]

خشاش الأرض: أي حشرات الأرض.

وعن سهل بن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر رسول الله ﷺ - ببعير قد لحق ظهره ببطنه- فقال: «**اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة فاركبوها وكلوها صالحة**».رواه أبو داود[(٣)].

معاشر المسلمين: اقتدوا برسول الله ﷺ في المعاملة الحسنة، فإن الله يقول في كتابه الكريم: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فرسول الله ﷺ هو القدوة المثلى، ولقد كان أحرص الناس على هداية قومه، فلقد كانوا يؤذونه ويسبونه ويشتمونه، فيتحمل ذلك منهم ويصبر على الأذى الذي يصدر منهم، بل ويدعو لهم: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون، يريد بذلك وجه الله وعلو دين الإسلام، والأمثلة على ذلك

---

(١) سُنن أبي داود برقم (٢٥٤٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) البخاري برقم (٢٥٦٥).
(٣) سُنن أبي داود برقم (٢٥٤٨) وصححه العلامة الألباني.

كثيرة ومنها ، أي من مواقفه ﷺ مع من أساء إليه ، فاحسن إليه الرسول ، ففي صحيحي البخاري ومسلم [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية»، فأدركه أعرابي فجبذه بردائه جبذة شديدة، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، «**فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء**» .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رجلًا تقاضى رسول الله ﷺ ، فأغلظ له فهم به أصحابه، فقال: «**دعوه، فإن لصاحب الحق مقالًا، واشتروا له بعيرًا فأعطوه إياه**» وقالوا: لا نجد إلا أفضل من سنه، قال: «**اشتروه، فأعطوه إياه، فإن خيركم أحسنكم قضاءً** » رواه البخاري [٢] .

والله أسأله أن يوفقنا وإياكم جميعًا لما فيه رضاه، وأن يرزقنا وإياكم المعاملة الحسنة ، وأن يتوفانا وهو راض عنا وصلى الله على النبيّ الأواب، من جاء بالسُّنَّة والكتاب ، وعلى آله وصحبه ما دجت الا حلاك ودارت الأفلاك.



(١) البخاري برقم (٣١٤٩) ومسلم برقم (١٠٥٧) .
(٢) البخاري برقم (٢٣٩٠) .



البغي وخطورته (١١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى١ :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : حديثنا معكم بمشيئة الله تعالى وإعانته في هذه الجمعة المباركة عن **(البغي وخطورته)** ، وسوف يكون الحديث في هذا الموضوع العظيم تحت النقاط التالية :

١- تعريف البغي .

٢- معاني البغي.

٣- الأدلة من القرآن الكريم في البغي وشناعته.

٤- الأدلة من السُّنَّة في خطورته.

٥- أقوال السلف في البغي وحرمته.

أولاً : تعريف البغي :

أما تعريف البغي قال الزجاج[١] : معنى البغي في اللغة: قصد الفساد.

وفي القاموس بغى عليه بغي بغيًا - علا وظلم وعدل عن الحق واستطال وكذب[٢] .

وقال عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- : البغي : هو مجاوزة الحد.

وقال بعض العلماء:البغي هو الظلم أو الخروج على السلطان،أو الكبر.

وقال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : البغي كل عدوان على الناس.[٣]

وقال الإمام السعدي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : البغي كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض.[٤]

وقال الإمام القرطبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: البغي الكبر والظلم والحقد والتعدي، وحقيقته. تجاوز الحد.[٥]

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ج١(١٤) .
(٢) القاموس ص(١٦٣١) .
(٣) التفسير ج٢(٥٦٣).
(٤) تيسير الكريم الرحمن ج٣(٩١).
(٥) الجامع لأحكام القرآن ج١٠ (١٦٧).

وقال بعضهم البغي: الاستعلاء بغير حق.[١]

ثانيًا: معاني البغي:

ورد البغي في القرآن الكريم على عدة معان منها:

١- الظلم، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾ (الشورى: ٣٩).

٢- المعصية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (يونس: ٢٣).

٣- البغي بمعنى الطلب، ومنه قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴾ (الأعراف: ٤٥)، أي يطلبون لها عوجًا.

٤- الحسد ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ (الشورى: ١٤).

٥- الزنى ومنه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٣٣).

ثالثًا: الأدلة من القرآن الكريم في البغي وشناعته:

إخوة الإيمان: لقد وردت أدلة عظيمة في خطورة البغي وحرمته، فاسمعوا يا رعاكم الله إلى شيء من ذلك، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ

(١) الفتح ج١٢(١٠١).

يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ (الشورى : ٤٢).

وقال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ : ﴿ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴾ (الشورى : ٢٧)، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (يونس : ٢٣)، أي : إن إثم البغي على الباغي إما عاجلًا وإما آجلاً .

وقال بعض السلف : ثلاثة أمور تعود على الإنسان إن فعلها:

الأول : البغي لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ (يونس : ٢٣).

الثانية النكث: لقوله تعالى : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ ﴾ (الفتح : ١٠)، أي لم يفِ بما عاهد الله عليه.

الثالثة المكر: لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ ﴾ (فاطر : ٤٣).

ولقد وعد الله عَزَّوَجَلَّ المظلوم بالنصر على الباغي ، فقال عز شأنه : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ ﴾ (الحج : ٦٠)

قضى الله أن البغي يصرع أهله   وأن على الباغي تدور الدوائر

وأخبر جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه أن الكثير من الخلطاء أي الشركاء ليبغي بعضهم على بعض ، فقال عز شأنه إخبارًا عن داود عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ : ﴿ قَالَ

لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (ص : ٢٤).

وأمر الله عَزَّوَجَلَّ بقتال البغاة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات : ٩).

وهكذا لما زاد بغي فرعون وظلمه وطغيانه أغرقه الله في اليم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ (يونس: ٩٠-٩١).

وخسف الله بقارون الأرض لما كفر وبغى على قومه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ

فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (القصص : ٧٦- ٨٣).

وقد أخبرنا ربنا جل في علاه أن البغي من أعمال اليهود ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾ (البقرة : ٩٠).

ولقد عاقب الله اليهود فحرم عليهم كثيرًا من الطيبات بسبب ظلمهم وبغيهم ، فقال جلت عظمته: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٖۖ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ وَٱلۡغَنَمِ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتۡ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلۡحَوَايَآ أَوۡ مَا ٱخۡتَلَطَ بِعَظۡمٖۚ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٤٦) ، وقوله ﴿ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ أي : فيما أخبرن به عنهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ (النساء : ٨٧)، وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ (النساء : ١٢٢).

أيها المسلمون: لقد حرم الله البغي ، فلا يجوز أن يظلم بعضنا بعضًا ، ولا أن يبغي بعضنا على بعضٍ: قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ

﴿وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل : ٩٠)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف : ٣٣).

ولقد حرم رب العالمين جَلَّ وَعَلَا على العبد أن يبغي على زوجته ، فقال عز شأنه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ (النساء : ٣٤).

عباد الله: وهكذا حذر رسول الله ﷺ من البغي أيما تحذير ، وبين رسول الله ﷺ عقوبته في الدنيا والآخرة ، ففي سنن أبي داود[١] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة مثل البغي وقطيعة الرحم**» .

وعند الطبراني[٢] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **اثنتان يعجلهما الله في الدنيا: البغي وعقوق الوالدين**» .

وعند الحاكم في مستدركه[٣] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا : البغي ، والعقوق**» .

وعند البيهقي [٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : « **ليس**

(١) سنن أبي داود برقم (٤٩٠٢).
(٢) صحيح الجامع للألباني برقم (١٣٧).
(٣) المستدرك (ج٤/ ١٧٧) الصحيحة للألباني برقم (١١٢٠).
(٤) سنن البيهقي (ج١٠/ ٣٥) السلسلة الصحيحة للألباني برقم(٩٧٨).

شيء أطيع الله فيه أعجل ثوابًا من صلة الرحم وليس شيء أعجل عقابًا من البغي وقطيعة الرحم واليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » .

ومعنى بلاقع أي لا شيء فيها ، وأنه يفتقر الحالف ويذهب ما في بيته من الخير والمال ، وهذا في الدنيا فكيف في الآخرة.

وعند ابن ماجه[١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قال: قيل لرسول الله ﷺ : أي الناس أفضل؟ قال: «**كل مخموم القلب، صدوق اللسان**» ، قالوا: صدوق اللسان، نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «**هو التقي النقي، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غل، ولا حسد**» .

الغل بالكسر ، الحقد.

وعن أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيصيب أمتي داء الأمم**» فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: «**الأشر والبطر والتكاثر والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي**» . [٢]

و عن عياض المجاشعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ، قال رسول الله ﷺ : «**وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد، ولا يبغي أحد على أحد**». [٣]

وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال النبي ﷺ : «**إن من أربى الربا ، الاستطالة في عرض المسلم بغير حق**» . [٤]

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا ، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره التقوى**

---

(١) سنن ابن ماجه برقم (٤٢١٦)،الصحيحة للألباني برقم (٩٤٨).
(٢)المستدرك (٤/ ١٦٨) الصحيحة للألباني برقم (٦٨٠).
(٣) مسلم برقم (٢٨٦٥).
(٤) سنن أبي داود برقم (٤٨٧٦).

هاهنا -ويشير إلى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»[١] .

وعند أبي داود[٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان النبي ﷺ يقول في دعائه: « **وانصرني على من بغى علي** » .

والبغي محرم حتى بالكلمة ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه [٣] عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أن رسول الله ﷺ ، حدث « **أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك** » أو كما قال.

وروى أبوداود في سُننه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الأخر على الذنب، فيقول: أقصر، فوجده يومًا على ذنب، فقال له: أقصر، فقال: خلني وربي، أبعثت علي رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك -أو لا يدخلك الله الجنة- فقبض أرواحهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : **والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته .**

لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر، فوجده يومًا على ذنب فقال له أقصر فقال خلني وربى أبعثت على رقيبًا فقال : والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة. فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال

(١) مسلم برقم (٢٥٦٤) .
(٢) سنن أبي داود برقم (١٥١٠) .
(٣) مسلم برقم (٢٦٢١) .

لهذا المجتهد: أكنت بي عالمًا أو كنت على ما في يدى قادرًا ، وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار ».

قال أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : والذى نفسى بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته. وقد بوب له أبو داود باب في النهى عن البغي.

ومعنى متواخيين : أي متقابلين في الخير والشر ، فهذا يعمل في الخير وهذا يعمل في الشر.

ومعنى قوله أقصر: أي كف عن الذنب.

ومعنى قوله أوبقت : أي أهلكت تلك الكلمة دنياه وآخرته.

نسأل الله العافية من كل بلاء وفتنة.

هكذا البغي يكون بالأقوال كالكسب والشتم والذم ، ويكون بالأفعال كالضرب والقتل وأخذ الأموال ، وغير ذلك من أنواع الأذى والعدوان.

نسأل الله العلي القدير أن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين ، وأن يثبتنا على الكتاب والسُّنَّة ، إنه أرحم الرحمين.

والحمد لله رب العالمين .



الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وراقبوه في السر والعلن.

إخوة الإيمان والإسلام: البغي مصرعه عظيم ومرتعه وخيم ، ولهذا قال بعض السلف: البغي مرتعه وخيم وأعجل الأشياء عقوبة البغي.

بغيت فلم تقع إلا صريعًا   كذلك البغي يصرع كل باغ

وصدق رب العزة ذو الجلال والعظمة القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأنعام : ١٢٩).

وما من يد إلا يد الله فوقها   وما من ظالم إلا سيبلى بأظلم

قال بعض السلف : إياك والبغي ، فإنه يصرع الرجال ويقطع الآمال.

وقال بعضهم : من سل سيف العدوان أغمد في رأسه.

ولله در من قال:

ومن يحتفر بئرًا ليسقط غيره   يقع دون شك بالذي هو حافر

قضى الله أن البغي يصرع أهله ... وأن على الباغي تدور الدوائر

قال بعض العلماء :إذا ظلمت من دونك عاقبك من فوقك.

وقال آخر: إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: والله لو بغى جبل على جبل لدك الباغي منهما[1].

ولو بغى جبل يومًا على جبل ... لدك منه أعاليه وأسفله

معاشر المسلمين : انظروا إلى أحوال البغاة الظالمين كيف كان عاقبة أمرهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(العنكبوت : ٤٠).

فقوله :﴿ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ ﴾ ، وهو قارون الذي طغى وبغى وعتا ، وعصى الرب الأعلى ومشى في الأرض مرحًا، وفرح ومرح وتاه بنفسه، واعتقد أنه أفضل من غيره ، واختال في مشيته ، فخسف الله به وبداره الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة[2].

يقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحكام الظلمة :

تحكموا فاستطالوا في تحكمهم ... عما قليل كأن الأمر لم يكن

لوا أنصفوا أُنصفوا لكن بغوا ... فبغي عليهم الدهر بالأحزان والمحن

---

(١) صح هذا الأثر موقوفًا ولم يصح مرفوعًا انظر السلسلة الضعيفة برقم (١٩٤٨).
(٢) تفسير ابن كثير ج٦(٦١).

فأصبحوا ولسان الحال ينشدهم هـذا بـذاك ولا عتب على الزمن

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في النفس كبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجرأة نمرود واستطالة فرعون وبغي قارون وقحة [(١)] هامان ، وهوى بلعام وحيل أصحاب السبت ، وتمرد الوليد وجهل أبي جهل ، وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب ، وشره الكلب ، ورعونة الطاووس ، ودناءة الجعل ، وعقوق الضب ، وحقد الجمل ، ووثوب الفهد ، وصولة الأسد ، وفسق الفأرة ، وخبث الحية ، وعبث القرد ، وجمع النملة ، ومكر الثعلب ، وخفة الفراش ، ونوم الضبع ، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند ولا تصلح سلعته لعقد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ (التوبة : ١١١) ، فما اشترى إلا سلعة هذبها الإيمان فخرجت من طبعها إلى بلد سكانه التائبون العابدون [(٢)].

أيها الأخوة المسلمون : اتقوا الله وعظموا أمره ، واحذروا غضبه وسخطه واعلموا أن المعاصي سبب لجميع الشرور والآثام ، وسبب لكل البلايا والأسقام.

فبالمعصية يهون العبد على ربه وخالقه ، وترفع مهابته من قلوب خلقه، وصدق الله القائل في كتابه الكريم: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾ (الحج : ١٨).

ولهذا يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هانوا عليه فعصوه ، ولو عزوا

---

(١) قحة هامان: أي وقاحته.

(٢) فوائد الفوائد ترتيب الشيخ علي الحلبي ص(٤٦٣ -٤٦٤).

عليه لعصمهم.

نسأل الله العظيم العافية من كل بلاء ومحنة ، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وجد بحلمك على من لم يرج غيرك ، اللهم جنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، اللهم حبب الإيمان إلى قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، والحمد لله رب العالمين.





(١٢) تحريم الظلم

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا معكم اليوم عن (**الظلم وخطورته**).

الظلم في اللغة: النقص ومنه قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا

بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ (الأنبياء : ٤٧) ، وقال تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔاۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ (الكهف : ٣٣).

والظلم : وضع الشي في غير محله باتفاق أئمة اللغة.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الظلم: هو التصرف في ما لا يملك ابن آدام[1].

ولقد نزه الله نفسه عن الظلم وحرمه على نفسه ، وجعله بين العباد محرمًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (فصلت : ٤٦) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٤٠) وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (يونس : ٤٤) وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (آل عمران : ١٠٨).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ق : ٤٦) .

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ ، فيما روى عن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أنه قال: «**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا**» .

وإن من أخطاء الناس قول بعضهم- الله يظلم من ظلمني - ففيه نسبة الظلم إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، والله قد نزه نفسه عن الظلم وحرمه على نفسه كما سبق في هذه الأدلة.

(١) نزهة الأعين النواظر ص(٤٢٦).
(٢) مسلم برقم (٢٥٧٧).

والظلم على ثلاثة أقسام:

١- ظلم بين الإنسان وبين ربه.

٢- ظلم بينه وبين نفسه.

٣- ظلم بينه وبين الناس.

ففي مُسند الطيالسي [(١)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: « **الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يغفر، وظلم لا يغفر، فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الذي لا يترك فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض** ».

قال تعالى: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ق: ٢٩).

القسم الأول: الكفر بالله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (يونس: ١٠٦)، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٤)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان: ١٣).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾ (الأنعام: ٨٢).

---

(١) مُسند الطيالسي برقم (٢٢٢٣) الصحيحة برقم (١٩٢٧).

وأما القسم الثاني : فظلم العبد لنفسه :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وظلمه لنفسه يكون بترك واجب كما يكون بفعل محرم[1].

فإذا دنس العبد نفسه ولوثها بالمعاص فقد ظلمها ، والأدلة على هذا كثيرة جدًا ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (النساء : ١١٠) .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(النحل:١١٨)،وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(آل عمران: ١٣٥).

وقال تعالى عن أبي البشر وزوجته عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٣).

وقال تعالى عن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (القصص : ١٦).

وقال تعالى عن نبيه يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(الأنبياء : ٨٧).

وقال تعالى عن ملكة سبإ: ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (النمل : ٤٤).

(١) مجموع الفتاوى ج١١(٦٩٢).

وروى الإمام البخاري ومسلم في صحيحيهما [١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للنبي ﷺ: يا رسول الله، علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: «**قُل اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك إنك أنت الغفور الرحيم**» .

وفي صحيح مسلم [٢] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ ، أنه كان إذا قام إلى الصلاة، قال: «**وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ، أنت ربي، وأنا عبدك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعًا** » .

إخوة الإيمان : ولقد سمى الله كثيرًا من الذنوب ظلمًا ، فمن وقع في ذنب من الذنوب فقد صار ظالمًا لنفسه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ** ﴾ (الطلاق : ١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ** ﴾(البقرة: ٢٢٩).

وقد سمى السرقة ظلمًا فمن سرق فإنه من الظالمين ، قال جل ذكره في كتابه المجيد: ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾** ﴾ (المائدة: ٣٨ - ٣٩).أي بعد سرقته.

وقال تعالى إخبارًا عن إخوة يوسف: ﴿ **قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾** ﴾ (يوسف : ٧٣ - ٧٥) ، أي السارقين.

---

(١) البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥).
(٢) مسلم برقم (٧٧١).

والمرابي ظالم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾ (البقرة : ٢٧٨–٢٧٩).

وقاتل نفسه من الظالمين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ (النساء : ٢٩–٣٠) .

والذي يحكم بغير ما أنزل الله ظالم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (المائدة : ٤٥).

والذي يجحد آيات الله من الظالمين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾ (الأنعام : ٣٣).

والذي يوالي أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، والمشركين من الظالمين ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة: ١٥).

وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (التوبة : ٢٣).

فكن حذرًا يا من أكرمك الله بهذا الدين ، وأعزك به من مخططات الأعداء وأساليبهم ومكرهم ، والركون إليهم وحبتهم وطاعتهم ، فإن ذلك يفضي إلى عذاب الله ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ (هود : ١١٣).

القسم الثالث: ظلم العبد لغيره وهو على أقسام :

أن يظلمه في دمه أو يظلمه في ماله أو يظلمه في عرضه ،أو يصدر منه ظلم للحيوانات ، ففي الصحيحين [١] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ : « **إن دماءكم وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا، في شهركم هذا** ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «**كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**» رواه مسلم [٢] .

وأما الظلم للحيوانات ففي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ «**دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض**» ومعنى خشاش الأرض: أي حشرات الأرض.

وعن سهل ابن الحنظلية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لحق ظهره ببطنه، فقال: «اتقوا الله في هذه البهائم المعجمة، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة» رواه أبو داود[٤] .

عن عبد الله بن جعفر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أردفني رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلي حديثًا لا أحدث به أحدًا الناس، وكان أحب ما استتر به رسول الله ﷺ لحاجته هدفًا، أو حائش نخل، قال: فدخل حائطًا لرجل

---

(١) البخاري برقم (١٠٥) ومسلم برقم (١٦٧٩).
(٢) مسلم برقم (٢٥٦٤) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) البخاري برقم (٣٣١٨) ومسلم برقم (٢٦١٩).
(٤)أبو داود برقم (٢٥٤٨) وحسنه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح ج٢(١٩٩).

الأنصار فإذا جمل، فلما رأى النبي ﷺ حن وذرفت عيناه، فأتاه النبي ﷺ فمسح ذفراه فسكت، فقال: «**من رب هذا الجمل، لمن هذا الجمل؟**»، فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال: «**أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها؟، فإنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه**»[١].

ومعنى ذفراه: أي، خلف أذنيه. تدئبه: أي، تسوقه سوقًا شديدًا.

أيها المسلمون: الظلم مرتعه وخيم وخطير وعظيم، ولقد وردت نصوص عظيمة وأدلة كثيرة تدل على خطورته وشناعته، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ (الشعراء: ٢٢٧).

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في تفسير هذه الآية، والصحيح أن هذا الآية في كل ظالم.[٢]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩) ومعنى قوله: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ أي هيأنا وأرصدنا.

وقال تعالى: ﴿ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (الإنسان: ٣١).

ومعنى أليما: أي موجعًا للقلب والأبدان.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا

---

(١) سُنن أبي داود برقم (٢٥٤٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) تفسير ابن كثير ج٥(٦٥٩).

لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ ﴾ (النساء : ١٦٨ - ١٦٩).

ولقد بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الظلم سبب ومانع من الوصول إلى الهداية كما قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الصف : ٧).

وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن لعنته ومقته للظالمين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الأعراف : ٤٤ - ٤٥).

وبين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في مواضع آخر أن الظالم هو من يظلم الناس قال تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الشورى : ٤٠ - ٤٢).

والظلم يقصم القرى ويهلك الديار ، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾ (الكهف : ٥٩).

و قال تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّوا۟ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (الأنبياء: ١١ - ١٥).

قال الإمام الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)] في قوله تعالى: ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا ﴾ صل القصم: أفظع الكسر؛ لأنه الكسر الذي يبين تلاؤم الأجزاء، بخلاف الفصم - بالفاء - فهو كسر لا يبين تلاؤم الأجزاء بالكلية. والمراد بالقصم في الآية: الإهلاك الشديد.

وقال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (هود : ١٠٠ -١٠٣).

وقال تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ (الحج : ٤٥).

قال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا مررت بأرض قد خربت ، وبأهلها قد تفرقوا ، وبأس قد تشعب ، وببهاء قد تبدد ، وبمال قد فني ، وبصحة قد ذهبت فاعلم أنها نتيجة الظلم.

وقال تعالى عن قوم صالح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (النمل : ٥٠ -٥٢).

أمة الإسلام : إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أعد أشد العذاب للظالمين ، وأخبرنا

(١) تفسير أضواء البيان ج٤(٦٠٩).

جَلَّجَلَالُهُ أنهم في عذاب سرمدي لانهاية له ، فقال جل ذكره : ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ الشورى : ٤٥).

إن الظالمين حينما يرون العذاب يتمنون العودة والرجعة إلى الدنيا ، ليتوبوا إلى الله مما وقعوا فيه من الظلم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ (الشورى : ٤٤ -٤٥).

فلا إله إلا الله ما أشد تأسفهم !! ولا إله إلا الله ما أعظم حسرتهم ! وصدق الله القائل: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (غافر : ٥٢) ، ليس لهم نصير ولا شفيع ولا ولي قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر : ١٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (الشورى : ٨).

فيا عباد الله : اتقوا الله واحذروا الظلم فعاقبته سيئة ، قال بعض العلماء[١] من جمع مالًا بظلم أورثه الله فقرًا بغير ظلم.[٢].

وقيل أن ولدًا ليحيى البرمكي الوزير قال له وهم في القيود : يا أبه ، بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا؟ قال يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها لم يغفل الله عنها.

(١) سير أعلام النبلاء ج٨(٣٦).
(٢) سير أعلام النبلاء ج٩(٦٠ -٦١).

وصدق الله ربنا القائل في كتابه الكريم : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (إبراهيم : ٤٢- ٤٥).

وقال بعض السلف : إذا دعتك قدرتك على الناس إلى ظلمهم فذكر قدرة الله عليك[١].

إذا جـــار الأمـــير وكـــاتـبـاه وقــاضي الأرض داهن في القضاء

فــويـــل ثـــم ويـــل ثـــــم ويـــل لقاضي الأرض من قاضي السماء

وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) سير أعلام النبلاء ج٥(١٣١).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أما بعد:

فيا أيها المؤمنون : الظلم أنواعه كثيرة وصوره عديدة: قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الظلم يكون بأكل أموال الناس وأخذها ظلمًا... وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي أو الاستطالة على الضعفاء ، وغيره مما فيه ظلم للناس.[(١)].

معاشر المؤمنين ، ما أكثر الأحاديث الواردة في تحريم الظلم وفي عقوبة الظالمين ، وها انا أورد لكم ما تيسر منها بمشئة الله تعالى: ففي صحيح مسلم [(٢)] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ ، قال: «اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»

و عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «لَتُؤَدُّنَّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجَلْحَاءِ، من الشاة القَرْنَاءِ» [(٣)].

وعن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : **«إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» قال: ثم قرأ:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(هود : ١٠٢).رواه البخاري ومسلم[(٤)].

(١) الكبائر ص(١٤١).
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٧٨).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٥٨٢).
(٤) البخاري برقم (٤٦٨٦) ومسلم برقم (٢٥٨٣).

وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ظلم من الأرض شيئًا طوقه من سبع أرضين» رواه البخاري ومسلم[١].

و عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ، قال: «**أتدرون ما المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة، وصيام، وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار**» رواه مسلم [٢].

والنبي ﷺ يقول لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «واتق دعوة المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب» رواه البخاري ومسلم [٣].

وفي مُسند الإمام أحمد[٤] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجرًا ففجوره على نفسه**» .

ولله در القائل:

أد الأمانة والخيانة فاجتنب واعدل ولا تظلم يطيب المكسبُ

واحذر من المظلوم سهمًا صائبًا واعلم بأن دعاءه لا يحجب

وقال آخر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرًا فالظلم ترجع عقباه إلى الندم

(١) البخاري برقم (٢٤٥٢) ومسلم برقم (١٦١٠).
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٥٨١).
(٣) البخاري برقم (٢٤٤٨) ومسلم برقم (١٩) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أحمد برقم (٨٧٩٥) والسلسلة الصحيحة برقم (٧٦٧).

تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال آخر :

أما والله إن الظلم شؤم ولا يزال المسيء هو الظلوم

إلى الديان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم في الحساب إذا التقينا غدًا عند المليك من الملوم

وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام وسوء تربية البنين من الظلم المؤاخذ عليه صاحبه في الدينا والآخرة.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهندِ

والجزاء من جنس العمل ، وكما تدين تدان ، ومن ظلم ظُلم ، ومن أساء ندم ومن رحم رحم.

أيها المؤمنون : إن الظلم سبب في نزول النكبات والكوارث والويلات، وحصول ضيق العيش والأزمات على المجتمعات ، والظلم من أسباب الدمار ، والخراب بالظلم تزول النعم وتظهر الفتن وتحل النقم.

قال بعض السلف : ما نزل بلاء الإ بذنب وما رفع إلا بتوبة.

ولله در من قال:

يـأيها الظـلم في فعـله فالظلم مردود على من ظلم

إلى متى أنت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

اللهم احفظنا بالإسلام قائمين ، واحفظنا بالإسلام قاعدين ، واحفظنا بالإسلام راقدين ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين.

اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين ، رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما ، ارحمنا برحمة من عندك تغنينا عن رحمة من سواك، اللهم ارفع الظلم عن المظلومين ، اللهم فك أسرهم واكشف كربهم ، واجعل لهم من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل بلاء عافية، والحمد لله رب العالمين.





١٣ خطورة مغالاة المهور

الخُطْبَةُ الأُولَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا معكم في هذه الجمعة المباركة إن شاء الله تعالى عن خطورة مغالاة المهور ، وسيكون الكلام تحت العناصر الآتية:

* تعريف الصداق.

* حكمه.

* ذكر الأدلة من سُنَّة رسول الله ﷺ في ذم مغالاة المهور.

* أقوال العلماء في مغالاة المهور.

* أسباب مغالاة المهور.

* الأضرار الناتجة والأثار السيئة المترتبة على مغالاة المهور.

أمة الإسلام : الصداق هو المال أو النفع الذي يبذله الزوج لامرأته عوضًا عن نفسها ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ﴾ (النساء : ٤) ، فسماه الله في هذه الآية صدقات جمع صداق ، وسماه نحلة: أي فريضة.

ويسمى أجرًا وفريضة ، كما قال سبحانه: ﴿ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ ﴾ (النساء : ٢٤) ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ ﴾ (الممتحنة : ١٠) .

ويسمى مهرًا ، ويسمى عُقرًا ، وله عدة أسماء ، والعامة يسمونه دفعًا، ويسمونه سياقًا ، ويسمونه شرطًا[١] ، و يسمى الصداق بهذا الاسم لأنه يشعر بصدق رغبة الزوج في الزوجة.

وهذا الصداق أو المهر واجب على الرجل بالنكاح أو الوط ء بإجماع علماء المسلمين [٢]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإن الصداق شرع في الأصل حقًا للمرأة تنتفع به، فإذا رضيت بالعلم والدين وإسلام الزوج وقراءته للقرآن كان هذا من

---

(١) إبهاج المسلمين: بشرح منهاج السالكين لابن جبرين ج٢ (٢٥٥).
(٢) الاستذكار لابن عبد البر ج٤ (٤١٠).

أفضل المهور وأنفعها وأجلها، فما خلا العقد عن مهر[١].

أيها المؤمنون : ينبغي للمسلمين أن يتعاونوا فيما بينهم على تخفيف المهور ، فإن مغالاة المهور من قواصم الظهور ، وحجر عثرة في طريق الزواج ، فكم حصل من مضرة على الرجال والنساء بسبب مغالاة المهور، وكم يوجد من الشباب العُزب ومن العوانس في البيوت بدون زواج بسبب هذا الأمر ، فمتى سنقضي على هذه العادات السيئة ، والعراقيل المشينة؟ لقد عسرنا اليسير وحكمنا العادات ، حتى أصبح الزواج سببًا للقلق والبلاء والشقاء ، وأعرض الكثير والكثير من الشباب عن الزواج، فحصل بعد هذا الإعراض من العواقب الوخيمة والمفاسد الكبيرة .

وصدق نبينا الكريم ﷺ القائل: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض**» رواه الترمذي[٢] .

حتى إن رجلًا كان عنده بنت صغيرة تمشي معه وهو يلاعبها وكان يضع يده على رأسيها وهو يقول سيارة يريد بذلك أنه سوف يبيعها بقيمة سيارة فجاءت سيارة فقتلتها.

معاشر المسلمين: وهذه أدلة عظيمة من سُنَّة رسول الله ﷺ في تيسير الزواج ، وذم المغالاة في المهور ، ففي مُسند الإمام أحمد[٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت ، قال رسول الله ﷺ : « **إن من يُمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها**» .

وعن أبي العجفاء السلمي قال: خَطَبَنَا عمر بن الخطاب يومًا فقال

(١) زاد المعاد ج٥(١٦٢).
(٢) الترمذي برقم (١٠٨٤) وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (١٠٢٢). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أحمد برقم (٢٤٤٧٨) وسنده حسن.

«ألا لا تغالوا في صَدُقات النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية» رواه أبو داود والترمذي [١].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لما تزوج علي بفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وأراد أن يدخل بها قال له رسول الله ﷺ: «**أعطها شيئًا**»، قال: ما عندي شيء، قال: «**أين درعك الحُطَمِيَّةُ؟**» فأعطاها درعه. رواه أبو داود والنسائي[٢].

وقال أبو سلمة: قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كم كان صداق رسول الله ﷺ؟ قالت: «**كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقيةً وَنَشًّا**»، قالت: «**أتدري ما النش؟**» قال: قلت: لا، قالت: «**نصف أوقية، فتلك خمسمائة درهم، فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه**» رواه مسلم[٣].

قال الشيخ صالح الفوزان وفقه الله: واثنتا عشرة أوقية تساوي مائة وعشرين ريال سعوديًا، بالريال الذي هو من الفضة، أين هذا المبلغ من مبالغ المهور التي تعلمونها اليوم؟!![٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «**هل نظرت إليها؟ فإن في عيون الأنصار شيئًا**» قال: قد نظرت إليها، قال: «**على كم تزوجتها؟**» قال: على أربع أواق، فقال له النبي ﷺ: «**على أربع أواق؟ كأنما تنحتون**

---

(١) أبو داو برقم (٢١٠٦) والترمذي برقم (١١١٤) وحسنه الألباني في الإرواء برقم (٣٤٧).

(٢) أبو داو برقم (٢١٢٥) والنسائي ج٦ (١٢٩) وغيرهما.

(٣) رواه مسلم برقم (١٤٢٦).

(٤) الخطب المنبرية ج٤ (٤٢٢).

الفضة من عرض هذا الجبل، ما عندنا ما نعطيك، ولكن عسى أن نبعثك في بعث تصيب منه»، قال: فبعث بعثًا إلى بني عبس بعث ذلك الرجل فيهم» رواه مسلم [١]. ومعنى قوله: أربع أواق من الفضة الأوقية أربعون درهمًا المجموع مائة وستون درهمًا.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ رأى على عبد الرحمن بن عوف أثر صُفْرَةٍ، فقال: «**ما هذا؟**»، قال: يا رسول الله، إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب، قال: «**فبارك الله لك، أولم ولو بشاة**» رواه البخاري ومسلم[٢].

قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: ومعنى وزن النواة فسرها العلماء بخمسة دراهم من الذهب.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: ثلاثة دراهم من ذهب وثلث، وقيل غير ذلك.[٣]

وعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، جئت أَهَبُ لك نفسي، قال: فنظر إليها رسول الله ﷺ فصعد النظر فيها وَصَوَّبَهُ، ثم طأطأ رسول الله ﷺ رأسه، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئًا جلست، فقام رجل من أصحابه، فقال: يا رسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال: «وهل عندك من شيء؟» قال: لا والله يا رسول الله، فقال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئًا»، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله ما وجدت شيئًا،

(١) رواه مسلم برقم (١٤٢٤).
(٢) البخاري برقم (٥١٦٧)و مسلم برقم (١٤٢٧).
(٣) عون المعبود ج٦ (٩٨).



فقال رسول الله ﷺ : «انظر ولو خاتمًا من حديد»، فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتمًا من حديد، ولكن هذا إزاري - قال سهل: مَالَهُ رداء - فلها نصفه، فقال رسول الله ﷺ : «**ما تصنع بإزارك إن لبسته لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء**»، فجلس الرجل حتى إذا طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ موليًا، فأمر به فدعي، فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن». قال: معي سورة كذا وسورة كذا، عددها، فقال: « تقرؤهن عن ظهر قلبك» قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن» رواه البخاري ومسلم [١] .

وعن أبي حدرد الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أنه أتى النبي ﷺ يستفتيه في مهر امرأة، فقال: « **كم أمهرتها؟** » قال: مائتي درهم، فقال: « **لو كنتم تغرفون من بطحان ما زدتم** » رواه أحمد وغيره [٢] .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: «كان الصداق إذ كان فينا رسول الله ﷺ عشرة أواق» أي من فضة» رواه النسائي [٣] .

عباد الله : قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : ولقد زوج سعيد بن المسيب ابنته على درهمين لكثير بن أبى وَدَاعَة- وكانت من أحسن النساء وأكثرهم أدبًا وأعلمهم بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج- وكان فقيرًا، فأرسل إليه بخمسة آلاف، وقيل: بعشرين ألفًا، وقال: استنفق هذه. وقصته في ذلك مشهورة، وقد كان عبد الملك خطبها لابنه الوليد فأبى سعيد أن يزوجه بها، فاحتال عليه حتى ضربه بالسياط [٤] .

(١) البخاري برقم (٥٠٨٧)و مسلم برقم (١٤٢٥).
(٢) أحمد برقم (١٥٧٠٦) الصحيحة برقم (٢١٧٣).
(٣) النسائي ج٦ (١١٧) وهو في صحيح النسائي برقم (٣٣٤٨).
(٤) البداية والنهاية ج٩ (١٠٦).

وقال أبو وداعة رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة فقال: إن أنا فعلت تفعل قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة، قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائمًا، فقدمت عشاي لأفطر، وكان خبزًا وزيتًا، وإذا بالباب يقرع، فقلت: من هذا ؟، قال: سعيد، ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب، فإنه لم ير منذ أربعين سَنة إلا ما بين بيته والمسجد، فقمت وخرجت، وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إلي فآتيك قال: لا، أنت أحق أن تؤتى، قلت: فما تأمرني قال: رأيتك رجلًا عزبًا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب .

ثم صعدت إلى السطح، فناديت الجيران، فجاءوني وقالوا: ما شأنك فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمي فجاءت وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثًا ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسُنَّة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج؛ قال: فمكث شهرًا لا يأتيني ولا

(١) وفيات الأعيان ج٢ (٣٧٦- ٣٧٧)



آتيه، ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته، فسلمت عليه، فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد، فلما لم يبق غيري، قال: ما حال ذلك الإنسان قلت: هو على ما يحب الصديق ويكره العدو، قال: إن رابك شيء فالعصا، فانصرفت إلى منزلي.

هؤلاء هم الرجال حقًّا وصدقًا.

نسأل الله أن يحفظ لنا علينا ديننا ، وأن يتوفانا مسلمين ، والله أعلم.



الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ولي الصالحين ولا عدوان إلا على الظالمين ، وصلى الله على النبي الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، لقد حذر السلف الصالح من المغالاة في المهور غاية التحذير ، لما في ذلك من الخطر والفتنة والفساد على الشباب والفتيات.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والقصد في الصداق أحب إلينا وأستحب أن لا يزاد في المهر على ما أصدق رسول الله ﷺ نساءه وبناته وذلك خمسمائة درهم طلبًا للبركة في موافقة كل أمر فعله رسول الله ﷺ [1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [2]: تخفيف الصداق وألا يزيد على نساء النبي ﷺ وبناته والمستحب في « الصداق « مع القدرة واليسار : أن يكون جميع عاجله وآجله لا يزيد على مهر أزواج النبي ﷺ ولا بناته وكان ما بين أربعمائة إلى خمسمائة . بالدراهم الخالصة نحوا من تسعة عشر دينارًا . فهذه سُنَّة رسول الله ﷺ من فعل ذلك فقد استن بسُنَّة رسول الله ﷺ في الصداق قال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان : صداقنا إذ كان فينا رسول الله ﷺ عشر أواق وطبق بيديه . وذلك أربعمائة درهم : رواه الإمام أحمد في مُسنده وهذا لفظ أبي داود في سُننه.

وقال أبو سلمة : قلت لعائشة : كم كان صداق رسول الله ﷺ ؟ ،

(١) الأُم ج٥ (٨٩).
(٢) الفتاوى ج٣٢ (١٩٢- ١٩٤).

قالت : كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا . قالت أتدري ما النش ؟ قلت : لا قالت : نصف أوقية : فذلك خمسمائة درهم ، رواه مسلم في صحيحه وقد تقدم عن عمر أن صداق بنات رسول الله ﷺ كان نحوًا من ذلك فمن دعته نفسه إلى أن يزيد صداق ابنته على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هن خير خلق الله في كل فضيلة وهن أفضل نساء العالمين في كل صفة : فهو جاهل أحمق . وكذلك صداق أمهات المؤمنين . وهذا مع القدرة واليسار فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يصدق المرأة إلا ما يقدر على وفائه من غير مشقة .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن المغالاة في المهور مكروهة في النكاح ، وإنها من قلة بركته وعسره [١] .

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فلا تستحب الزيادة على هذا لأنه إذا كثر ربما تعذر عليه ، فيتعرض للضرر في الدنيا والآخرة [٢].

وقال ابن العربي المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وقد تناهى الناس في الصدقات حتى بلغ صداق امرأة ألف ألف وهذا قلَّ أن يوجد من حلال [٣].

عباد الله : هذه أقوال العلماء رحمهم الله تعالى جميعًا في هذا الأمر العظيم، يحذرون من مغالاة المهور ، فأين نحن من هدي الإسلام وتعاليمه؟ فوالله لقد تزوج رجل ممن نعرفه امرأة دفع مهرها تسعة مليون ريالاً يمنيًا ، فهذا أمر مخيف ومفزع ، فإن لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) زاد المعاد ج٥(١٦٢).
(٢) المغني ج١٠ (١٠١).
(٣) أحكام القرآن ج١ (٣٦٤).

أما أسباب مغالاة المهور فهي أسباب كثيرة جدًا منها:

١ - كثرة المال ولم تحدث هذه الظاهرة إلا حينما كثر اليسار لدى الناس.

٢ - رغبة الزوج في الظهور بمظهر الغني القادر.

٣ - الطمع والجشع عند كثير من الأولياء إلا من رحم الله تعالى، حتى إنها أصبحت كالسلعة تباع في الأسواق.

٤ - التقليد الأعمى وكثرة المفاخرة والتباهي أمام الناس.

٥ - طاعة النساء فتقول المرأة فلان زوج بنته بكذا وكذا وأُريد أن تكون بنتي مثل بنت فلان فأصبحت كالسلعة قابلة للمزايدة[1].

٦ - الجهل بالسُّنَّة خاصة في أحكام النكاح.

أما الأضرار الناجمة والآثار المترتبة على ذلك فما أكثرها ومنها:

١ - إعاقة الشباب عن الزواج، وكثرة التساؤل فيُجب سائلهم: كيف أقدر على الزواج مع وجود هذه الشروط المرهقة، التي توجب الإفلاس للأغنياء فضلًا عن الفقراء من أمثالنا؟ وهذا ما يُعانيه الشباب اليوم ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأصبحت البيوت مملوءة بالشباب والعزاب والعوانس.

٢ - حصول الأمراض النفسية لدى الكثير من الشباب بسبب هذا الأمر.

٣ - انتشار العقوق للآباء والأمهات وعدم الطاعة لهم، فإن من أسباب تمرد الأبناء على الآباء مغالاة المهور لما يحصل عندهم من الكبت وخيبة الأمل.

---

(١) وللمزيد من هذه الأسباب راجع فقه الزواج للدكتور السدلان ص(٣٣). وما بعدها.

٤- غش الولي لموليته بامتناعه من تزويجها من الكفء الصالح ، عندما يأتي لخطبة ابنته فيرده لغرض دنيوي ، ولربما جاءه فاسق أو مبتدع وعنده مال فزوجه بها ، فيكون غاشًّا لموليته ، قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من زوج ابنته بفاسق فقد قطع رحمها.

وما أحسن ما قاله الحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لرجل: زوج ابنتك التقي ، فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها [١].

إخوة الإسلام :

ومما ينبغي أن يُعلم أنه لم يأتي في الشرع تحديد لأقل المهر ولا لأكثره ، وذلك لتفاوت الناس في الغنى والفقر ، وقد نقل القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الإجماع أنه لا حَدَّ لكثيره ، وكذلك لم يأتِ دليل صريح يوضح أقله، وإنما يدفع الزوج حسب قدرته وحالته ، فإن كان الزوج ميسورًا أجزل لزوجته العطاء بدون فرض من قِبل أهل زوجته عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ (النساء : ٢٠) ، والقنطار هو المال الجزيل الذي لاحد له.

وعند أبي داود[٢] أن النجاشي زَوَّجَ أم حبيبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا لرسول الله ﷺ وأمهر ها عنه أربعة آلاف، وبعث بها إلى رسول الله ﷺ مع شرحبيل ابن حسنة».

وأما إن كان الزوج معسرًا دفع ما يقدر على دفعه ، فقد زوج النبي ﷺ رجلًا من المسلمين امرأة على أن يعلمها بعض سور القرآن كما مر في الحديث السابق.

(١) وللمزيد من هذه الأسباب راجع فقه الزواج للدكتور السدلان ص(٤٣). وما بعدها.
(٢) أبو داود برقم (٢١٠٧) وإسناده صحيح.

نسأل الله بِمَنِّهِ وكرمه أن يصلح أحوال المسلمين ، وأن يرزقهم الخير والتعاون عليه ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ، ما علمنا منه وما لم نعلم ، اللهم أصلح ولاة أمورنا وارزقهم البطانة الصالحة الناصحة إنك على كل شيء قدير.





١٤ تحريم الغيبة

الخُطبَةُ الأُولَىٰ:

إنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا، مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

حديثنا معكم أيها المؤمنون إن شاء الله تعالى **(عن الغيبة)**.

قال الإمام الجرجاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الغيبة ذكر مساوئ الإنسان في غَيْبته وهي فيه.

وقال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الغيبة هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك بدن الشخص ، أو دينه أو دنياه ، أو نفسه أو خُلقه أو خَلقه أو ماله.....إلخ[(١)] .

وقد عرفها رسول الله ﷺ بقوله « **الغيبة ذكرك أخاك بما يكره** »[(٢)] .

وجاء عند الخرائطي في مساوئ الأخلاق عن المطلب بن عبد الله بن حنطب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « الغيبة أن تذكر الرجل بما فيه من خلقه »[(٣)].

والغيبة خصلة ذميمة وهي من كبائر الذنوب ، وقد دل على حرمتها الكتاب والسُّنَّة والإجماع ، فقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات : ١٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ (النساء : ١٤٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (يوسف : ٧٧).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (يوسف : ٣٠).

---

(١) الفتح ج١٢(٨٨).
(٢) مسلم برقم (٢٥٨٩) وسيأتي بعد إن شاء الله تعالى.
(٣)مساوئ الأخلاق للخرائطي برقم (٢٠١)وصححه الألباني في السلسلة برقم (١٩٩٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (الهمزة : ١).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قيل اللُّمَزَةُ الذي يعيبك في وجهك ، والهمزة الذي يعيبك بالغيب ، وقيل هما شيء واحد [١].

وأما تحريم الغيبة من السُّنَّة ففي صحيح مسلم[٢]عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ، قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بَهَتَّهُ**» .

ومعنى بَهَتَّهُ :أي: قلت فيه البهتان وهو الباطل والكذب والافتراء. ومعلوم أن الكذب والافتراء محرم على المسلم قال تعالى ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ (النور : ١٢) ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الممتحنة : ١٢).

وقال عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : يا رسول الله إن اليهود قومٌ بُهْتٌ. رواه البخاري[٣].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: قلت للنبي ﷺ : حسبك من صفية كذا وكذا، قال أحد الرواة: تعني قصيرة، فقال: «**لقد قلتِ كلمةً لو مُزجت بماء البحر لمزجته**» قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال: «**ما أُحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا**» رواه أبو داود [٤].

---

(١) شرح السُّنَّة للبغوي ج١٣ (١٣٨).
(٢) مسلم برقم (٢٥٨٩).
(٣) البخاري برقم (٣٩٣٨).
(٤) أبو داود برقم (٤٨٧٥) وصححه العلامة الألباني.

ومعنى مزجته: لَغَيَّرَتْهُ.

هذه كلمة واحدة تفعل هذا الفعل العظيم ، فكيف بآلاف الكلمات التي تخرج من أفواه المسلمين التي فيها السّب والشتم والزور.....إلخ.

ومعنى حكيت له إنسانًا: أي حكيت له حركة إنسان.

وعند أبي داود[١] عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم» فقال أبو الدرداء: «كلمة سمعها معاوية من رسول الله نفعه الله تعالى بها»

وفي البخاري ومسلم [٢] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا** ، «**ألا هل بلغت**».

وفي صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه**» .

وعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق**» رواه أبو داود [٤].

ومعنى أربى الربا: أي أعظمه إثمًا وأقبحه جرمًا.

والاستطالة: الطعن في عرض المسلم والوقوع فيه.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا معشر من أسلم**

---

(١) أبو داود برقم (٤٨٨٨) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) البخاري برقم (١٠٥) ومسلم برقم (١٦٧٩).
(٣) مسلم برقم (٢٥٦٤).
(٤) أبو داود برقم (٤٨٧٦) وقد صححه العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه! لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم يتتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» رواه الترمذي [١].

ومعنى لا تعيروهم: أي لا تسبوهم لقبيح القول والفعل.

وعن أسامة بن شَرِيْكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا عباد الله! وضع الله الحرج إلا من اقترض عرض امرئ مسلم ظلمًا فذلك الذي حَرِجَ وهلك»** رواه أحمد [٢].

ومعنى حرج: أي وقع في الإثم.

ومعنى اقترض: أي نال من عرض المسلم فهذا هو الذي حرج وهلك.

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: **« لما عُرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نُحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم »**. رواه أبو داود [٣].

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال كنا عند النبي ﷺ فقام رجل فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي ﷺ: « **تخلل** »، فقال: ومم أتخلل؟ ما أكلت لحمًا، فقال: « **إنك أكلت لحم اخيك** » رواه الطبراني وغيره [٤].

ومعنى تخلل: هو استعمال الخِلاَلِ لإخراج ما بين الأسنان من الطعام [٥].

---

(١) الترمذي برقم (٢٠٣٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع.
(٢) أحمد برقم (١٨٤٥٤) صححه الشيخ شعيب رَحِمَهُ اللهُ كما في تحقيقه على المُسند.
(٣) أبو داود برقم (٤٨٧٨) صحيح صححه العلامة الألباني.
(٤) الطبراني في الكبير برقم (١٠٠٩٢) وصححه الألباني في غاية المرام برقم (٤٢٨).
(٥) النهاية لابن الأثير ج٢(٧٣).

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال كنا مع النبي ﷺ فارتفعت ريح مُنتنة فقال رسول الله ﷺ « أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين» رواه أحمد وغيره[1].

وأما الإجماع فقد نقل الإجماع غير واحد من أهل العلم على تحريم الغيبة وأنها من كبائر الذنوب.

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: والغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين[2].

وقال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولا خلاف أن الغيبة من الكبائر ، وأن من اغتاب أحدًا عليه أن يتوب إلى الله عَزَّوَجَلَّ[3].

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والغيبة محرمة بالإجماع ، ولايُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته كما في الجرح والتعديل والنصيحة[4].

والأحاديث السابقة تدل على أن الغيبة من كبائر الذنوب ، نسأل الله العافية من كل الأعمال المردية والله المستعان.

أمة الإسلام: من منا قد سلم من العيوب؟ من منا قد سلم من الزلل والخطأ ؟ ، من منا قد أصبح معصومًا لا يخطئ.

من ذا الذي ما ساء قد ومن له الحسنى فقط

فالواجب على المسلمين أن يتناصحوا فيما بينهم ، وأن يتركوا الغيبة والنميمة ، وإذا سمع المسلم الكلام في عِرض أخيه دافع عنه ، ففي سُنن

(١) أحمد برقم (١٤٧٨٤) البخاري في الأدب المفرد برقم (٧٣٢) وحسنه الألباني رحمه الله في غاية المرام برقم (٤٢٩).
(٢) الأذكار ص (٢٩١).
(٣) التفسير ج١٦ (٣٣٧).
(٤) التفسير ج٤ (٢١٧).

الترمذي[١] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ قال: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**».

وثبت عند أبي داود أيضًا[٢] عن معاذ بن أنس الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رسول الله ﷺ : « **من حمى مؤمنًا من منافق** ». أراه قال : « **بعث الله ملكًا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ، ومن رمى مسلمًا بشيء يُريد شينه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال** ».

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثه الطويل في قصة توبته قال: قال النبي ﷺ وهو جالس في القوم بتبوك «**ما فعل كعب بن مالك؟**» قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه بُرْدَاهُ والنظر في عِطْفَيْهِ، فقال له معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا، فسكت رسول الله ﷺ الحديث». رواه البخاري ومسلم[٣].

وفي صحيحي البخاري مسلم [٤] عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام النبي ﷺ فقال: أين مالك ابن الدُّخْشُمِ؟ فقال رجل: ذلك منافق، لا يحب الله ورسوله، فقال النبي ﷺ:«**لا تقل ذلك ألا تراه قال لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله ؟ وإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** » .

أيها المسلمون : وأقبح ما يقع فيه هذا الصنف وأمثاله غيبة وُلاَةِ الأمور وأهل العلم والفضل ، ورجال الحِسْبَةِ والصلاح ، والذين يأمرون بالقسط من الناس ، يقعون في أعراض مقامهم ، وينزعون من مهابتهم،

(١) الترمذي برقم (١٩٣١)صحيح كما قاله العلامة الألباني.
(٢) أبو داود برقم (٤٨٨٣)حسنه العلامة الألباني.
(٣) البخاري برقم (٤٤١٨) ومسلم برقم (٢٧٦٩).
(٤) البخاري برقم (٤٢٥) و مسلم برقم (٣٣).

ويرفعون الثقة بهم ، يطعنون في أعمالهم وجهودهم ، ويشككون في قدراتهم وكفاءاتهم ، لا يُذكر عظيم إلا انتقصوه ، ولا يظهر كريم إلا شمتوه ، ولا يبرز صالح إلا اتهموه ، ولا يتميز مسئول إلا مقتوه ، يمشون بالكذب والتدليس والمغالطة والتشويش ، يتهمون الثقات ويقعون في الصالحين، يبعثون الفتن ويزرعون الإِحَنَ ، ويبلبلون على العامة ، ويقطعون الصِّلاَتِ ويفرقون الجماعات ، غِربان بَيْنٍ ونُذُر شؤم ، حمالو الحطب ومشعلو اللهب ، يوزعون الاتهامات ويتبعون المعايب: هذا طويل وهذا قصير ، وهذا جاهل وهذا فاسق ، وهذا عميل وذاك مشبوه ، العين غمازة واللسان همازة والكلمات لمازة ، مجالسهم شر وصحبتهم ضر، وفعلهم عدوان وحديثهم بذاء.... إلخ[1].

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر ، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين.



(١) توجيهات وذكرى للدكتور صالح بن حميد ج٤ (١٣٧-١٣٨).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا مزيدًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون، هذه بعض الأقوال النيرة للسلف الصالح في التحذير من الغيبة.

قال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : حينما مر على بَغْلٍ ميت فقال لبعض أصحابه: لئن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خيرٌ له مِن أن يأكل لحم رجل مسلم [١].

عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ قال: إن رجلًا قال له: بلغني أنك تغتابني فقال: ما بلغ قدرك عندي أن أُحكمك في حسناتي.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: لو كنت مغتابًا أحدًا، لاغتبت والديَّ لأنهما أحق بحسناتي.

وقال بعض السلف: «الغيبة فاكهة القراء، وضيافة الفساق، ومراتع النساء».

وقال بعض السلف: إن ذكرتم الله أَعَنَّاكُمْ، وإن ذكرتم الناس تركناكم.

وعند الترمذي: عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه نظر إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة عند الله منك [٢].

(١) الغيبة وأثارها السيء للشيخ حسين العوايشة، ص(٧١-٧٢).
(٢) الترمذي برقم (٢٠٣٢).

وقال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أن الغيبة حرام[١].

عباد الله:

إنَّ الأسباب التي تجعل الكثير من الناس يقعون في الغيبة كثيرة منها:

أولًا: التشفي، وقد تجد بعض الناس يقولون: أنا لا أحب أن أغتاب فلانًا، وإنما أُريد أن أبين لكم حاله هو مسكين وضعيف وجاهل ولا يزال يذكر مساوئ أخيه ومعايبه ليتشفى بذلك، وقلبه يلتهب حِقدًا وحسدًا وغضبًا عليه نسأل الله السلامة.

ثانيًا: الموافقة والمجاملة للإخوان، يأتي الأخ فيطعن في أخيه ويسترسل بالحديث عنه، وأخوه يعلم أن أخاه الآخر بريء مما قال فيه، فيحابيه ويجامله، ويقول: لو أنكرت عليه استثقلني وملني ونفر عني ...إلخ.

ثالثًا: التصنع وإرادة الرفعة لنفسه وخفض غيره، فيقول فلان جاهل وركيك الفهم مثلًا، من أجل أن يظهر للناس أنه العالم الفاهم.

رابعًا: الحسد ليصرف وجوه الناس إليه.

خامسًا: عدم التقوى عند المغتاب لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الحجرات: ١٢).

سادسًا: العجب بالنفس، قال عليه الصلاة والسلام: «**لو لم تكونوا تذنبون لخفت عليكم ما هو أكبر من ذلك العجب**» رواه القضاعي[٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٩(٤٨٢).
(٢) مُسند القضاعي برقم (١٤٤٧) الصحيحة برقم (٦٥٨).

وأما علاج الغيبة فمنها:

أولًا: تذكر آيات كظم الغيظ وآيات العفو والصفح:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ (آل عمران: ١٣٣- ١٣٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (النور: ٢٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عَزَّوَجَلَّ على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء**» رواه أبو داود [(١)].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أيعجز أحدكم أن يكون مثل أبي ضيغم أو ضمضم كان إذا أصبح قال: اللهم إني قد تصدقت بعرضي على عبادك» رواه أبو داود [(٢)].

ثانيًا: مجاهدة النفس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩).

وقال عليه الصلاة والسلام: «والمجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله

---

(١) أبو داود برقم (٤٧٧٧).
(٢) صحيح أبو داود للألباني برقم (٤٨٨٦).عن معاذ بن أنس.

عَزَّوَجَلَّ» رواه أحمد[١].

ثالثًا: قِلة المخالطة للناس:

وقد أحسن من قال:

لقاء الناس ليس يُفيد شيئًا سوى الهذيان من قيل وقالِ
فأقلل من لقاء الناس إلا لأخذ العلم أو إصلاح حالِ

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط[٢].

رابعًا: الورع:

قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ « يسأل زينب ابنة جحش عن أمري -أي في الأفك- فقال: «**يا زينب ماذا علمت أو رأيت؟**» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا، قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: وهي التي كانت تساميني من أزواج رسول الله ﷺ، فعصمها الله بالورع، رواه البخاري ومسلم[٣].

خامسًا: التفكر في عيوب النفس:

قال القحطاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]:

لا تشغلن بعيب غيرك غافلًا عن عيب نفسك إنه عيبان

---

(١) أحمد برقم (٢٣٩٦٥) عن فَضَالَةَ بن عبيد.
(٢) صفوة الصفوة لابن الجوزي ج٢ (١٥٠)
(٣) البخاري برقم (٤٧٥٠) ومسلم برقم (٢٧٧٠).
(٤) نونية القحطاني ص(٣٩).

وقال آخر:

ذا شئت أن تحيا سليمًا من الاذى	وحـظك موفورٌ وعرضك صيِّنٌ
لسانك لا تذكـر به عـورة امـرئ	فكـلك عـوراتٌ وللناس ألسنُ
وعينك إن أبـدت إليك مـساوئًا	فصنها وقل يا عين للناس أعينُ
وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى	وفـارق ولكن بالتي هي أحسنُ

وقال آخر:

المـرء إن كـان عـاقـلًا ورِعًـا	أشغله عن عيوب غـيره وَرعُـهْ
كمـا العليل السقيم أشغله	عـن وجع الناس كلهم وجْعُهْ

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيت الرجل يشتغل بعيوب غيره ويترك عيوب نفسه فاعلم أنه قد مكربه.

سادسًا: الحذر من دعوة المظلومين:

فقد تُصيبك دعوة مظلوم فلا تسعد بعدها أبدًا، فقد ذكر الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ أَعْيَنَ بن ضبيعة المجاشعي اطلع في هودج عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا - أي يوم الجمل - فقالت: إليك لعنك الله، فقال: والله ما أرى إلا حُميراء، فقالت: هتك الله سترك وقطع يدك وأبدى عورتك. فقتل بالبصرة وسلب وقطعت يده ورُمي عريانًا في خربة من خرابات الأزد[١].

وذكر الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن محمد بن سيرين قال: أذنبت ذنبًا منذ ثلاثين سَنة، عيرت رجلًا فقلت له: يا مفلس- أي من المال فعوقبت-

---

(١) البداية والنهاية ج٧ (٢٤٩).

قال فتراكمت عليّ الديون فحُبست بها[١].

وسعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قال فيه أسامة بن قتادة: كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعونَّ عليك بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياءً وسمعة، فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد .

قال الراوي عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فأنا رأيته بعد، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن. رواه البخاري ومسلم[٢].

فاتقوا الله يا عباد الله ، واجتنبوا هذه الخصلة الذميمة ، فإنها سبب لفساد دين العبد ، وعلى وجه الخصوص غيبة أهل العلم.

قال ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ : من ابتلاه الله بغيبة العلماء ابتلاه بموت القلب.

نسأل الله العلي القدير أن يصلح أحول المسلمين ، وأن يمنحهم الفقه في الدين. اللهم ارحمنا فإنك بنا راحم ، ولا تعذبنا فإنك علينا قادر ، والطف بنا فيما جرت به المقادير.

اللهم احفظ لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

والحمد لله رب العالمين.



(١) سير أعلام النبلاء ج٤ (٦١٣).
(٢) البخاري برقم (٧٥٥) ومسلم برقم (٤٥٣).

١٥ تحريم التشبه بالكافرين

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : حديثنا معكم في هذه الجمعة المباركة بإذن الله عَزَّوَجَلَّ عن تحريم التشبه بالكفار ، وسوف نحصر القول عن هذا الموضوع في العناصر الآتية:

أولًا: تعريف التشبه.

ثانيًا: ذكر الأدلة من كتاب الله في تحريم التشبه بالكفار.

ثالثًا: في ذكر في الأدلة من سُنَّة رسول الله ﷺ في تحريم التشبه بالكفار.

رابعًا: مخالفة رسول الله ﷺ للكفار في كل أبواب الشريعة.

أولًا: تعريف التشبه في اللغة:

التشبه مأخوذ من المشابهة، وهي المماثلة والمحاكاة والتقليد والمثل:

.... ومن يشبه أَبَه فما ظلمْ

والمراد بالتشبيه في الشرع مما ثلة الكافرين بشتى أصنافهم، في عقائدهم أو عباداتهم أو عاداتهم، أو فيما هو من خصائصهم من سلوك، وأخلاق، أو معاملة وغير ذلك.

والإسلام نهى مشابهة الكفار ومشاكلتهم، لما في ذلك من تأثير على العقيدة، كما قال بعض السلف: التشبه بالكفار في الظاهر يورث محبتهم في الباطن.

ولاشك أن محبتهم في الباطن ينافي الإيمان، والمؤمن قوي بإيمانه كريم على الله بعقيدته السليمة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (المنافقين: ٨).

والتشبه بالكفار ومشاكلتهم نقص في العقل، والتشبه بالمؤمنين تزيد في العقل والدين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن مشابهة الصحابة والتابعين

تزيد في العقل والدين والخلق.

ولقد كان نبينا الكريم ﷺ كثيرًا ما يخالف أهل الكتاب ، حتى قالت اليهود: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئًا إلا خالفنا فيه ، وكم تحصل الفرحة في قلوب أعدائنا حين يوافقهم بعض المسلمين ، ويتشبه بهم فيما هو من خصائصهم.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويُسَرُّونَ به ، ويودون أن لو بذلوا عظيمًا ليحصل ذلك [(١)].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الدين مبني على مخالفة أعداء الله.

ولقد أخبر نبينا ﷺ بوقوع المشابهة في أمته اليهود والنصارى والمجوس وغيرهم من الكافرين ، ففي البخاري [(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها، شبرًا بشبر وذراعًا بذراع**» فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟، فقال: «**ومن الناس إلا أولئك؟!**» .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ ، قال: «**لتتبعن سُنن من كان قبلكم، شبرًا شبرًا وذراعًا بذراعٍ، حتى لو دخلوا جُحر ضب تبعتموهم**»، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟!**» [(٣)].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٤)]: والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ج١ (٩٨).
(٢) البخاري برقم (٧٣١٩).
(٣) البخاري برقم (٧٣٢٠) ومسلم برقم (٢٦٦٩).
(٤) المنهاج ج١٦ (٤٣٦).

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لتركبن سُنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع حتى لو أن أحدهم دخل حُجر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه**»[(١)].

أمة الإسلام : ولقد وردت أدلة كثيرة في كتاب الله الكريم في التحذير من التشبه بالكافرين ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ (النساء : ١١٥).

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ (الأنعام : ١٥٩) .

والذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا هم الكفار ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ (آل عمران : ١٠٥).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد : ١٦).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا يكونوا مثلهم نهي مطلق عن مشابهتهم وهو خاص أيضًا في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم ، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي[(٢)].

(١) الحاكم ج٤ (٤٥٥) الصحيحة برقم (١٣٤٨).
فائدة :قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى:(تنبيه): قوله: « أمه» هكذا وقع في كل المصادر التي تقدم عزو الحديث إليها:ابن نصر والدولابي والبزار،وهو الصواب ووقع في «مستدرك الحاكم »:«امرأته » وهو خطأ من أحد رواته أو نساخه الصحيحة (٣/ ٤٣٣).
(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ج١ (٢٩٠).

ولقد وصف الله اليهود في كتاب الله بقسوة القلوب ، فقال جلت عظمته: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ (البقرة : ٧٤).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: لهذا نهى الله المؤمنين أن يتشبهوا بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية.

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الجاثية : ١٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢] : واتباع الاهواء في الديانات اعظم من اتباع الاهواء في الشهوات.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (البقرة : ١٠٤).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٣]: نهى الله تعالى المؤمنين أن يتشبهوا بالكافرين في مقالهم وفعلهم،.... ثم أورد حديث ابن عمر مرفوعًا: « من تشبه بقوم فهو منهم» ، ثم قال ففيه دلالة على النهي الشديد ، والتهديد والوعيد على التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ولباسهم وأعيادهم وعباداتهم ، وغير ذلك من أمورهم التي لم تشرع لنا ولا نُقر عليها.

وقال تعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الروم : ٣١-٣٢).

---

(١) تفسير ابن كثير ج٧(١٨١).
(٢) الاستقامة ج٢(٢٢٣).
(٣) تفسير ابن كثير ج١(٥٤٨ - ٥٥٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (البقرة : ١٢٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[١]: فانظر كيف قال في الخبر ملتهم وفي النهي أهواءهم لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقًا والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهوونه.

وقال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ (الأحزاب : ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ (البقرة : ١٤٢).

قال الإمام القرطبي رحمه الله[٢]: ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي لا تسلك سبيل العاصين، ولا تكن عونًا للظالمين.

أما الأدلة من سُنَّة رسول ﷺ في تحريم التشبه بالكفار: فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ : «من تشبه بقوم فهو منهم»[٣].

وعند الترمذي[٤] عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهم،

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ج١ (٩٩).
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٧(٢٧٧).
(٣) أبو داود برقم (٤٠٣١) وحسنه العلامة الألباني رحمه الله .
(٤) الترمذي برقم (٢٦٩٥) الصحيحة للألباني برقم (٢١٩٤).

أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بِالأَكُفِّ**».

فهذا الحديث فيه الزجر عن التشبه باليهود والنصارى في التسليم بِالأَكَفِّ ، وقد سرت هذه العادة الخبيثة إلى العسكر عندما يحيون قُوَّادَهُم، وهي من مخلفات الغرب الصليبي المستعمر[١].

والنهي لا ينحصر في باب واحد من أبواب الشريعة ، بل النهي عن مشابهة الكفار في كل أبواب الشريعة ، من العبادات والآداب الاجتماعية، والعادات والسلوك والأخلاق ، وغير ذلك مما هو من خصائصهم.

وهذه بعض الأدلة العظيمة التي تدل على ذلك.

وفي باب الصلاة: عن أبي عمير بن أنس، عن عمومة له من الأنصار، قال: اهتمّ النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس لها؟، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة فإذا رأوها آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القنع - يعني الشَّبُّور وقال زياد: شبور اليهود - فلم يعجبه ذلك، وقال: «هو من أمر اليهود» قال: فذكر له الناقوس، فقال: «هو من أمر النَّصارى» فانصرف عبد الله بن زيد بن عبد ربه وهو مُهْتَمٌّ لهمِّ رسول الله ﷺ ، فأري الأذان في منامه[٢].

وفي صحيح مسلم [٣] عن عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت: يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال: «**صل صلاة**

---

(١) موسوعة المناهي الشرعية ج٣ (٣٣٦) للشيخ سليم بن عيد الهلالي حفظه الله تعالى.
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٩٨)وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) مسلم برقم (٨٣٢).

الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى ترتفع، فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار، ثم صلِّ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة، فإن حينئذ تسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصل، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار.....» الحديث.

وعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس، وهو يقول: « **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[(١)].

وعن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا خِفَافِهِم**»[(٢)].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ نهى رجلًا وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصلاة، فقال: «إنها صلاة اليهود».

وفي رواية: « لا تجلس هكذا، إنما هي جِلْسَةُ الذين يعذبون»[(٣)].

وفي باب الجنائز:

عن جرير بن عبد الله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللحد لنا، وَالشَّقُّ لغيرنا**»[(٤)].

(١) مسلم برقم (٥٣٢).
(٢) أبو داود برقم (٦٥٢).
(٣) أبو داود برقم (٩٩٤) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.
(٤) ابن ماجه برقم (١٥٥٥) وقال الألباني صحيح.

وعند أحمد: «**اللحد لنا، والشق لأهل الكتاب**»(١).

وفي باب الصوم:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر، لأن اليهود، والنصارى يؤخرون**»(٢).

وعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقول: حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا: يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله ﷺ : «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**» قال: فلم يأت العام المقبل، حتى توفي رسول الله ﷺ »(٣).

وعن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب، أكلة السَّحَرِ** »(٤).

وفي باب الحج:

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن المشركين كانوا لا يُفِيْضُوْنَ من جَمْعٍ حتى تشرق الشمس على ثبير ، وكانوا يقلون: أشرق ثبير كيما نغير ، فخالفهم النبي ﷺ فدفع قبل أن تطلع الشمس»(٥).

والأمثلة على ذلك كثيرة.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أحمد برقم (١٩٢١٣) حسنه شعيب الأرناؤوط .
(٢) أبو داود برقم (٢٣٥٣).
(٣) مسلم برقم (١١٣٤).
(٤) مسلم برقم (١٠٩٦).
(٥) البخاري برقم (١٦٨٤).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله عز من أطاعه واتقاه ، ومذل من خالف أمره واتبع هواه ، وأحمده على ما قدره وقضاه ، وأشكره على نعمه التي لا تحصى ، وأسأله المزيد من فضله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون ، ومن الأبواب التي جاء فيها النَّهْيُ عن التَّشَبُّهِ بِالكُفَّار في باب الذبائح:

ففي الصحيحين[1] عن رافع بن خَدِيْجٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يارسول الله ، إنا ملاقو العدو غدًا وليس معنا مدى ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أنهر الدم، وذكر اسم الله، فكل، ليس السن، والظفر، وسأحدثك، أما السن فعظم، وأما الظفر فمدى الحبشة»

وفي باب الأطعمة:

عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «قال: قلت: يا رسول الله إِنِّي أسألك عن طعام لا أدعه إلا تحرجًا، قال: لا تدع شيئًا ضارعت فيه نصرانية» ، أي: لا تتحرج ، فإنك إن فعلت ذلك ضارعت فيه النصرانية ، أي شابهت لأجله أهل النصرانية.[2]

وعن عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «قال: سألت رسول الله ﷺ عن طعام النصارى

---

(١) البخاري برقم (٢٤٨٨) ومسلم برقم (١٩٦٨).
(٢) أحمد برقم (١٨٢٦٢) والترمذي برقم (١٥٦٥) وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

فقال: «لا يختلجن في صدرك طعام ضارعت فيه نصرانية»[١]

وفي باب اللباس والزينة:

عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: رأى رسول الله ﷺ علي ثوبين معصفرين، فقال: «**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**»[٢].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **خالفوا المشركين: وَفِّرُوْا اللحى، وأحفوا الشوارب** »[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**جزوا الشوارب، وأرخوا اللحى خالفوا المجوس**»[٤].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون، فخالفوهم**»[٥].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**غيروا الشيب، ولا تَشَبَّهُوْا باليهود ولا بالنصارى**»[٦] .

عن ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رءوسهم، فسدل النبي ﷺ ناصيته، ثم فرق بعد**»[٧] .

---

(١) أحمد برقم (١٨٢٦٢) والترمذي برقم (١٥٦٥) وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) مسلم برقم (٢٠٧٧).
(٣) البخاري برقم (٥٨٩٢) ومسلم برقم (٢٥٩).
(٤) مسلم برقم (٢٦٠).
(٥) البخاري برقم (٥٨٩٩) ومسلم برقم (٢١٠٣).
(٦) أحمد برقم (١٠٤٧٢) والترمذي برقم (١٧٥٢).
(٧) البخاري برقم (٥٩١٧) ومسلم برقم (٢٣٣٦).

وفي باب الآداب والعادات:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تسلموا تسليم اليهود والنصارى، فإن تسليمهم بالرؤوس والأكُفِّ والإشارة**»[(١)].

وعن الشريد بن سويد رضي الله عنه ، قال: مر بي رسول الله ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري واتكأت على أَلْيَةِ يدي، فقال: «**أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟**» [(٢)].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **نظفوا أفنيتكم ، ولا تشبهوا باليهود تجمع الأَكْبَاءَ في دورها**»[(٣)].

و الأَكْبَاءَ: جمع كبى بالكسر وقصر الألف: الكنيسة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**إياكم وهاتان الكعبتان الموسومتان اللتان تزجران زجرًا، فإنهما ميسر العجم**»[(٤)]. والكعبة: ما يُلعب به في النرد والمراد النهي عن النرد والله أعلم.

وفي باب الإطراء والمدح:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تُطْرُوْنِيْ كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله**»[(٥)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال : « **ما هذان اليومان؟** ». قالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية. فقال

---

(١) الديلمي ج٤ (١٥٠) والصحيحة برقم (١٧٨٣).
(٢) صحيح أبي داود برقم (٤٨٤٨).
(٣) حديث حسن جلباب المرأة المسلمة للألباني ص(١٩٧).
(٤) أحمد برقم (٤٢٦٣) جلباب المرأة المسلمة ص (٢٠٠).
(٥) البخاري برقم (٣٤٤٥).

رسول الله ﷺ « **إن الله قد أبدلكم بهما خيرًا منهما ، يوم الأضحى ويوم الفطر** »[١].

والمراد بقوله: ولهم يومان يلعبون فيهما- هما النيروز والمهرجان.

إخوة الإيمان والإسلام : إن التشبه بالكفار والمشركين يجر إلى مفاسد عظيمة وعواقب وخيمة فمن تلك المفاسد:

١ - أنه يدل على تعظيمهم ، لأن المتشبه بغيره يرى أنه أكمل منه وأحسن حالًا.

٢- المحبة لهم والميل إليهم في الباطن.

٣- أن التشبه من المسلم بالكافر يزيل الفارق بينه وبينه ، ولربما لم تستطع أن تميز بين المسلم والكافر في اللباس والهيئة ، وغير ذلك.

نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لا تَعَلَّمُوْا رطانة الأعاجم، ولا تدخلوا عليهم في كنائسهم يوم عيدهم، فإن السخطة تنزل عليهم»[٢].

وقال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا :من صنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حُشر معهم يوم القيامة [٣].

وقال عمر بن الخطاب : رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اجتنبوا أعداء الله في عيدهم[٤].

وقال أبو موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « لعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن لي كاتبًا نَصْرَانِيًّا قال: ما

---

(١) أبو داود برقم (١١٣٤).
(٢) السُنن الكبرى للبيهقي ج٩ (٢٣٤).
(٣) السُنن الكبرى للبيهقي ج٩ (٢٣٤).
(٤) السُنن الكبرى للبيهقي ج٩ (٢٣٤).

لك؟ قاتلك الله، أما سمعت الله يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (المائدة : ٥١) ألا اتخذت حَنِيْفِيًّا؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه. قال: لا أُكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أُعزهم إذ أذلهم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله »[1].

وما حال شباب أمتنا اليوم إلا من رَحِمَهُ ٱللَّهُ **، وللأسف الشديد إلا كما قال الشاعر:**

وهل أصيب شباب اليوم وانحرفوا	**إلا بتقليد أصحاب الضلالاتِ**
من كل أَهْوَجَ لا دين ولا أدب	**ولا حياء ومعدوم المروءاتِ**
يرى التمدن في تطويل شاربه	**وحلق لحيته مثل الخواجاتِ**
يقلد الكفر في تطويل أَظْفُرِهِ	**أقبِحْ به من سفيه ساقطٍ عاتِ**

اللهم آت نفوسنا تقوها ، وَزَكِّهَا أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها. اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، وأذل الشرك و المشركين ودمر أعداءك أعداء الدين.

عباد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ .

فاذكروا الله يذكركم ، واشكروه على نعمه يزدكم ، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ج١ (١٨٤– ١٨٥).

١٦ صفـات اليهـود

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّار .

أيها المسلمون : يقول ربنا عز شأنه في محكم التنزيل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾ (الأنعام : ٥٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ

سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(النساء : ١١٥).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد بَيَّنَ في كتابه سبيل المؤمنين مفصلة ، وسبيل المجرمين مفصلة ، وعاقبة هؤلاء مفصلة ، وعاقبة هؤلاء مفصلة ، وأعمال هؤلاء وأعمال هؤلاء ، وأولياء هؤلاء ، وأولياء هؤلاء ، وخذلانه لهؤلاء وتوفيقه لهؤلاء والاسباب التى وفق بها هؤلاء والاسباب التى خذل بها هؤلاء...[١].

عباد الله : وهذه الخطبة في هذا اليوم المبارك بمشيئة الله تعالى بعنوان: **(صفات اليهود في القرآن الكريم) .**

أيها الإخوة المسلمون : تعالوا نقلب صفحات من هذا التاريخ مطوية ، وحقائق مخيفة ، ووثائق منسية عن قوم أصبحوا لهم في عالم اليوم وجود ، وصار لهم فيها فيما زعموا وثائق وعهود.

تعالوا نقلب صفحات مطوية من تاريخ اليهود ، فإننا نعرفهم خير معرفة ، ونحيط بأخبارهم أوسع إحاطة ، فالقرآن بين أيدينا وأمام أنظارنا، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، قد فضح قصدهم وكشف مكرهم ونبأ عما في قلوبهم[٢].

أيها المؤمنون : إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبين شدة عداوة الكافرين من أهل الكتاب والمشركين للمؤمنين ، قال سبحانه:﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ (البقرة : ١٠٥).

---

(١) الضوء المنير جمع علي الصالحي ج٣ (٣٧).
(٢) منبريات ج١ (٢٣٤) فما بعدها للشيخ أحمد بن صالح السديس.

ولقد أخبرنا ربنا جلت عظمته في كتابه المجيد أن أشد الناس عداوة لأهل الإيمان صنفان من الناس ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ﴾ (المائدة : ٨٢).

ولقد عاقب الله اليهود ، فمسخهم قردة وخنازير ، ووعد وعدًا قاطعًا عليهم بالعذاب إلى يوم القيامة فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (الأعراف : ١٦٦ – ١٦٧).

ومعنى خاسئين: أي ذليلين حقيرين مهانين ، قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ فصار القوم قردة تعاوى لها أذناب بعد ما كانوا رجلًا ونساءً.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (البقرة : ٦٥ – ٦٦).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ (المائدة : ٦٠).

ومعنى ﴿ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ أي عقوبة وجزاءً.

وعاقبهم الله بالتيه في الأرض أربعين سَنة قال تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ (المائدة : ٢٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: لما دعا عليهم موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين نكلوا عن الجهاد حكم الله بتحريم دخولها عليهم مدة أربعين سَنة فوقعوا في التيه يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه.

عباد الله : هؤلاء اليهود جاءتهم الأنبياء بعد الأنبياء ، والرسل بعد الرسل فماذا فعلوا فيهم؟ استمع إلى القرآن وهو يجيبك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (البقرة : ٨٧).

فانقسموا إلى قسمين فريقًا كذبوا الأنبياء وفريقًا قتلوا الأنبياء ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ (المائدة : ٧٠ - ٧١).

جاءهم عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فاتهموه منذ صغره بأنه ولد زنا ، وأجمعوا على قتله قال الله: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ (النساء : ١٥٧ - ١٥٨).

اليهود قوم لا يرعوون عن التطاول على الذات الإلهية والعزة الربانية، - تعالى الله عما يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا - ، لقد وصفوا ربنا سبحانه بصفات النقص والجهل ، وهذا يدل على بذاءتهم ووقاحتهم عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة ، فقد وصفوا الإله بالفقر ، ونسبوا الغِنَى إليهم

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٣٦٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (آل عمران : ١٨١).

ووصفوا الرب جَلَّ وَعَلَا بالبخل ، قال الله عنهم: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ (المائدة : ٦٤) ، أي محبوسة عن النفقة كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ (الإسراء : ٢٩).

قال الله تعالى في الرد عليهم: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (المائدة : ٦٤).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على هذه الآية ومفسرًا [١]: وهكذا وقع لهم، فإن عندهم من البخل والحسد والجبن والذلة أمر عظيم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ (النساء : ٥٣ - ٥٤).

ثم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (المائدة : ٦٤) ، أي: بل هو الواسع الفضل الجزيل العطاء الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وهو الذي ما بخلقه من نعمة فمنه وحده لا شريك له ، الذي خلق لنا كل شيء مما نحتاج إليه في ليلنا ونهارنا ، وحضرنا وسفرنا ، وفي جميع أحوالنا كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (إبراهيم : ٣٤).

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٤٣١)

كما أنهم عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة اتهموا ربنا بالتعب والإعياء ، فقالوا: خلق الله السموات والأرض في ستةِ أيام ، ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت ، وهم يسمونه يوم الراحة ، فرد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ (ق : ٣٨). أي من تعب.

وبقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (الأحقاف: ٣٣).

إخوة الإيمان والإسلام : ومن صفات اليهود التي ذكرها الله في كتابه الكريم الكذب.

الكذب على الله وعلى الخلق فهذه الصفة الذميمة من أبرز صفات اليهود ، الكفرة الفجرة والطغاة الظلمة ، والمجرمين الخونة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ (التوبة : ٣٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧٨).

ومن صفاتهم العُجْبُ والغرور والتزكية منهم لنفوسهم القذرة قال تعالى عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران : ٧٥).

قال المفسر الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي: إنما حملهم على جحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حرج في أكل أموال الأميين، وهم العرب؛ فإن الله قد أحلها لنا. قال الله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ أي: وقد اختلقوا هذه المقالة، وائتفكوا بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها، وإنما هم قوم بُهت [١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ ﴾ (النساء : ٤٩ – ٥٠).

اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم .... ، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ (المائدة : ١٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ (البقرة : ١١١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ (آل عمران : ٢٤).

ومن صفاتهم الحسد ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ (البقرة : ١٠٩).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ

---

(١) تفسير ابن كثير ج٢ (٣٦٤)

ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٥٤).

وعند ابن ماجه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت، قال النبي ﷺ: «**ما حسدتكم اليهود على شيء، ما حسدتكم على السلام والتأمين**»[1]. وقال: «**إن اليهود قوم حسد، وهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على السلام، وعلى آمين**»[2].

ومن صفاتهم أكل الربا والسحت، وأكل أموال الناس بالباطل قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾ (النساء : ١٦٠ -١٦١).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ (المائدة : ٦٢ -٦٣).

ومن صفاتهم نقض العهود والمواثيق مع الله أولًا، ثم مع الخلق ثانيًا من الرسل والأنبياء، فالله عَزَّوَجَلَّ رفع فوقهم جبل الطور، فأصبحوا ينظرون إلى الجبل وهو فوق رؤوسهم، فأعطوا العهد والميثاق أن يؤمنوا إذا رفع الله عنهم العذاب، فلما رفع الله عنهم العذاب نقضوا العهد والميثاق قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأعراف : ١٧١).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا

(١) ابن ماجه برقم (٨٥٦) والبخاري في الأدب المفرد برقم (٩٨٨).
(٢) الصحيحة للألباني برقم (٦٩١).

يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ (البقرة : ١٠٠ –١٠١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ﴾ (المائدة : ١٣).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : تركوا عرى دينهم ووظائف الله تعالى التي لا يقبل العمل إلا بها.

وقال غيره: تركوا العمل فصاروا إلى حالة رديئة ، فلا قلوب سليمة ولا فطرة مستقيمة ، ولا أعمال قويمة (1).

وقال عز من قائل مبيناً نقضهم كل عهد أبرموه : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الأنفال : ٥٥– ٥٦).

يا معشر المسلمين : إن نقض العهد والكذب والغدر لمن أوضح صفات اليهود وألصقها بهم ، ووالله إنهم لشعب الرجس والغضب ، وأعداء الله ورسوله والمؤمنين، وقتلة الأنبياء والصالحين إخوان القردة والخنازير، وسفكة الدماء، وخونة العهود ، ونقضة المواثيق ، وشذاذ الأصقاع وحثالة الشعوب ، وأسافل الناس ، ومنبع الشذوذ والرذائل ، وأصل الكذب والفواحش ، وأهل الزور والظلم والقبائح. (2).

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم.

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٣٥٤)..
(٢) منبريات ج١(٢٥٣) للشيخ الدكتور أحمد بن صالح السديس.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرًا إلى يوم الدين:

أما بعد:

فإن الله عَزَّوَجَلَّ بين جزاء اليهود في الدنيا وجزاءهم في الآخرة ألا فلنعرفها، لنكن على علم وبينة.

أما في الدنيا:

أولًا : غضب الله عليهم قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (البقرة : ٩٠).

وقال تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة : ٧).

ويا ويل لمن غضب الله عليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ (طه : ٨١).

ثانيًا: لعنة الله عليهم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (المائدة : ٧٨ - ٧٩).

وفي البخاري ومسلم [(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**».

ثالثًا: عقوبتهم بالتيه في الأرض وقد سبق هذا.

رابعًا ضربت عليهم الذلة والمسكنة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٦١).

خامسًا: سومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (الأعراف: ١٦٧).

سادسًا: مسخهم قردة وخنازير وقد سبق بيان هذا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴾ (الأعراف: ١٦٦).

سابعًا: تسليط الطاعون عليهم بظلمهم وبغيهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ (البقرة: ٥٩).

وقال ﷺ: «**الطاعون رجس أُرسل على بني إسرائيل**» [(٢)].

ثامنًا: تقطيعهم في الأرض، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (الأعراف: ١٦٨)، فهم موزعون في شتى بقاع الأرض مختلفين متصارعين، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى

(١) البخاري برقم (١٣٩٠) ومسلم برقم (٥٣١).
(٢) البخاري برقم (٣٤٧٣) ومسلم برقم (٢٢١٨) عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر : ١٤).

تاسعًا: عداوة بعضهم بعضًا إلى يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (المائدة : ٦٤) .

عاشرًا: قتل المؤمنين لهم وانتصارهم عليهم فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ، قال: « **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود** » رواه مسلم [١] .

وأما جزاؤهم في الآخرة:

١- عذابهم في القبور ، فعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس، فسمع صوتًا فقال: «**يهود تعذب في قبورها**» [٢].

٢- عذابهم يوم القيامة: ففي الصحيحين [٣] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « .... **فيدعى اليهود فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار ألا تردون فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار** ....» .

٣- دخولهم النار وخلودهم فيها: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة**

(١) مسلم برقم (٢٩٢٢) .
(٢) البخاري برقم (١٣٧٥) .
(٣) البخاري برقم (٤٥٨١) ومسلم برقم (١٨٣) .

يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» [(١)].

وفي صحيح البخاري [(٢)]، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال لليهود: «**من أهل النار؟**»، قالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ: «**اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدًا**».

أيها المؤمنون: اليهود أصحاب مكر وحيل، فما أكثر حيلهم قال تعالى: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ (الأعراف: ١٦٣- ١٦٦).

اليهود حريصون على الدنيا وليس لهم هم إلا فيها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٩٦).

اليهود أهل جبن وخور وضعف، فهم أجبن خلق الله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ (الحشر: ١٤).

---

(١) مسلم برقم (١٥٣).
(٢) البخاري برقم (١٣٧٥).

وقال تعالى عن جبنهم وخورهم وضعفهم: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ (المائدة : ٢٤).

واليهود أهل فساد وإفساد قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (المائدة : ٦٤).

اليهود أبخل خلق الله، وقد ذكر الله هذه الصفة وسجلها عليهم إلى يوم القيامة قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ (النساء : ٣٧).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ (النساء : ٥٣).

والمراد بالنقير النقرة تكون في ظهر النواة.

وهكذا صفات اليهود في القرآن الكريم كثيرة لا نستطيع ذكرها في مقامنا هذا ، ولكن لعل ما قد ذكر فيه الكفاية في معرفة مكرهم وكيدهم ، وما هم عليه من الشر والسوء ومن التاريخ المظلم القبيح.

نسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن ينصر دينه ويعلي كلمته ويعز أولياءه ، ويذل أعداءه ، اللهم إنا نسألك أن تنصر إخواننا المؤمنين المستضعفين في كل مكان ، اللهم اجعل لهم من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخرجًا ، ومن كل بلاء عافية ، اللهم خفف لأواءهم ، وادفع كربهم وشدتهم.

والحمد لله رب العالمين.

١٧ وجوب حفظ اللسان

الخُطْبَةُ الأُولَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : حديثنا اليوم معكم إن شاء الله عن **(وجوب حفظ اللسان إلا من الخير)** .

أيها المؤمنون : اللسان في اللغة: هو جارحة الكلام ، وهو العضو

المعروف في الفم وهو آلة النطق.

واللسان يأتي في القرآن الكريم بمعنى اللغة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ (الروم :٢٢).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (إبراهيم : ٤)، ومعنى بلسان قومه: أي بلغة قومه.

ويأتي بمعنى العضو نفسه، ومنه قوله تعالى عن المنافقين: ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ (الفتح : ١١).

وقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴾ (القيامة : ١٦).

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ ﴾ (البلد : ٨- ٩).

ويأتي بمعنى الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة : ٧٨)، أي في دائهما.

ويأتي بمعنى الثناء الحسن، ومنه قول إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ (الشعراء : ٨٤).

ولقد أمر الله جَلَّ وَعَلَا بحفظ اللسان، وأوجب ذلك على عباده المؤمنين قال عز شأنه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ (المؤمنون : ١-٣).

واللغو: هو الخوض في الباطل والتشاغل بما لا يفيد ، وقال سبحانه وتعالى في وصف المؤمنين: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ ﴾ (القصص : ٥٥) ، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (الفرقان : ٧٢).

وقد أخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن جواب أهل النار حينما سئلوا : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ ﴾(المدثر : ٤٢ -٤٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، في هذه الآية : أي: نتكلم فيما لا نعلم ، وقال قتادة: كلما غوى غاو غوينا معه [(١)].

وقد جاء عند الطبراني بسند صحيح قال عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أكثر الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضًا في الباطل»[(٢)].

بل وجاء عند الطبراني وابن عساكر وغيرهما قال عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال:قال رسول الله ﷺ: «**أكثر خطايا ابن آدم في لسانه**»[(٣)].

معاشر المسلمين : تذكروا قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (ق : ١٨).

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾ (النور : ٢٤ -٢٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٣) .
(٢) الطبراني في الكبير برقم (٨٥٤٧) .
(٣) الطبراني في الكبير برقم (١٠٤٤٦) الصحيحة برقم (٥٣٤).

فكل قول مكتوب ومسطور عند الله جَلَّجَلَالُهُ كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾(آل عمران : ١٨١).

وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ (النور : ١٥).

واعلم -يا عبد الله- أنك مسئول عن هذه الجارحة جارحة اللسان ، بل وأنت مسئول عن جوارحك كلها كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(الإسراء: ٣٦).

يا غاديًا في غفلة ورائحًا … إلى متى تستحسن القبائحا

وكم إلى كم لا تخاف موقفًا … يستنطق الله به الجوارحا

فيا عبد الله ، اتق الله ، واحذر من زلات لسانك ، وزن كلماتك قبل نطقك ، وقل الحق والسداد عملًا بقول ربنا سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ الأحزاب : ٧٠).

احذر لسانك أن تقول فتبتلى … إن البلاء موكل بالمنطق

وقال آخر :

احذر لسانك أيها الإنسان … لا يلدغنك أنه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه … كانت تهاب لقاءه الشجعان

وقال آخر :

زيادة القول تحكي النقص في العمل ومنطق المـرء قـد يهديه للزلل

إن اللسان صغير جـرمه وله جرم كبير كـــما قـد قيل في المثل

وقال آخر :

وزن الـكـلام إذا نطقت فإنما يهدي عيوب ذوي العيوب المنطق

وحفظ اللسان - يا مسلم- دليل على كمال إسلامك وإيمانك كما ثبت في البخاري ومسلم [١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه**» .

وحفظ اللسان عن الشر دليل واضح على صلاح قلب العبد ، وقوة ارتباطه بالله والعمل لليوم الآخر.

وفي البخاري ومسلم [٢]عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُقال: قال رسول الله ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

وحفظ اللسان من أعظم أسباب دخول الجنة. ففي صحيح البخاري [٣] عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»

وحفظ اللسان من الشر من الأسباب المنجية للعبد من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) البخاري برقم (١٠) ومسلم برقم (٤٧) .
(٢) البخاري برقم (٦٤٧٥) ومسلم برقم (٤٠) .
(٣) البخاري برقم (٦٤٧٤) .

ومن الأسباب المنجية للعبد من الفتن الكثيرة ، ففي جامع الترمذي عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال ﷺ : «**امسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك**» [١] .

فقوله عليه الصلاة والسلام : « **أمسك عليك لسانك** » ، أملكه ولا يملكك.

فلرب كلمة واحدة غيرت عليك السعادة في الدنيا وجلبت عليك الشقاء في الآخرة عياذًا بالله من ذلك ، ولذلك اسمع يا أخا الإسلام إلى هذا الحديث العظيم لتدرك جيدًا خطورة هذه الجارحة ، فعند أبي داود[٢]

عن عائشة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- قالت: وحكيت له إنسانًا، فقال: «ما أُحب أني حكيت إنسانًا وأن لي كذا وكذا».

والله الذي لا إله غيره إن المؤمن ليخاف على نفسه من لسانه ، ولذلك ثبت عند الترمذي [٣]، عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: «قل ربي الله ثم استقم»، قلت: يا رسول الله ما أخوف ما تخاف علي، فأخذ بلسان نفسه، ثم قال: «هذا»

فالعاقل لا يتكلم بالكلمة حتى ينظر فيها ، قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : في هذا الحديث -يعني حديث سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- «من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة» .

حث على حفظ اللسان كما قال ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** » وينبغي لمن أراد النطق بكلمة أو كلام أن يتدبره

---

(١) الترمذي برقم (٢٤٠٦) .
(٢) أبو داود برقم (٤٨٧٥) .
(٣) الترمذي برقم (٢٤١٠) .

في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وألا أمسك [١] .

وقال ابن بطال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : دل الحديث :أي حديث سهل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على أن أعظم البلاء على المرء في الدنيا لسانه وفرجه ، فمن وقي أعظم الشر ، وقوله أضمن له أضمن له بالجزم جواب الشرط. [٢]

ولقد كان السلف الصالح يخافون أشد الخوف من ألسنتهم ، فهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان يأخذ بلسان نفسه ويقول هذا الذي أوردني الموارد. [٣]

وكان طاوس بن كيسان اليماني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول : لساني سبع إن أرسلته أكلني.

وعن حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: إن كان الرجل ليتكلم على عهد رسول الله ﷺ بالكلمة فيصير بها منافقًا ، وإني لأسمعها اليوم من أحدكم عشر مرات . [٤]

وكان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يأخذ بلسانه ويقول : ويحك قل خيرًا تغنم ، أو أسكت عن سوء تسلم ، وإلا فاعلم أنك ستندم. [٥]

وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

---

(١) الفتح ج١٣(١٠٥) .
(٢) الفتح ج١٣(١٠٣) .
(٣) الزهد للإمام ابن المبارك برقم (٣٥٣) وسنده صحيح الصحيحة برقم (٥٣٥) .
(٤) الزهد لوكيع بن الجراح برقم (٤٧٦) وسنده صحيح.
(٥) الزهد لوكيع بن الجراح برقم (٢٨٦) وهو حسن بطرقه.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، لقد كان خوف السلف الصالح من آفات اللسان عظيمًا، وهذه بعض الأمثلة التي تدل على مدى خوفهم على أنفسهم من ألسنتهم.

قال بعض السلف : صحبت الربيع بن خثيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عشرين عامًا ما سمعت منه كلمة تعاب. (٦)

وقال عمر بن إبراهيم بن كيسان : مكث ابن أبي نجيح ثلاثين سنة لا يتكلم بكلمة يؤذي بها جليسه. (٧)

وقال يونس بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لا تجد من البر شيئًا واحدًا يتبعه البر كله غير اللسان ، فإنك تجد الرجل يكثر الصيام ويفطر على الحرام ويقوم الليل ويشهد بالزور النهار. (٨)

وقال ابن عون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذكر الناس داء ، وذكر الله دواء. (٩)

وقال مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ : اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع . (١٠)

---

(٦) سير أعلام النبلاء ج٤(٢٥٩).
(٧) سير أعلام النبلاء ج٦(١٢٥).
(٨) السير للذهبي ج٦(٢٩١) .
(٩) السير للذهبي ج٦(٣٦٩) .
(١٠) السير للذهبي ج٨(٦٦) .

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ : احفظ لسانك وأقبل على شأنك ، واعرف زمانك وخف مكانك .[(١)]

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من استخف بالعلماء ذهبت آخرته ، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته.[(٢)]

وقال ابن دقيق العيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما تكلمت بكلمة ولا عملت عملًا إلا أعددت لذلك جوابًا بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ.

وقال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :والله ما اغتبت أحدًا منذ علمت أن الغيبة حرام.

وقال بعض السلف : لو كنتم تشترون الكاغد (أي : الدفاتر) للحفظة لسكتم عن كثير من الكلام.

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الكذاب والنمام يفسدان في ساعة واحدة ما لا يفسده الساحر في سنة.

وقال بعض أصحاب البخاري : يقولون إنك تناولت فلانًا ، قال سبحان الله ! ما ذكرت أحدًا بسوء إلا أن أقول ساهيًا ، وما يخرج اسم فلان من صحيفتي يوم القيامة.[(٣)]

واعلم يا عبد الله أن العلماء قد استثنوا من الغيبة أمورًا ستة،فإنها ليست من الغيبة ، بل هي من الدفاع عن الحق مجموعة في قول ابن أبي شريف:

الـذم ليس بغيبة في سـتة متظلم ومـعـرف ومـحذر
ولمـظـهـر فـسـقًـا ومستفت ومن طلب الإعانة في إزالة منكر

(١) سير أعلام النبلاء ج٨(٣٤٦) .
(٢) سير أعلام النبلاء ج٨(٤٠٨) .
(٣) السير للذهبي ج١٢(٤٤٥).

وقد شرح هذه الستة العلامة الأمير الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)]

وأخيرًا: الواجب على العبد أن يبحث عن المخرج من هذه الذنوب العظيمة، الغيبة، والنميمة، والكلام في أعراض المسلمين والدعاة والعلماء والصالحين.

وعلاج ذلك في أمور منها:

١- أن يتعوذ بالله من شر لسانه، فقد جاء عند الإمام النسائي وغيره[(٢)] عن شكل بن حميد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قلت يا رسول الله علمني دعاءً قال «**قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي**».

٢- ذكر الموت، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ** ﴾ آل عمران: ١٨٥).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾** ﴾ (المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠).

وقال النبي صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يُبعث كل عبد على ما مات عليه**». [(٣)]

٣- ذكر عذاب القبر، فإن من أسباب عذاب القبر عدم حفظ اللسان، كما جاء في حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال مر رسول الله صَلَّىٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبرين فقال: «**أما إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان**

(١) سبل السلام ج٨(٢٣٨) بتحقيق صبحي حلاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) النسائي برقم (٥٤٥٩).
(٣) مسلم برقم (٢٨٧٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» رواه البخاري ومسلم [١].

٤- التوبة إلى الله عَزَّوَجَلَّ ، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ : ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور : ٣١).

٥- الصمت كثيرًا ، قال النبي ﷺ : « **من صمت نجا**» رواه أحمد [٢].

وقال عليه الصلاة والسلام «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** » .

وفي المثل : لو كان الكلام من ذهب لكان الصمت من ذهب.

٦- صرف الوقت في العبادة والعلم والذكر ، والشيء الذي يقرب العبد إلى مولاه سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

٧- اعتزال الناس كثيرًا ، والبعد عنهم في مجالسهم كمجالس الغيبة والنميمة ، والأماكن التي يحصل فيها اجتماع الناس والتكلم منهم في أعراض المسلمين ، ولا يجالس العبد الناس إلا بقدر نصحه لهم، فإن سمع منهم الطعن في أعراض الناس دافع عن أعراضهم ، فقد قال ﷺ : « **من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»[٣].

اللهم أصلح أحوالنا وأحوال المسلمين أجمعين يا أرحم الراحمين .

و الحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (١٣٦١) ومسلم برقم (٢٩٢).

(٢) أحمد برقم (٦٤٨١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٣) الترمذي برقم (١٩٣١) وحسنه العلامة الألباني كما في غاية المرام (٤٣٢).



١٨ وجوب محاسبة النفس

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحشر : ١٨).

قال الإمام الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم[1].

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: وقد دل على وجوب محاسبة النفس قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾.

والأمر بالنظر لعموم كل نفس كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٣٠).

وقال جلت عظمته: ﴿ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ﴾ عامة في الخير والشر كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗا ﴾ .

وقال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ۝١٨ ﴾ (الحشر: ١٨)، وفي القليل والكثير كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (الزلزلة: ٧-٨).

---

(١) تفسير ابن كثير ج٧(٢٣٥).
(٢) إغاثة اللهفان ج٤(١٣٨).
(٣) تيسير الكريم الرحمن للعلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ج٥(٢٠٨).

وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾ (البقرة : ٢٨١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾ (الزمر: ٧٠).

وقال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: فإذا كان العبد مسئولا ومحاسبا على كل شيء، حتى على سمعه وبصره وقلبه، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الإسراء : ٣٦) فهو حقيق أن يحاسب نفسه قبل أن يناقش الحساب.

وفي الزهد للإمام أحمد بسند صحيح[٢]:قال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : «**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فإنه أهون عليكم في الحساب غدا ، أن تحاسبوا أنفسكم اليوم ، وتزينوا للعرض الأكبر** ﴿ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ﴾ (الحاقة : ١٨).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت عمر بن الخطاب، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومًا وخرجت معه حتى دخل حائطًا فسمعته يقول وبيني وبينه جدار وهو في جوف الحائط: «عمر بن الخطاب أمير المؤمنين بخ والله لتتقين الله، ابن الخطاب أو ليعذبنك»[٣].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : في هذه الآية﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة : ٢) إن المؤمن –والله–ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتي؟ ما أردت بأكلتي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قدمًا ما

(١) إغاثة اللهفان ج١(١٣٨) .
(٢) الزهد للإمام أحمد (١٤٩).
(٣) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا ص(٢٣)

يعاتب نفسه[1].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : رحم الله عبدًا وقف عند همه ، فإن كان لله مضى وإن كان لغيره تأخر.

أيها المؤمنون: الواجب على كل عبد أن يحاسب نفسه وأن يهتم بطهارتها، وأن يحرص غاية الحرص على تهذيبها والعناية بتزكيتها ، فقد بعث الله نبينا صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله لتزكية النفوس ، قال عز شأنه: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾ (آل عمران : ١٦٤).

فمن زكى نفسه وطهرها من الشوائب والأدناس فقد نال الفلاح والنجاح ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠** ﴾ (الشمس : ٧-١٠).

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ** ﴾ (الأعلى : ١٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ (الحشر : ٩).

وقال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم. فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح، ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١** ﴾ (النازعات : ٣٧ - ٤١).

(١) تفسير ابن كثير ج٧(٤٣١) .
(٢) إغاثة اللهفان ج١(١٢٥).

ولقد أخبرنا ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، عن خطورة هذه النفس ودسائسها ، وما فيها من الشر والبلاء ، فقال إخبارًا عن موسى الكليم عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ ﴾ (طه: ٩٥ - ٩٦).

وقال تعالى عن امرأة العزيز: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (يوسف : ٥٣).

وتأمل - أيها المسلم - قوله تعالى: ﴿ لَأَمَّارَةٌۢ ﴾ ولم يقل آمرة وإنما قال لأمارة صيغة مبالغة:أي: لكثيرة الأمر لصاحبها بالسوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنها مركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان ﴿ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى ﴾ فنجاه من نفسه الأمارة، حتى صارت نفسه مطمئنة إلى ربها، منقادة لداعي الهدى، متعاصية عن داعي الردى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده[١].

وما أحسن ما قاله ابن القيم العالم الرباني تغمده الله بغفرانه[٢] احذر نفسك فما أصابك بلاء قط إلا منها ولا تهادنها فوالله ما أكرمها من لم يهنها ولا أعزها من لم يذلها ولا جبرها من لم يكسرها ولا أراحها من لم يتعبها ولا أمنها من لم يخوفها ولا فرحها من لم يحزنها.

وانظر- يا أخا الإيمان- ما جرى للصحبة من الهزيمة في يوم أحد بسبب المعصية والمخالفة الواحدة التي صدرت من البعض فقط ، وهذه المعصية ما هي إلا بسبب هذه النفس كما قال المولى عَزَّوَجَلَّ : ﴿ أَوَلَمَّآ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٢(٤٦٦) .
(٢) فوائد الفوائد بترتيب الشيخ علي الحلبي ص(٤٣٧) .

أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (آل عمران : ١٦٥).

فهذه النفس تحسن وتزين لصاحبها المعاصي ، ثم بعد ذلك تلومه على فعل ذلك كما قال ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ : ﴿ لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ٢ ﴾ (القيامة : ١-٢).

فالنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر.

وأما النفس الزكية المطمئنة وهي الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق ، فيقال لها: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ (الفجر : ٢٧ - ٣٠).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) : فالنفس إذا سكنت إلى الله واطمأنت بذكره وأنابت إليه واشتاقت إلى لقائه وأنست بقربه فهي مطمئنة وهي التي يقال لها عند الوفاة ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠ ﴾ (الفجر : ٢٧ - ٣٠).

معاشر المسلمين : إن صلاح القلوب بمحاسبة النفوس ، وإن فساد القلوب بإهمال النفوس والاسترسال معها في شهواتها وشرورها.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢) : في النفس كبر إبليس وحسد قابيل وعتو عاد وطغيان ثمود وجرأة نمرود واستطالة فرعون وبغي قارون وقحة(٣) هامان وهوى بلعام وحيل أصحاب السبت وتمرد لوليد وجهل أبي جهل وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب وشره الكلب ورعونة الطاووس

(١) إغاثة اللهفان ج١(١٢٦).
(٢) فوائد الفوائد بترتيب الشيخ علي الحلبي ص(٤٦٣- ٤٦٤).
(٣) قحة هامان: أي وقاحته.

ودناءة الجعل وعقوق الضب وحقد الجمل ووثوب الفهد وصولة الأسد وفسق الفأرة وخبث الحية وعبث القرد وجمع النملة ومكر الثعلب وخفة الفراش ونوم الضبع غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك.

وقال بعض السلف : من لم يتهم نفسه بالتقصير على مدى الأيام أصابه الغرور.

أخي إياك أن تكون من أولئك المغرورين بأنفسهم ، الرافعين لها إلى أعلى درجات الكمال من أجل قليل من أعمال صالحة عملوها ، فمن أحسن الظن بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه ، تالله لقد كان السلف يمقتون أنفسهم في ذات الله .

قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(١)]: ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نفسي مرة علي ومرة لي.

وقال محمد بن واسع رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لو كان للذنوب ريح ما قدر أحد أن يجلس إليّ .

وقال يونس بن عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إني لأجد مائة خصلة من خصال الخير ما أعلم أن في نفسي واحدة منها.

وقال أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل[(٢)]

فالنفس داعية إلى المهالك ، معينة لأعداء طامحة إلى كل قبيح ، متبعة لكل سوء ، فهي تجري بطبعها في ميدان المخالفة ، وأعرف الناس بها أشدهم لها إذلالًا ومقتًا.

وقال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لو يعلم الناس بعض ما نحن عليه ما ذل

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٧(٢٥٨).
(٢) إغاثة اللهفان ج١(١٣٩) وما بعدها.

لنا لسنان بذكر خير أبدًا.

وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، ويعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه.

ولما كانت النفس خطيرة على الإنسان دعي إلى بيعها، فالمسلم يبيعها لله عَزَّوَجَلَّ بأغلى الأثمان.

ورَحِمَهُ ٱللَّهُ من قال:

أثامن بالنفس النفيسة ربها ... وليس لها في الخلق كلهم ثمن

بها تشترى الجنات إن أنا بعتها ... بشيء سواها إن ذلكم غَبن

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصبتها ... لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة: ١١١)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ (البقرة: ٢٠٧).

بعنا النفوس فلا خيار ببيعنا ... أعظم بقوم بايعوا الغفارا

رب اعطنا ثمنًا ألذ من المنى ... جنات عدن تتحف الأبرارا

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٥(٧٤).

يا عباد الله : من حاسب نفسه قبل أن يحاسب خف في القيامة حسابه ، وحضر عند السؤال جوابه ، وحسن منقلبه ومآبه ، ومن لم يحاسبه نفسه دامت حسراته ، وطالت في عرصات القيامة وقفاته ، وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته(١).

إنا لنفــرحُ بالأيــام نقطــعها وكل يوم مضى يدني من الأجلِ

فاعمل لنفسك قبل الموتِ مجتهدًا فإنما الربح والخـسران في العملِ

قال الله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (المائدة : ٣٠).



(١) صلاح الأمة للعفاني ج٤(٥٣٣).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ولي الصالحين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، أحمده تعالى وأشكره وأسأله المزيد من فضله ، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن محاسبة النفوس من الطاعات العظيمة والأعمال الجليلة لكن مما يؤسف له أننا نهتم بالظاهر وندع الباطن إلا ما رحم ربي.

وصدق من قال:

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح فيما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

معاشر المسلمين : لقد سمعتم إلى الآيات وأقوال السلف في محاسبة النفس ، وما في هذه النفس من الشر والبلاء .

والآن نذكر لكم بإذن الله -جل وعلا- طائفة مباركة من الأحاديث النبوية التي تدل على وجوب محاسبة النفس وكثرة شرها:

فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله** عَزَّ وَجَلَّ »[1].

والله عَزَّ وَجَلَّ يقول في كتابه الكريم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت : ٦٩).

---

(١) أحمد برقم (٢٣٩٥٨) والترمذي برقم (١٦٢١) .

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :[١] فمن كانت نفسه شريفة، وهمته عالية لم يرض لها بالمعاصي، فإنها خيانة ، ولا يرضى بالخيانة إلا من لا نفس له.

قال بعض السلف: رأيت المعاصي نذالة، فتركتها مروءة فاستحالت ديانة.

وقال آخر منهم: تركت الذنوب حياءً أربعين سَنة، ثم أدركني الورع.

وقال آخر: من عمل في السر عملًا يستحيي منه إذا ظهر عليه، فليس لنفسه عنده قدر.

قال بعضهم: ما أكرم العباد أنفسهم بمثل طاعة الله، ولا أهانوها بمثل معاصي الله عَزَّوَجَلَّ فمن ارتكب المحارم فقد أهان نفسه.

وعن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال يا رسول الله مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال « **قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه** ». قال : « **قلها إذا أصبحت وإذا أمسيت وإذا أخذت مضجعك** »[٢] .

فقد تضمن هذا الحديث الاستعاذة من الشر كله وأسبابه ، فالشر يصدر من الشيطان وأما من النفس ، ولذلك قال « **من شر نفسى وشر الشيطان وشِركه** » وشركه بكسر الشين وسكون الراء على الإشراك ، أي: ما يدعو إليه ويوسوس به من الإشراك بالله ، وبالفتح حليه ومكائده، ثم قال عن أسباب الشر: « **وأن أقترف على نفسي سوءًا ، أو أجره إلى مسلم** » هذا الشر لنفس العامل: « **أو أجره إلى مسلم** » هذا الشر للغير من المسلمين.

(١) تفسير ابن رجب ج١(٨٧).
(٢) سُنن أبي داود برقم (٥٠٦٧) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وعن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز، والكسل، والجبن، والبخل، والهرم، وعذاب، القبر اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**» (١) .

عن حصين بن عبيد وهو والد عمران بن حصين أنه: أتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد ، عبد المطلب خير لقومك منك، كان يطعمهم بالكبد والسنام، وأنت تنحرهم، قال: فقال ما شاء الله، فلما أراد أن ينصرف قال: ما أقول؟ قال: « قل: اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على رشد أمري، فانطلق ولم يكن أسلم، ثم إنه أسلم فقال: يا رسول الله، إني كنت أتيتك فقلت: علمني، قلت: « **قل: اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على رشد أمري**» فما أقول الآن حين أسلمت؟ قال: « **قل: اللهم قني شر نفسي، واعزم لي على رشد أمري، اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت، وما أخطأت وما عمدت، وما علمت وما جهلت** » (٢).

وفي الصحيحين (٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه كان يقول كان من دعاء النبي ﷺ : «**اللهم اجعل لي في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، ومن فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن بين يدي نورًا، ومن خلفي نورًا، واجعل في نفسي نورا، وأعظم لي نورًا**».

---

(١) مسلم برقم (٢٧٢٢) .
(٢) النسائي في عمل اليوم والليلة ص(٥٤٧) وصححه شيخنا العلامة الوادعي في الصحيح المُسند برقم (٣١٠).
(٣) البخاري برقم (٣٦١٦) ومسلم برقم (٧٦٣).

وهكذا كان نبينا ﷺ يستعيذ بالله من شر النفس عمومًا ، ومن شر ما يتولد منها من الأعمال ، فكان يقول في خطبة الحاجة إذا خطب الناس: « **إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ...**». الحديث.

وهذا الحديث هو خطبة الحاجة قد جاء عن عدة من الصحابة منهم ، عبد الله بن مسعود ، وأبو موسى الأشعري ، وعبد الله بن عباس ، وجابر ابن عبد الله ، وعائشة وغيرهم [١] .

ألا فيا عباد الله ، اتقوا الله جَلَّ وَعَلَا ، واسعوا في إصلاح هذه النفس ، وكفها عن الشهوات المحرمة.

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كفى بالمرء سرفًا أن يأكل كل ما اشتهى.

والنفس إن أعطيتها مناها ... فاغرة نحو هواها فاها

وصدق من قال :

إني ابتليت بأربع ما سلطوا ... إلا لشدة شقوتي وعنائي

إبليس والدنيا ونفسي والهوى ... كيف النجاة وكلهم أعدائي

وعن عثمان بن أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم اغفر لي ذنبي خطئي وعمدي، اللهم إني أستهديك لأرشد أمري، وأعوذ بك من شر نفسي**» [٢] .

---

(١) الترمذي برقم (١١٠٥) وأبو داود برقم (٢١١٨) وابن ماجه برقم (١٨٩٢).
(٢) أحمد برقم (١٦٢٦٩) وصححه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح المُسند برقم (٩٠٥).

ولهذا – أيها الأخوة– شبه الله عالم السوء الذي لم ينتفع بعلمه بالكلب فقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾(الأعراف: ١٧٥ –١٧٧).

وفي المثل المضروب أن الكلب قال لأسد: يا سيد السباع، غير اسمي، فإنه قبيح فقال له: أنت خائن لا يصلح لك غير هذا الاسم، قال فجربني، فأعطاه شقة لحم وقال له: احفظ لي هذه إلى غد وأنا أغير اسمك، فجاع وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر، فلما غلبته نفسه قال: وأي شيء أعمل باسمي وما كلب إلا اسم حسن فأكل[١].

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها، اللهم اعصمنا من شر الفتن، وعافنا في الدارين من جميع المحن، وأصلح منا ما ظهر وما بطن، وألحقنا بالصالحين وارحم المسلمين كافة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



(١) تفسير ابن رجب ج١ (٨٧).



١٩ استقبال رمضان

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

عباد الله : لقد منَّ على عباده المؤمنين بمواسم الخيرات ليغفر لهم بذلك الذنوب ويكفر عنهم السيئات ، وليضاعف لهم بذلك الثواب ، ويرفع لهم الدرجات ، وإن من أعظم مواسم الخيرات لفعل الطاعات في شهر رمضان المبارك.

إذا رمـــضـــان أتـــى مـقـبـلاً   فـأقـبـل فـبـالخير يستقبل
لـعـلـك تخـطـئـه قــــــابـلاً   وتــأتي يـعـذر فـــلا يُقبل

رمضان أصبح قريبًا منا جدًا ، قد دنت أوقاته وأظلتكم أيامه وساعاته، فاستقبلوه– يا عباد الله – بالنية الصادقة ، واغتنموه بالعبادة الخالصة.

عباد الله : إن بلوغ شهر رمضان نعمة كبرى ومنة عظمى لمن صامه وقام بحقه بالرجوع إلى ربه ، ومن معصيته إلى طاعته ، ومن الغفلة عنه إلى ذكره ، ومن البعد عنه إلى الإنابة إليه .

إخوة الإيمان والإسلام : المسلمون في هذه الإيام يترقبون دخول شهر رمضان ،ويستقبلونه بالفرح والسرور ، قلوبهم قد امتلأت شوقًا وفرحة بقدومه، ووجوههم تتهلل فرحًا بحلوله ، وصدق الله القائل في كتابه الكريم: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (يونس : ٥٨).

وكيف لا يفرح المؤمن بقدوم هذا الشهر الكريم وهو شهر الصيام والقيام، وشهر الرحمة والمغفرة والعتق من النيران، شهر الخيرات والبركات، وشهر تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق أبواب النار ، وتصفد فيه الشياطين ، وشهر الصدقات والبر والإحسان شهر تضاعف فيه الحسنات وتقل فيه السيئات ، شهر التراويح ،وشهر التسابيح: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

عباد الله : شهر رمضان قد اشتهرت بفضله الأخبار ، وتواترت فيه

الآثار ، بل هو أعظم النفحات الإلهية ، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، وأن يؤمن روعاتكم**»[١].

أتـى رمـضـان مـزرعـة العباد لتطهير الـقـلـوب مـن الفساد

فـأدِّ حـقـوقـه قــولًا وفـعلًا وزادك فــاتخــذه إلى المـعـاد

فمن زرع الحبوب ومـا سقاها تــأوه نــاء دمًــا يــوم الحـصـاد

ولقد كان نبينا ﷺ يفرح بقدوم شهر رمضان، ويبشر أصحابه بقدومه، في سُنن الترمذي[٢] عن طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «**اللهم أهلله علينا باليمن والإيمان ، والسلامة والإسلام، ربي وربك الله**» .

وعند الترمذي وابن ماجه[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن، وغُلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عتقاء من النار ، وذلك كل ليلة**».

وهكذا كان السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ كما يقول المعلى بن الفضل : كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ، ثم يدعونه ستة أشهر

---

(١) الطبراني في الكبير برقم (٧٢٠) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في السلسلة الصحيحة بشواهده برقم (١٨٩٠) .

(٢) سُنن الترمذي برقم (٣٤٥١) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٨١٦).

(٣) سُنن الترمذي برقم (٦٨٢) وابن ماجه برقم (١٦٤٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

أن يتقبله منهم.

وقال يحيى بن أبي كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وكان من دعائهم : اللهم سلمني إلى رمضان وتسلمه مني متقبلًا.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن الله جعل رمضان مضمارًا لخلقه، يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون، ويخسر فيه المبطلون.

ويذكر عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول عند نهاية الشهر يا ليت شعري من هذا المقبول فنهنئه ، ومن هذا المحروم فنعزيه. اهـ.

أيها المقبول هنيئًا لك أيها المردود جبر الله مصيبتك .

من كل شيء إذا ضيعته عوض وما من الله إن ضيعته عوض

أيها المسلمون : إن إدراك شهر رمضان نعمة عظيمة ، ففي جامع الترمذي [١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة**» . ورغم معناها: ألصق بِالرَّغَامِ وهو التراب.

وعند ابن خزيمة وابن حبان [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ صعد المنبر، فقال: «**آمين آمين آمين**» قيل: يا رسول الله، إنك حين صعدت المنبر قلت: آمين آمين آمين، قال: «**إن جبريل أتاني، فقال: من أدرك شهر**

(١) جامع الترمذي برقم (٣٥٤٥) وقال العلامة الألباني حديث حسن.
(٢) صحيح ابن خزيمة برقم (١٨٨٨) وصحيح ابن حبان برقم (٤٠٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في تعليقه على صحيح ابن حبان وفي صحيح الترغيب برقم (٩٩٧).

رمضان ولم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما، فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين، ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين».

فيا أيها المسلمون: شهر رمضان هو سبب للمغفرة ، فإذا جئت بأسباب المغفرة من الصيام ، غفر الله لك الذنوب وأصبحت من الفائزين المقبولين.

ومن فضائل وخصائص شهر رمضان : ما جاء في البخاري ومسلم[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة**» وفي رواية «**إذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب السماء، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين**».

وفي رواية مسلم «**إذا كان رمضان فُتحت أبواب الرحمة، وغُلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين**».

فبادر – أيها المسلم– في هذا الشهر المعظم إلى الصيام والقيام والعمل الصالح ، ولتعلم أنك إذا صمت رمضان وقمته فأنت من الصديقين والشهداء ، فعن عمرو بن مرة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته، فممن أنا؟، قال: «من الصديقين والشهداء»[2] .

غـدًا تـوفى النفوس مـا عملت ويحصد الـزارعـون مـا زرعـوا

---

(١) البخاري برقم (١٨٩٩) ومسلم برقم (١٠٧٩) .

(٢) صحيح ابن حبان برقم (٣٤٣٨) صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تعليقه على صحيح ابن حبان ، وكذلك صححه الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان.

إن أحسنوا أحسنوا لأنفسهم وإن أســـاءوا فبئسما صنعوا

وإذا أدرك المسلم رمضان فصامه وقامه رفعه الله إلى المنازل العالية والجنة ، ففي مُسند الإمام أحمد [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رجلان من بلي حي من قضاعة أسلما مع النبي ﷺ ، واستشهد أحدهما، وأخر الآخر: سنة، قال طلحة بن عبيد الله: فأريت الجنة، فرأيت المؤخر منهما، أدخل قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، أو ذكر ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : «**أليس قد صام بعده رمضان، وصلى ستة آلاف ركعة، أو كذا وكذا ركعة صلاة السُّنَّة؟**».

فيا عبد الله ، كن حريصًا ومواظبًا على الأعمال الصالحة ، حتى تكون خير الناس ، فقد ثبت عند الترمذي في سُننه [(٢)] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله أي الناس خير، قال: «**من طال عمره، وحسن عمله**»، قال: فأي الناس شر؟ قال: «**من طال عمره وساء عمله**».

تذكر - أيها العاقل- من صام معنا في العام الماضي ثم مات أين هو الآن؟، أما غيبه الموت وصار في عداد الموتى؟ أما أصبح الآن مدفونًا في قبره مرتهنًا بعمله ليس له إلا ما قدم؟،ونحن تمر بنا الأيام والليالي مر السحاب ونحن في غفلة ساهون إلا من رَحِمَهُ اللَّهُ.

وصدق من قال :

يــا غــاديًا في غفلة ورائحــا إلى متى تستحسن القبائحا
وكـــم إلى كـــم لا تخـــاف موقفًا يستنطق الله به الجوارحا

---

(١) أحمد برقم (٨٣٩٩) حسنه الشيخ شعيب رحمه الله تعالى.
(٢) سُنن الترمذي برقم (٢٣٣٠).قال العلامة الألباني رحمه الله صحيح لغيره.

واعجباً منك وأنت مبصر   كيف تجتنب الطريق الواضحًا

فيا غافلًا انتبه ، ويا ظالمًا تب إلى مولاك ، ويا مفرطًا استدرك ما فاتك من الخير ، وما قصرت من الصالحات ، فإذا ذهب عليك بعض الخير في الليل استدركه في النهار ، وإذا وقعت في معصية فتب إلى ربك فباب التوبة مفتوح ، جاء في صحيح مسلم [١] عن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**» .

وليكن لك نصيب وعبرة من هذه الموعظة البليغة المؤثرة ، التي قال فيها نبي الله ﷺ لذلك الرجل الذي قال له عظني يا رسول الله ، فقال له رسول الله ﷺ « **اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك** »[٢] .

من يرد ملك الجنان   فليدع عنه التوان
وليقم في ظلمة الليل   إلى نور القرآن
وليصل صومًا بصوم   إن هذا العيش فان
إنما العيش جوار الله   في دار الأمان

معاشر المسلمين : استقبلوا هذا الشهر المبارك بالإقبال على الله عَزَّوَجَلَّ ، وبالطاعة والعبادة ، ففي مستدرك الحاكم عن معقل بن يسار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٧٥٩)

(٢) المستدرك ج٤(٣٠٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الجامع برقم (١٠٧٧).

قال رسول الله ﷺ : « **يقول ربكم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقًا، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرًا وأملأ يديك شغلًا** »(١) .

الناس مقبلون على الشهوات ، يلهثون بعد الدنيا في الليل والنهار ، وبعيدون عن الأمر الذي خلقوا من أجله ، ألا وهو عبادة الله وطاعته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ، فكم ترى من أناس يهملون الصلوات الخمس ، ويتأخرون عنها حتى في هذا الشهر المبارك .

ومن الناس من يستقبل شهر رمضان بالموائد المتنوعة من الأطعمة والأشربة ، ويجعل هذا الشهر لتنويع أصناف المآكل والمشارب ، حتى قال بعضهم في هذا شعرًا ، فقال:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهارِ

ولا تشرب بأقداح صغار فإن الوقت ضاق عن الصغارِ

ولا شك أن كثرة الأكل والشراب يورث الكسل عن الطاعة، ويجلب كثرة النوم والغفلة .

ومن الناس من لا يعرف شهر رمضان إلا أنه شهر النوم والبطالة ، فيضل في نهاره نائمًا ، وفي ليله هائمًا ساهرًا في ارتكاب أنواع من المعاصي ، يشاهدون تلك المسلسلات الآثمة في تلك الآلات المدمرة ، من الدشوش والتلفزيونات والفيديوهات وغيرها من آلات الشر والهدم والفساد ، فيحرمون من صلاة التراويح والتهجد بالليل والمحروم من حرم الخير في هذا الشهر العظيم.

(١) المستدرك ج٤(٣٢٦) صحيح – «الصحيحة» تحت رقم (١٣٥٩).

قال الزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :إذا دخل رمضان إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام.

وقال إبراهيم النخعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : تسبيحة في رمضان خير من تسبيحة فيما سواه.

وقال السائب بن يزيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : كان القارئ يقرأ بالمئين– يعني بمئات الآيات– حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام قال: وما كانوا ينصرفون إلا عند الفجر.

ومن الناس من لا يعرف شهر رمضان إلا أنه للسهر ، ويا ليت هذا السهر في طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ، كقيام ليل وتلاوة قرآن أو عيادة مرضى أو صلة أرحام ، ولكنه في اللهو واللعب والضحك ومشاهدة المسلسلات المحرمة في الفضائيات ، أو لعب للكيرم ، أو البطة أو الشطرنج ، أو الدمنة ، أو الأتاري ،أو الجلوس على الأرصفة والمقاهي ، أو مزاح وضحك ولعب ، حتى السحر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وهكذا تقضى ليالي رمضان في البيع والشراء عند أناس آخرين ، همهم كم يربحون وكم يجمعون من الأموال ، ولو فاتتهم بعض الصلوات الخمس ، أو يتأخرون عنها ، ناهيك عن حضور صلاة التراويح فلا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله كيف ضعف إيمان المسلمين ، وكيف أصبحت هممهم ضعيفة.

أما إذا سألت عن نساء المسلمين في ليالي رمضان؟ ، فخروج إلى الأسواق بكثرة ، وكم يحصل من الفتن عند خروجهن إلى الأسواق وهن متبرجات ، واختلاط ، ونظر محرم وغيبة ونميمة وغير ذلك من المعاصي العظيمة ، نسأل الله اللطيف والسلامة .

فاتقوا الله عباد الله ، وحافظوا على شهركم ، وأكثروا فيه من طاعة ربكم لعلكم تكتبون فيه من الفائزين.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب حتى عصى ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر الصوم بعدهما فلا تصيره أيضًا شهر عصيان
واتل القرآن وسبح فيه مجتهدًا فإنه شهر تسبيح و قرآن
فاحمل على جسد ترجو النجاة له فسوف تضرم أجساد بنيران
كم كنت تعرف ممن صام في سلف من بين أهل و جيران و إخوان
أفناهم الموت و استبقاك بعدهم حيًّا فما أقرب القاصي من الداني
ومعجب بثياب العيد يقطعها فأصبحت في غد أثواب أكفان

إخوة الإيمان والإسلام : هذه نصيحتنا لأنفسنا أولًا ولإخواننا ثانيًا ، ألا فحري بنا أن نقبل النصح الذي ينفعنا ، والذي فيه نجاتنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة.

فلقدْ نصحتُكَ إنْ قبلتَ نصيحتي فالنُّصحُ أغلى ما يُباعُ ويُوهَبُ

وقال آخر:

جمعت لك النصائح فامتثلها حياتك فهي أفضل ما امتثلتا
وطولت العتاب وزدت فيه لأنك في البطالة قد اطلتا
فلا تأخذ بتقصيري وسهوي وخذ بوصيتي لك إن رشدتا

والحمد لله رب العالمين.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، واشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون ، الأعمال الصالحة المؤكدة في رمضان كثيرة ، فمن أعظمها وأفضلها:

١ - الصيام لله رب العالمين:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣).

وصيام رمضان يعد ركنًا من أركان الإسلام الخمسة ، والصيام الحقيقي الذي يبلغ به العبد منازل المتقين ، وهو الصيام عن سائر المفطرات، والصيام بكل الجوارح ، فليس الصيام عن الطعام والشراب فحسب ، بل الصيام عن هذه الأشياء وغيرها.

ففي صحيح البخاري وغيره [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه**» .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : « قال الله عَزَّ وَجَلَّ: **كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، فإذا كان**

(١) البخاري برقم (١٩٠٣) .

يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم »[١] .

قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم ، ودع أذى الخادم ، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن الصيام ليس من الطعام والشراب ، ولكن من الكذب والباطل واللغو.

وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إذا صمت فتحفظ ما استطعت ، وكان طليق بن قيس إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج إلا لصلاة.[٢]

يا صائماً عافت جوارحه الخنى — أبشر برضوان من الديان

عفو ومغفرة ومسكن جنة — تأوي بها من مدخل الريان

٢- ومن الأعمال الصالحة في رمضان قيام الليل :

قال ﷺ : «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه**»[٣] .

وصلاة التراويح من قيام الليل والقيام يكون حتى ينصرف الإمام لقوله ﷺ «**إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة**»[٤] .

ومما يؤسف له أن كثيرًا من المسلمين قد فرطوا في هذه العبادة العظيمة مع أن الله قد من عليهم بالفراغ والصحة ، ولكن غبنوا كما قال عليه الصلاة

---

(١) البخاري برقم (١٩٠٤) ومسلم برقم (١١٥١) .
(٢) انظر الأقوال الثلاثة في مصنف ابن أبي شيبة ج٢(٤٢٢) .
(٣) البخاري برقم (٢٠٠٩) ومسلم برقم (٧٥٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٤) سُنن أبي داود برقم (١٣٧٥) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

والسلام : «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة، والفراغ»[١]

ترى الواحد من هؤلاء يجلس الساعة والساعتين والثلاث في مجالس اللغو واللعب ، وأمام تلك الفضائيات لا يمل ولا يسأم ، لكنه إذا دخل المسجد يسأم إذا طول الإمام في الصلاة قليلاً ، وهذا من قلة التوفيق وعدم الرغبة في الخير والثواب .

واستمعوا- يا معاشر المسلمين- إلى المؤمنين الصادقين ، وحالهم مع هذه العبادة في رمضان وغيره من الشهور ، أخبر الله عنهم فقال تعالى : ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾(السجدة : ١٦).

وقال تعالى عنهم: ﴿ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾(الذاريات : ١٧- ١٨).

وقال تعالى عنهم: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ (الفرقان : ٦٤).

٣- ومن الأعمال الصالحة المؤكدة في رمضان : العمرة :

ففي الصحيحين [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»

وقال عليه الصلاة والسلام : «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»[٣] .

(١) البخاري برقم (٦٤١٢) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) البخاري برقم (١٧٧٣) ومسلم برقم (١٣٤٩) .
(٣) أحمد برقم (١٥٦٩٤) عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

والعمرة في رمضان الأجر فيها مضاعف ، قال عليه الصلاة والسلام لامرأة من الأنصار: «**ما منعك من الحج؟**»، قالت: أبو فلان، تعني زوجها، كان له ناضحان حج على أحدهما، والآخر يسقي أرضًا لنا، قال: «**فإن عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي**»[1] .

اللهم وفقنا في هذا الشهر المبارك شهر رمضان للعمرة ، وتقبلها من جميع المسلمين يارب العالمين .

٤- ومن الأعمال المؤكدة في رمضان: الصدقة :

ففي صحيح البخاري [2] عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كان رسول الله ﷺ : «**أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة**» .

٥- ومن الأعمال المؤكدة في رمضان : تفطير الصائمين :

ففي مُسند الإمام أحمد [3] عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**من فطَّر صائمًا ، كتب له مثل أجره، إلا أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء** » .

٦- ومن الأعمال الصالحة المؤكدة في رمضان : قراءة القرآن الكريم :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

---

(١) البخاري برقم (١٧٨٢) ومسلم برقم (١٢٥٦) .
(٢) البخاري برقم (١٩٠٢) .
(٣) أحمد برقم (١٧٠٣٣) .

وللسلف الصالح عجائب في هذا الشهر المبارك ، فمنهم من كان يختم القرآن الكريم في عشر ليال ومنهم في سبع ليال ، ومنهم في ثلاث ليال ، حتى ذكروا عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه كان يقرأ في رمضان ستين ختمة.

وكان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل رمضان أقبل على تلاوة القرآن ، وترك التدريس والفتيا ، ويقول ، هذا شهر القرآن.

وأما ما ورد في نهي النبي ﷺ عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث .هذا في حال المداومة على ذلك ، هكذا قال أهل العلم.

أما الأوقات الفاضلة كشهر رمضان فيستحب الإكثار من تلاوة القرآن ، ولو في أقل من ثلاث ، وقد قال بهذا القول الإمام أحمد وإسحاق ابن راهوية وغيرهما من الأئمة .

٧- ومن الأعمال الصالحة المؤكدة في رمضان : الاعتكاف :

ففي صحيح البخاري [(١)] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال: كان النبي ﷺ «**يعتكف في كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين يوما**» .

نسأل الله أن يوفقنا جميعًا لاتباع هدي نبينا ﷺ .

٨- ومن الأعمال الصالحة المؤكدة في رمضان : الدعاء :

شهر رمضان شهر الدعاء والإجابة والتوبة والإنابة، فينبغي الإكثار منه.

فيا صائمًا جفت شفتاه من الصيام ، وظمئت كبده من العطش ، أكثر من الدعاء فإنه عبادة ، فأكثروا من الدعاء لكم ولأبنائكم بالهداية والثبات،

(١) البخاري برقم (٢٠٤٤) .

وللمسلمين بالنصر والتمكين ، وللعلماء والدعاة بالثبات والتوفيق ، فإن الله يستجيب للصائمين الدعاء ، قال عليه الصلاة والسلام: « **إن لله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **عتقاء في كل يوم وليلة يعني:- في رمضان - وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة** » .[1]

اللهم اجعل شهرنا هذا شهر خير وبركة وأعنا فيه على طاعتك.

اللهم وفقنا لصيام شهر رمضان ، واجعلنا ممن أدرك ليلة القدر و صامها إيمانًا واحتسابًا.



(١) كشف الأستار برقم (٩٦٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٠٠٢).



٢٠ فضائل الصيام

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : إن من العبادات العظيمة التي وردت النصوص في فضلها وبيان عظمتها ، هي عبادة الصيام لله رب العالمين ، فأحببت في هذه الجمعة المباركة أن أجعل الحديث عن هذه العبادة.

أيها المؤمنون : الصيام من أنفع العبادات ، وأعظمها أثرًا في تزكية النفوس وتطهير القلوب ، وتهذيب الأخلاق وتقوية الإيمان ، وتحقيق التقوى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٣).

والعبد يتجلى خيره ويظهر فضله إذا كان من الصائمين القائمين لرب العالمين ، قال جلت عظمته في كتابه الكريم : ﴿ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٤).

والصيام من أعظم السياحة ، فلله ما أحلاها من سياحة ، قال عز من قائل في كتابه الكريم : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (التوبة : ١١٢).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ هم الصائمون، وسمي الصائم سائحًا، لأن الذي يسيح في الأرض متعبدًا لا يكون له زاد، فحين يجد يطعم، فالصائم كذلك يمضي نهاره لا يطعم شيئًا.

وقال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [2] ومن أفضل الأعمال الصيام، وهو ترك الملاذ من الطعام والشراب والجماع، وهو المراد بالسياحة هاهنا؛ ولهذا قال: ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ كما وصف أزواج النبي ﷺ بذلك في قوله تعالى: ﴿ سَٰٓئِحَٰتٖ ﴾ أي: صائمات.

وقد بين الله جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه أن جزاء الصائمين والصائمات المغفرة والجنة فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ

(١) شرح السُّنَّة ج٦(٢١٩) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٤(٣٥٤) .

وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٣٥).

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في قوله تعالى : ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ خبر عن هؤلاء المذكورين كلهم أي أن الله تعالى قد أعد لهم أي هيأ لهم مغفرة منه لذنوبهم وأجرًا عظيمًا وهو الجنة.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: ولما كان الصوم من أكبر العون على كسر الشهوة، كما قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» ناسب أن يذكر بعده ﴿ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ ﴾ أي عن المحارم والمآثم إلا عن المباح كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾ (المؤمنون: ٥- ٧) .

إخوة الإيمان والإسلام : ومن الآيات التي تدل على فضل الصيام قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (الزمر : ١٠).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3]: الصابرون الصائمون في أكثر الأقوال.

ولقد سمى نبينا ﷺ شهر رمضان شهر الصبر فقد ثبت عند ابن

(١) تفسير ابن كثير ج٦(١٩٤) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٦(١٩٢) .
(٣) الفتح ج٤(٥٩٩).

حبان[١] عن النمر بن تولب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدور**».

وعند النسائي [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**شهر الصبر، وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر**».

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ [٣] ومن أفضل أنواع الصبر: الصيام، فإنه يجمع الصبر على الأنواع الثلاثة، لأنه صبر على طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، وصبر عن معاصي الله، لأن العبد يترك شهواته لله ونفسه قد تنازعه إليها، ولهذا في الحديث الصحيح: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، إنه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي».

وفيه أيضًا صبر على الأقدار المؤلمة بما قد يحصل للصائم من الجوع والعطش، وكان النبي ﷺ يسمي الصيام شهر الصبر.

وما أجمل ما قاله العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [٤] وهو يتحدث عن فضل الصيام فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين، وهو لرب العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك

---

(١) صحيح ابن حبان برقم (٦٥٥٧) والجامع الصحيح لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ ج٢(٤٤٢-٤٤٣).

(٢) سُنن النسائي ج٤(٢١٨) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح لشيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ ج٢(٤٣٩).

(٣) جامع العلوم والحكم بتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ج٢(٢٦).

(٤) زاد المعاد ج٢(٢٧).

طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم ، وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة : ١٨٣).

وقال النبي ﷺ : «الصيام جُنَّة» وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام وجعله وجاء هذه الشهوة والشاهد أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة المستقيمة شرعه الله لعباده رحمة بهم ، وإحسانًا إليهم وحمية لهم وجُنَّة.

ومن الأدلة في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ التي تدل على فضل الصيام قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾ (الحاقة : ٢٤).

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١] من الأعمال الصالحة : من صلاة وصيام وصدقة وحج وإحسان إلى الخلق، وذكر لله وإنابة إليه، وترك الأعمال السيئة فالأعمال جعلها الله سببًا لدخول الجنة ومادة لنعيمها وأصلاً لسعادتها.

ومن فضائل الصيام العظيمة التي ينفرد بها : أن الله جَلَّوَعَلَا جعله كفارة في بعض الأحكام الشرعية ، وهذه أمثلة تدل على ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا

(١) تفسير السعدي ج٥(٢٩٠) .

تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ (البقرة : ١٩٦)

وقالَ تعالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ٩٢)

وقال جل ثناؤه: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة : ٨٩)

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ (المائدة : ٩٥ -٩٦).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ

﴿شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤﴾ (المجادلة : ٣- ٤) .

فهذه الآيات القرآنية تدل على أن الصيام سبب عظيم في تكفير الذنوب.

وفي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: هلكت، يا رسول الله، قال: «**وما أهلكك؟**» قال: وقعت على امرأتي في رمضان، قال: «**هل تجد ما تعتق رقبة؟**» قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا، قال: «**فهل تجد ما تطعم ستين مسكينًا؟**» قال: لا، قال: ثم جلس، فأتي النبي ﷺ بعرق فيه تمر، فقال: «**تصدق بهذا**» قال: أفقر منا؟ فما بين لابتيها أهل بيت أحوج إليه منا، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: «**اذهب فأطعمه أهلك**».

أيها المسلمون : الصيام فضله عظيم ، وثوابه عند الله كبير ، ففي الصحيحين [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**» .

أي: من صام رمضان تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه ، وطلبًا لأجر لا قصد آخر من رياء وغيره ، غفر له ما تقدم من ذنبه.

وفي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام**

(١) البخاري برقم (١٩٣٦) ومسلم برقم (١١١١) .
(٢) البخاري برقم (١٩٠١) ومسلم برقم (٧٦٠) .
(٣) البخاري برقم (١٩٠١) ومسلم برقم (٧٦٠) .

جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث يومئذ ولا يسخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل: إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، يوم القيامة، من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه» .

ومعنى قوله الصيام جُنَّة : أي ستر ووقاية من النار.

وقوله فلان يرفث: أي لا يتكلم بفحش.

وقوله ولا يسخب: بالسين ، وفي بعضها: بالصاد وهو الصياح .

وقوله لخلوف: تغيير ريح الفم من الصوم .

ومن فضائله أيضًا: أنه جنة من النار ففي سُنن النسائي [1] عن عثمان ابن أبي العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الصيام جُنَّة كجُنَّة أحدكم من القتال**» وفي رواية «**الصيام جنة من النار كجُنَّة أحدكم من القتال**».

وهو جنة من الشهوات ، ففي الصحيحين[2] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء**» أي: وقاية.

عباد الله : في الصيام تحقيق للتقوى ، وامتثال لأمر الله ، وقهر للهوى، وتقوية للإرادة ، وتهيئة للمسلم لمواقف التضحية والفداء والشهادة ، كما أن به تتحقق الوحدة والمحبة والإخاء والألفة ، وفيه يشعر المسلم بشعور المحتاجين ، ويحس بجوع الجائعين ، الصيام مدرسة للبذل والجود والصلة،

(١) النسائي ج٤(١٦٧) .
(٢) البخاري برقم (٥٠٦٦) ومسلم برقم (١٤٠٠) .

فهو حقًا معين الأخلاق ، ورافد الرحمة ، من صام حقًا صفت روحه ورق قلبه ، وصلحت نفسه وجاشت[١] مشاعره ، وأرهفت أحاسيسه ولانت عريكته[٢][٣] .

نسأل الله الكريم العظيم أن يمن علينا جميعًا بالتوفيق والسداد والهداية، وأن يوفقنا لصيام رمضان وقيامه ، وأن يعتق رقابنا ورقاب والدينا من النار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ، ولجميع المسلمين والمسلمات فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) جاشت: أي تدفقت . تاج العروس (جيش) والمراد كثر شعوره بفعل الخير.
(٢) العريكة النفس ، ولانت عريكته: أي سلس خلقه.
(٣) كوكبة الخطب المنيفة للشيخ السديس ص(٢٢٧) – وفقه الله.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله جعل الصيام جنة ، وسببًا موصلًا إلى الجنة ، وأحمده سبحانه وأشكره هدى ويسر فضلًا منه ومنة ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن سار على منهجهم واتبع أثر هم إلى يوم الدين.

وبعد معاشر المسلمين :

ومن فضائل الصيام أيضًا: ما جاء في الصحيحين[١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من عبد يصوم يوما في سبيل الله، إلا باعد الله، بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**» وقوله سبعين خريفًا: أي مسيرة سبعين عامًا.

وعند الترمذي في سُننه [٢] عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض**» .

عباد الله : إن الصيام عباده عظيمة ، فلا مثل له ولا عدل له ففي مُسند أحمد[٣] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت يارسول الله دلني على عمل أدخل به الجنة قال ﷺ : «**عليك بالصوم؛ فإنه لا مثل له**» وفي رواية «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**» .

أي : لا مثل له في كسر الشهوة، ودفع النفس الأمارة بالسوء والشيطان.

---

(١) البخاري برقم (٢٨٤٠) ومسلم برقم (١١٥٣) .
(٢) الترمذي برقم (١٦٢٤) والصحيحة برقم (٥٦٣) .
(٣) أحمد برقم (٢٢١٤٠) والنسائي ج٤(١٦٥) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٤٩٢) .

أولا مثل له في كثرة الثواب، بل الصيام يدخل الجنة كما في هذا الحديث العظيم.

والصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة كما جاء في مُسند أحمد (١) عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه يقول القرآن: رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان» قال: «فيشفعان»**.

وقد جعل الله الريان للصائمين ، ففي البخاري ومسلم (٢) عن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « **إن في الجنة بابًا يقال له الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد** ».

وفيهما أيضًا (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: « **من أنفق زوجين في سبيل الله نودي في الجنة: يا عبد الله، هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الريان** ». قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، ما على أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال رسول الله ﷺ : «**نعم، وأرجو أن تكون منهم**».

ومن الأدلة على فضل الصيام أن النبي ﷺ مَثَّلَ المجاهدين في سبيل الله بالصائمين وما ذلك إلا دليل على المنزلة العالية للصائمين ، ففي سُنن

---

(١) أحمد برقم (٦٦٢٦) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع برقم (٣٨٨٢).
(٢) البخاري برقم (١٨٩٦) ومسلم برقم (١١٥٢) .
(٣) البخاري برقم (١٨٩٧) ومسلم برقم (١٠٢٧) .

النسائي [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المجاهد في سبيل الله، والله أعلم بمن يجاهد في سبيله، كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد**» .

وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**مثل المجاهد في سبيل الله، كمثل الصائم نهاره القائم ليله، حتى يرجع متى رجع**»[٢] .

ومن فضائل الصيام أن من مات وهو صائم دخل الجنة ، روى البزار في مُسنده [٣] عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «**من ختم له بصيام يوم دخل الجنة**» .

ومن فضائل الصيام أن النبي ﷺ جعله شعار الأبرار كما جاء في مُسند عبد بن حميد[٤] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان النبي ﷺ إذا اجتهد لأحد في الدعاء قال: «**جعل الله عليكم صلاة قوم أبرار، يقومون الليل، ويصومون النهار، ليسوا بأثمة ولا فجار**» .

وأنت - يا أخي،إذا صمت رمضان وقمته فأنت من الصديقين والشهداء ، ففي صحيح ابن حبان[٥] عن عمرو بن مرة الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن شهدت أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان، وقمته، فممن أنا؟، قال: «**من الصديقين والشهداء**».

---

(١) صحيح النسائي برقم (٣١٢٧)
(٢)أحمد برقم (١٨٤٠١) وحسنه شيخنا العلامة الوادعي كما في الجامع الصحيح ج٢ (٤١١).
(٣)البزار برقم (٢٨٥٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في الصحيحة برقم (١٦٤٥)
(٤) المنتخب برقم (١٣٦٠) وصححه شيخنا العلامة الوادعي في الجامع الصحيح (٢/ ١٦٤) برقم (٧٤٤١) .
(٥) صحيح ابن حبان برقم (٣٤٣٨) صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ كما في تعليقه على صحيح ابن حبان ، وكذلك صححه الشيخ شعيب في تعليقه على صحيح ابن حبان.

ومن فضائل الصيام أن من صام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة ، ففي صحيح البخاري[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان كان حقًا على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها**».

وفي صحيح مسلم[٢] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ ، فقال: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئًا، أأدخل الجنة؟ قال: «**نعم**» .

أمة الإيمان والإسلام ،للصيام فوائد عظيمة منها:

١- أنه يكسب العبد الخير الكثير في الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة : ١٨٤).

٢- تحقيق التقوى ، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(البقرة: ١٨٣).

نصوم فإن الصوم من علم التقى وأن طويل الجوع يومًا سيشبع

٣- أنه يضعف مجاري الشيطان ، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان.

٤-وأنه يحمل الإنسان على البذل والإحسان والرحمة والحنان بالفقراء

(١) البخاري برقم (٧٤٢٣) .
(٢) صحيح مسلم برقم (١٥) .

والمحتاجين ، فإن الصائم إذا صام تذكر الجائعين ، وإذا عطش تذكر العطشى ، فيحمله ذلك على البذل والصدقة والإحسان إلى الفقراء.

وقد سئل أحد العلماء :لم شرع الله الصيام؟ فقال : ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع.

٥- وأن فيه علاجًا لكثير من الأمراض مثل:

١- اضطراب المعدة.

٢- البول السكري غير الحاد المزمن.

٣- التهاب المفاصل.

٥- أمراض القلب المصحوب بتورم.

٦- زيادة ضغط الدم الذاتي.

فهذه كلها دواؤها الصوم عند الأطباء الحاذقين وغيرها من الفوائد الكثيرة (١)

نسأل الله العلي القدير أن يمُن علينا بالرحمة والرضوان والعتق والغفران في هذا لشهر المبارك، شهر الصيام والقيام ، اللهم يا أرحم الراحمين لا تردنا خائبين ، ولا من رحمتك مطرودين ، فنحن الفقراء إليك، الأسراء بين يديك ، إليك توجهنا ، ولمعروفك تعرضنا ، ولبابك قرعنا ، ومن فضلك سألنا ، فارحم خضوعنا ، واقبل خشوعنا ، واجبر قلوبنا ، واستر عيوبنا ، واغفر ذنوبنا ، وأقر برؤيتك في الآخرة عيوننا ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

---

(١) المواعظ السنية لأيام شهر رمضان البهية للكمالي ص(٤٤ -٤٥) .



٢١ فضل البكاء من خشية الله

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلاَ مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : حديثنا اليوم معكم إن شاء الله عن **(فضل البكاء من خشية الله)** .

البكاء من خشية الله ، هو إراقة الدموع من أثر الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، أو

للتعبير عن حزن في الفؤاد ، والله جَلَّجَلَالُهُ وتقدست أسماؤه خلق في عباده الضحك والبكاء ، وسببهما وهما مختلفان ، قال ربنا جلت عظمته: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴾ (النجم : ٤٣).

أيها المؤمنون ، البكاء من خشية الله عَزَّوَجَلَّ رحمة ، ونعمة يدل على وجود الصفاء ، والنقاء ، ويدل على وجود الخشية والخشوع والرقة والخوف والفرق والوجل ، وقوة الإيمان وصحته ، ولقد مدح الله عَزَّوَجَلَّ الأنبياء والرسل وعباده الصالحين ، بهذه الصفة النبيلة والخصلة الكريمة قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ﴾ (مريم : ٥٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: أي: إذا سمعوا كلام الله المتضمن حججه ودلائله وبراهينه، سجدوا لربهم خضوعا واستكانة، وحمدا وشكرا على ما هم فيه من النعم العظيمة.

وقال تعالى عن عباده الصالحين: ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَۤ لِلۡأَذۡقَانِۤ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الإسراء : ١٠٧ -١٠٩).

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡحَقِّ وَنَطۡمَعُ أَن يُدۡخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ

(١) تفسير ابن كثيرج٥(٢٣٩).

جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (المائدة : ٨٣ -٨٥).

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] وهذه أحوال العلماء يبكون ولا يصعقون ويسألون ولا يصيحون ويتحازنون ولا يتموتون كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ (الزمر : ٢٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: لكن الأحوال التى كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وجل القلوب ودموع العين واقشعرار الجلود.

وما أجمل ما قاله الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣] عند قوله تعالى : ﴿ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾ أي هذه صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون من الوعد والوعيد، والتخويف والتهديد تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف ﴿ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ لما يرجون ويؤملون من رحمته ولطفه فهم مخالفون لغيرهم من الفجار من وجوه.

[أحدها] أن سماع هؤلاء هو تلاوة الآيات وسماع أولئك نغمات الأبيات من أصوات القينات .

[الثاني] أنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا بأدب

(١) تفسير القرطبي ج٦(٢٥٨).
(٢) مجموع الفتاوى ج١١(٨) .
(٣) تفسير ابن كثير ج٦(٢٤٨- ٢٤٩) .

وخشية ورجاء ومحبة وفهم وعلم كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٢-٤] وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾ [الفرقان: ٧٣] أي لم يكونوا عند سماعها متشاغلين لاهين عنها بل مصغيين إليها فاهمين بصيرين بمعانيها فلهذا إنما يعملون بها ويسجدون عندها عن بصيرة لا عن جهل ومتابعة لغيرهم.

[الثالث] أنهم يلزمون الأدب عند سماعها كما كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عند سماعهم كلام الله تعالى من تلاوة رسول الله ﷺ تقشعر جلودهم ثم تلين مع قلوبهم إلى ذكر الله. ولم يكونوا يتصارخون ولا يتكلفون بما ليس فيهم بل عندهم من الثبات والسكون والأدب والخشية ما لا يلحقهم أحد في ذلك ولهذا فازوا بالمدح من الرب الأعلى في الدنيا والآخرة.

قال عبد الرزاق حدثنا معمر قال: تلا قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ قال هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله عَزَّ وَجَلَّ بأن تقشعر جلودهم وتبكي أعينهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما هذا في أهل البدع، وهذا من الشيطان.

وقال تعالى منكرًا على المشركين الغافلين: ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النجم: ٥٩ - ٦١).

وهذا استفهام إنكاري، والمراد بالحديث القرآن.

وأما ما جاء في السُّنَّة النبوية من الأحاديث في فضل البكاء من خشية الله عَزَّوَجَلَّ فكثير ، وهذه بعض الأحاديث في ذلك ، فمنها:

ففي صحيحي البخاري ومسلم [(١)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا**»، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» فساق الحديث وفيه « **ورجل ذكر الله خاليًا، ففاضت عيناه**» رواه البخاري ومسلم [(٢)].

ومعنى ففاضت عيناه: أي بكت من خشية الله تعالى ، وهذا الحديث يدل على أن أصدق البكاء ما كان في الخفية ، ولا سيما إذا صحب المرء ذكر ذنوبه وتقصيره في طاعة ربه ، كما في حديث ثوبان الصحيح الذي قال فيه رسول الله ﷺ : «**طوبى لمن ملك لسانه ، ووسعه بيته ، وبكى على خطيئته**» [(٣)] .

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء، وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات**

---

(١) البخاري برقم (٢٦٢١) ومسلم برقم (٢٣٥٩) .
(٢) البخاري برقم (١٤٢٣) ومسلم برقم (١٠٣١) .
(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير برقم (٢١٢) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٩٢٩) .

تجأرون إلى الله تعالى» رواه الترمذي وابن ماجه [(١)]

والصعدات : أي الطرقات.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم**» رواه الترمذي والحاكم وقال الترمذي حديث حسن صحيح [(٢)].

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قال رسول الله ﷺ : «**عينان لا تمسهما النار أبدًا : عين باتت تكلأ المسلمين في سبيل الله و عين بكت من خشية الله**» رواه أبو يعلى وغيره[(٣)].

أيها الإخوة في الله إذا كان أحدكم لا يستطيع البكاء فليحاول أن يتباكى، والتباكي هو استجلاب البكاء ، واستدعاؤه لخشية الرحمن ورقة القلب ، قال بعض السلف ابكوا من خشية الله تعالى ، فإن لم تبكوا فتباكوا، وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من استطاع منكم أن يبكي فليبك ، ومن لم يستطع فليتباك[(٤)].

وجاء في صحيح مسلم [(٥)] أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال لرسول الله ﷺ حينما رأه هو وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك؟ فإن وجدت بكاء بكيت، وإن

---

(١) الترمذي برقم (٢٣١٢) وابن ماجه برقم (٤١٩٠) وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ حديث حسن دون قوله «لوددت أني كنت شجرة تعضد» .
(٢) الترمذي برقم (٢٣١١) والحاكم ج٤(٢٨٨) برقم (٧٦٦٧) .
(٣) أبو يعلى برقم (٤٣٤٦) وقال الألباني صحيح كما في صحيح الجامع برقم (٤١١٣) .
(٤) الزهد لابن المبارك برقم (١٢٠) .
(٥) مسلم برقم (١٧٦٣) .

لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما» .

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فأقره النبي ﷺ على ذلك ولم ينكر عليه [٦].

نسأل الله أن يرزقنا خشيته في الغيب والشهادة .

والحمد لله رب العالمين.



---

(٦) زاد المعاد ج١ (١٧٨) .

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد فيا أيها المؤمنون: البكاء من أفضل الطاعات وأجل القربات.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن البكاء على عشرة أنواع[1]:

❋ أحدها: بكاء الرحمة والرقة.

❋ والثاني: بكاء الخوف والخشية.

❋ والثالث: بكاء المحبة والشوق.

❋ والرابع: بكاء الفرح والسرور.

❋ والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله.

❋ والسادس: بكاء الحزن.

❋ والسابع: بكاء الخور والضعف.

❋ والثامن: بكاء النفاق.

❋ والتاسع: البكاء المستعار والمستأجر عليه.

❋ والعاشر: بكاء الموافقة.

ثم فصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ كل نوع من هذه الأنواع.

أيها المؤمنون: كان رسول الله ﷺ أتقى الناس وأكثر الناس خشية وبكاء لله عَزَّوَجَلَّ، وهذه أمثلة من بكاء رسول الله ﷺ، وبكاء السلف الصالح.

---

(١) زاد المعاد ج١(١٧٧-١٧٨).

أما رسول الله ﷺ ففي الصحيحين (١) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال لي النبي ﷺ: «اقرأ عليَّ» قلت: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإني أحب أن أسمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال: «أمسك» فإذا عيناه تذرفان .

وعن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : «أتيت النبي ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البُكى » رواه أبو داود (٢)

ومعنى أزيز : أي أن لجوفه صوتًا كصوت غليان القدر.

وعن عبيد بن عمير أنه قال لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ قال: فسكتت ثم قالت: لما كان ليلة من الليالي، قال: «**يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي**» قلت: والله إني لأحب قربك، وأحب ما سرك، قالت: فقام فتطهر، ثم قام يصلي، قالت: فلم يزل يبكي حتى بل حجره، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته، قالت: ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض، فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فلما رآه يبكي، قال: يا رسول الله، لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر؟، قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا، لقد نزلت علي الليلة آية، ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها** ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ الآية كلها [آل عمران: ١٩٠].

هذا حديث حسن رواه ابن حبان في صحيحه(٣) .

(١) البخاري برقم (٤٥٨٢) ومسلم برقم (٨٠٠).
(٢) أبو داود برقم (٩٠٤) وصححه العلامة الألباني رحمه الله كما في صحيح أبي داود.
(٣) صحيح ابن حبان برقم (٦٢٠) حسن - «الصحيحة» (٦٨) .

وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر، فبكى، حتى بل الثرى، ثم قال: «يا إخواني لمثل هذا فأعدوا» رواه ابن ماجه (١).

وأما خليفة رسول الله ﷺ ، وهو أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد كان من ارق الناس قلبًا وأكثرهم بكاءً ، حتى قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «إن أبا بكر إذا قام في مقامك« تخاطب رسول الله ﷺ » لم يسمع الناس من البكاء، » رواه البخاري ومسلم (٢).

وأما عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلقد كان رقيق القلب كثير البكاء مع شدةٍ وحزم ، فلقد كان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمع انينه في الصلاة من وراء ثلاثة صفوف.

وأما عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فما وقف على قبر إلا بكى ، فيُسئل عن ذلك فيقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا العبد منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه العبد ، فما بعده أشد منه**» قال: وقال رسول الله ﷺ : «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**» رواه أحمد وابن ماجه (٣).

وأما علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه فكان إذا أرخى الليل سدوله وغارت نجومه ، فلا تراه إلا قائمًا باكيًا يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين .

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قرأ هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٣٣٨٢) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) البخاري برقم (٦٧٩) ومسلم برقم (٤١٨) .
(٣) أحمد برقم (٤٥٤) وابن ماجه برقم (٤٢٦٧) وصححه العلامة الألباني كما في المشكاة برقم (١٣٢) .

لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ الحديد: ١٦) بكى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتى يغلبه البكاء.

وهكذا كانت أحوال الصحابة والتابعين.

ولذلك قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: من تأمل أحوال الصحابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - وجدهم في غاية العمل مع غاية الخوف، ونحن جميعًا بين التقصير، بل التفريط والأمن.

وصدق ابن المبارك إذ يقول عن أحوالهم:

إذا ما الليل أقبل كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا وأهل الأمن في الدنيا هجوع
لهم تحت الظلام وهم سجود أنين منه تنخلع الضلوع
وخرس بالنهار لطول صمت عليهم من سكينتهم خشوع

وكان عطاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: ما لقيت سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا باكيًا فقلت ما شأنك؟ قال أتخوف أن أكون في أم الكتاب شقيًا.

وكان الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا ذكر عند الموت خنقته العبرة.

وقال حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رأيت ثابت البناني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبكي حتى تختلف أضلاعه[2].

(١) الضوء المنير جمع علي الصالحي ج٤(٣١٧).
(٢) السير ج٥(٢٢٤).

وكان عطاء السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبكي عند الموعظة حتى يخشى عليه [١].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كنت أقرأ على الأنماطي (شيخه) وهو يبكي ، فاستفدت ببكائه أكثر من استفادتي بروايته ، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره [٢].

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يبكي فقيل له ما يبكيك؟ قال اخاف أن يطرحني ربي غدًا في النار ولا يبالي.

ذكره ابن رجب الحنبلي في كتابه « التخويف من النار » .

إخواني في الله ، هذا هو خوف السلف وبكاؤهم ، فأين نحن من هؤلاء الرجال.

ألا فلنتق الله ، ولنعلم أننا ما أصبنا بقسوة القلوب ، وبهذه الغفلة التي خيمت علينا إلا بكثرة معاصينا وذنوبنا ، والله المستعان.

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وترد بها الفتن عنا ، وتحفظ بها غائبنا ، اللهم اجعلنا حربًا على أعدائك ، سلمًا لأوليائك ، نحب بحبك من أطاعك من خلق ، ونعادي بعداوتك من عاداك من خلقك ، اللهم إنا نسألك الفوز عند القضاء والنصر على الأعداء ، ومنا زل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء اللهم أصلح الراعي والرعية وأهد الأمة المحمدية يا أرحم الراحمين.

---

(١) السير ج٦(٨٧) .

(٢) السير ج٢٠(١٣٦) .



٢٢ فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : لقد وردت أدلة عظيمة في فضائل الصحابة وعدالتهم، وإخبار الله عن طهارتهم وخيرتهم ، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ

وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ آل عمران : ١١٠).

وقَالَ تعَالَىَ: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ الفتح : ١٨).

وقَالَ تعَالَىَ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ التوبة : ١٠٠).

عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا، ما أدرك مد أحدهم، ولا نصيفه**».[١]

أيها المؤمنون عباد الله : ومن الصحابة الأجلاء الذين لهم الفضل والسبق الخليفة الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه ، وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيًا.

فنظرًا لعلو منزلته وتشكيك الرافضة في منزلته ، أحببت أن أذكر فضائله ومناقبه.

وفضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كثيرة ومتعددة ، نبدأ بذكر نسبه :

فهو ، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أبو عمرو وأبو عبد الله القرشي الأموي.

لقبه : ذا النورين ، لأن النبي ﷺ زوجه ببنتيه رقية وبعد أن توفيت زوجه بأم كلثوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، ولم يعلم أن أحدًا تزوج ابنتي نبي غيره» [٢]

ولد عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد عام الفيل بست سنوات على الصحيح،

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٦٧٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،ورواه مسلم برقم (٢٥٤١٢) .
(٢) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين للذهبي ص(٤٧٠) .

وتولى الخلافة ثنتي عشرة سَنة حجها كلها إلا سنتين.

أما صفته الخلقية: فكان رجلًا ربعة ليس بالقصير ولا بالطويل ، وحسن الوجه مشرف الأنف من أجمل الناس ، رقيق البشرة عظيم اللحية أسمر اللون ، كثير الشعر جمته إلى أسفل أذنيه ، ضخم الكرا ديس بعيد ما بين المنكبين- والكراديس- كل عظمين ألتقيا في مفصل نحو المنكبين والركبتين والوركين.

وكان عزيزًا في قريش له المحبة والقبول بينهم ، حتى صار في المثل السائر عند العرب ، أحبك الرحمن محبة قريش عثمان.

وفي صحيح البخاري»[١] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال : « **فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: «هذه يد عثمان»**. فضرب بها على يده، فقال: «هذه لعثمان».

هاجر الهجرتين فهاجر هو وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ إلى الحبشة ، بل هو أول من المهاجرين إليها ، ثم تبعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة ، ثم عاد إلى مكة ، ثم هاجر بعد ذلك إلى المدينة فارًا بدينه ، وهو من الأئمة المهتدين والخلفاء الراشدين الذين قال فيهم نبينا الكريم ﷺ «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»[٢].

وهو من أصحاب الشورى الستة ، وهو أحد الثلاثة الذين خلصت لهم الخلافة ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، فعن سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في

(١) البخاري برقم (٣٦٩٩) .
(٢) أبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٨).

الجنة، وعثمان في الجنة... »[١].

وكان شديد الحياء كثير التواضع والكرم عظيم الخوف والخشية لله رب العالمين ، لم يسجد في الجاهلية فقط ، ولم يقترف فاحشة قط ، ولم يظلم مسلمًا قط ، وكان كثير البكاء ، فكان إذا ذكر القبر بكى حتى يبل لحيته ، وكان كثير التلاوة للقرآن الكريم .

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: ما مات عثمان حتى خرق مصحفه من كثرة ما يديم النظر فيه وكان يقول : والله لو طهرت قلوبنا لما شبعنا من كلام ربنا.

وأما عدله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فها هو يقيم الحد على أخيه من أمه الوليد بن عقبة، الذي صلى بهم صلاة الصبح ركعتين ثم قال: أأزيدكم؟ فضحك ابن مسعود وقال ما زلنا اليوم في مزيد فجاء حمرآن وشهد عند عثمان أنه شرب الخمر، وشهد آخر أنه رآه يتقيأ ، فقال عثمان : إنه لم يتقيأ حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده ، فقال علي قم يا حسن فاجلده ، فقال الحسن ولِّ حارها متولي قارها.

فكأنه وجد عليه عثمان: ثم قال قم يا عبد الله بن جعفر فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين، فقال: أمسك ، ثم قال: جلد النبي ﷺ أربعين وجلد أبو بكر أربعين ، وجلد عمر ثمانين وهذا أحب إليَّ وفي رواية وكل سُنة.[٣]

عباد الله : مناقبه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كثيرة وفضائله جميلة ، فمن فضائله :

أن النبي ﷺ بشره بالجنة ، ففي الصحيحين [٤] ، عن أبي موسى

---

(١) أبو داود برقم (٤٦٤٩) والترمذي برقم (٣٧٥٧) وغيرهما.
(٢) البداية والنهاية ج٤(٢٢٥) .
(٣) صحيح مسلم برقم (٤٤٨٠) .
(٤) البخاري برقم (٣٦٧٤) ومسلم برقم (٢٤٠٣) .

الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه توضأ في بيته، ثم خرج، فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ، ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ ، فقالوا: خرج ووجه ها هنا، فخرجت على إثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس، فجلست عند الباب، وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها، وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر، فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم .

فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلت: على رسلك ثم ذهبت، فقلت: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**». فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل، ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف، ودلى رجليه في البئر كما صنع النبي ﷺ ، وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عمر بن الخطاب، فقلت على رسلك، ثم جئت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن؟ فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**»، فجئت فقلت: ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة.

فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره، ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فجلست، فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة، على بلوى تصيبه**» فجئته فقلت له: ادخل، وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة

على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر قال شريك بن عبد الله، قال سعيد بن المسيب «فأولتها قبورهم» .

وبشره رسول الله ﷺ بالشهادة ، ففي صحيح البخاري [(١)] عن أنس ابن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ صعد أحدًا، وأبو بكر، وعمر، وعثمان فرجف بهم، فقال: «**اثبت أحد فإنما عليك نبي، وصديق، وشهيدان**» .

والمراد بالشهيدين : عمر وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفي صحيح مسلم[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ ، كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد**».

ومن فضائله ما جاء في البخاري [(٣)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ ، لا نفاضل بينهم» .

ومن فضائله أنه كان كان كثير الحياء ففي صحيح مسلم [(٤)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: إن أبا بكر استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه، لابس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك، فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، ثم استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته، ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس، وقال لعائشة: «اجمعي عليك ثيابك» فقضيت إليه حاجتي، ثم انصرفت، فقالت عائشة: يا رسول الله ما لي لم أرك فزعت لأبي بكر، وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، كما فزعت

---

(١) البخاري برقم (٣٦٧٥) وغيره.
(٢) مسلم برقم (٢٤١٧) .
(٣) البخاري برقم (٣٦٩٨) وغيره.
(٤) مسلم برقم (٢٤٠٢) .

لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ : «إن عثمان رجل حيي، وإني خشيت، إن أذنت له على تلك الحال، أن لا يبلغ إلي في حاجته» .

بل عثمان بن عفان رضي الله عنه أشد أمة محمد حياءً فعند أبي نعيم في الحلية(١) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**عثمان أحيا أمتي وأكرمها**» أي أكثرها حياءً .

بل من أشد حيائه رضي الله عنه أن الملائكة كانت تستحي منه، ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله ﷺ ، وسوى ثيابه - قال محمد: ولا أقول ذلك في يوم واحد - فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة رضي الله عنها: دخل أبو بكر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك فقال: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟**» .

وهذه لعمر الله منقبة جليلة ، ودليل على قوة الإيمان وكماله عند هذا العبد الأواب ولقد كان يقول : ما من عامل يعمل عملًا إلا كساه الله رداء عمله.

وقال: ما أسر عبد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه أو فلتات لسانه.

وقال رضي الله عنه : ما مسست ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ حياء من الله.

---

(١) الحلية برقم (١٥٧) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٩٧٧) .

فـلا والله مــا في الـعـيـش خير ولا الـدنـيـا إذا ذهــب الحياء
يعيش المــرء مـا استحيا بخير ويبقى الـعـود مـا بقي الحياء

ومن فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه كان رجلًا عفيفًا ، فلقد كان في غاية العفة ففي سُنن أبي داود[١] عن أبي أمامة بن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع عثمان وهو محصور في الدار، وكان في الدار مدخل، من دخله سمع كلام من على البلاط، فدخله عثمان، فخرج إلينا وهو متغير لونه، فقال: إنهم ليتواعدونني بالقتل آنفا، قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين، قال: ولم يقتلونني؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إسلام، أو زناً بعد بعد إحصان، أو قتل نفس بغير نفس** »، **فوالله ما زنيت في جاهلية، ولا في إسلام قط، ولا أحببت أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلت نفسًا، فبم يقتلونني؟** » .

ومن فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حفر بئر رومة واشتراها للمسلمين من اليهود ، ففي صحيح البخاري [٢] أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي ﷺ ، ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفر رومة فله الجنة**»؟ فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**»؟ فجهزتهم، قال: فصدقوه بما قال » .

ومن فضائله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما جاء عند الترمذي وغيره [٣] عن عبد الرحمن

---

(١) أبو داود برقم (٤٥٠٢) وأحمد برقم (٣٤٧) والنسائي ج٧(٩١- ٩٢) وابن ماجه برقم (٢٥٣٣).
(٢) البخاري برقم (٢٧٧٨).
(٣) الترمذي برقم (٣٧١٠).

بن سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار - حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره. قال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين**» .

والحمد لله رب العالمين .



الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على نعمائه ، والصلاة والسلام على خير أنبيائه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فسوف أسوق على مسامعكم قصة مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما فيها من العبرة والعظة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فقد بيَّن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيُقتل مظلومًا فكان كذلك ، وأن المنافقين سوف يحاصرونه ويقتلونه فكان الأمر كذلك ، وأن من أراد النجاة من الفتن فليتبع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأنه يومئذ على الحق والهدى وهذه الأحاديث الصحيحة تدل على ذلك:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يا عثمان إنه لعل الله يقمصك قميصًا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم**» (١) .

وفي رواية « **فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه** » (٢) .

وثبت عند ابن ماجه في سُننه(٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مرضه: «**وددت أن عندي بعض أصحابي**» قلنا: يا رسول الله، ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت، قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت قلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «**نعم**» ، فجاء، فخلا به، فجعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يكلمه،

---

(١) الترمذي برقم (٣٧٠٥) وابن ماجه برقم (١١٢) وحسنه العلامة الألباني
(٢) أحمد برقم (٢٤٥٦٦) صححه شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٣) صحيح ابن ماجه برقم (٩١).

ووجه عثمان يتغير قال: قيس، فحدثني أبو سهلة مولى عثمان، أن عثمان بن عفان، قال يوم الدار: «إن رسول الله ﷺ عهد إلي عهدًا، فأنا صائر إليه» وقال علي في حديثه: «وأنا صابر عليه» ، قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم.

وصح عند الإمام الترمذي في سُننه [(١)] عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة، فقال: «**يُقتل هذا فيها مظلومًا لعثمان**» وإسناده صحيح.

وعن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال :قال رسول الله ﷺ ذات يوم: «**تهجمون على رجل معتجر يبايع الناس من أهل الجنة**» . فهجمنا على عثمان ابن عفان وهو يبايع الناس. [(٢)]

قوله : (معتجر) أي لاف عمامته على رأسه من غير تحنيك .

وفي المُسند [(٣)] عن ابن حوالة، قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في ظل دومة وعنده كاتب له يملي عليه، فقال: «**ألا أكتبك يا ابن حوالة؟**» قلت: لا أدري، ما خار الله لي ورسوله، فأعرض عني - وقال إسماعيل، مرة في الأولى: «نكتبك يا ابن حوالة؟» قلت: لا أدري، فيم يا رسول الله؟ فأعرض عني -، فأكب على كاتبه يملي عليه، ثم قال: «أنكتبك يا ابن حوالة؟» قلت: لا أدري، ما خار الله لي ورسوله. فأعرض عني، فأكب على كاتبه يملي عليه، قال: فنظرت فإذا في الكتاب عمر، فقلت إن عمر لا يكتب إلا في خير، ثم قال: «أنكتبك يا ابن حوالة؟» ، قلت: نعم، فقال: «يا ابن حوالة كيف تفعل في فتنة تخرج في أطراف الأرض كأنها صياصي

(١) سُنن الترمذي برقم (٣٧٠٨) .
(٢) السُّنَّة لابن أبي عاصم ج٢(٥٩٠) وهو في الصحيح المُسند لشيخنا العلامة الوادعي رحمه الله برقم (٥٦٩) .
(٣) أحمد برقم (١٧٠٠٤) وهو في الصحيح المُسند للعلامة الوادعي رحمه الله برقم (٥٦٨).

بقر؟» ، قلت: لا أدري، ما خار الله لي ورسوله، قال: «وكيف تفعل في أخرى تخرج بعدها كأن الأولى فيها انتفاجة أرنب؟» قلت: لا أدري، ما خار الله لي ورسوله، قال: «اتبعوا هذا» ، قال: ورجل مقف حينئذ، قال: فانطلقت فسعيت، وأخذت بمنكبيه، فأقبلت بوجهه إلى رسول الله ﷺ، فقلت: هذا؟ قال: «نعم» قال: وإذا هو عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

صياصي بقر: قرونها.

انتفاجة أرنب: كوثبته من موضعه.

مقفي: اسم فاعل بالتشديد أي مدبر.

أيها الأخوة ، هذه الاحاديث وغيرها تدل على ما أخبر به رسول الله ﷺ فلقد هجم الثوار والمنافقون على عثمان وقتلوه كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ وعابوا عليه أشياء أكثرها باطلة ، كما بين بطلان ذلك ابن العربي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه « العواصم من القواصم».

حتى قال عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في مصنف ابن أبي شيبة [(١)] لقد عبتم على عثمان أشياء لو أن عمر فعلها ما عبتموها.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : عمل أمير المؤمنين ثنتي عشرة سنة لا ينكرون من إمارته شيئًا حتى جاء فسقة فداهن في أمره أهل المدينة.

أيها الإخوة : لقد جاء الثوار إلى دار عثمان فحاصروه أربعين يومًا ، وطلبوا إما بعزله وإما بقتله ، وكيف يتنازل عن الخلافة وقد قال له نبينا ﷺ : « **فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه** » .

وجاء عبد الله بن عمر إلى عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال له : يا أمير

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٧(٤٩١) .

المؤمنين ، لا تسن هذه السُّنَّة في الإسلام، ولا تخلع قميصًا ألبسكه الله، فرفض عثمان الاعتزال عن مسئوليته، وكيف يعتزل ويسلم الحكم وكرامة الدولة لعصابة مفتونة ، ولا وألف لا فدام الحصار عليه ، وكان عنده في الدار قرابة سبعمائة من المهاجرين والأنصار ، وخلق كثير من مواليه ولو تركهم لمنعوه ، ولكن يا أخي ماذا ترى ماذا قال لهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقد قال لهم: أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وأن ينطلق إلى منزله.

وفي المُسند و المستدرك [١] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أصبح فحدث، فقال: إني رأيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام الليلة، فقال: «**يا عثمان، أفطر عندنا**» فأصبح عثمان صائماً فقُتل من يومه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

وقال عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للصحابة : الذين تجمعوا حوله ليواجهوا الثوار إن أعظمكم عندي غناءً من كف سلاحه ويده [٢] .

ولما رأى أبا هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقد جاء شاهرًا سلاحه – مدافعًا عن عثمان المظلوم– أما إنك لو قتلت رجلًا واحدًا لكأنما قتلت الناس جميعًا.

ورأى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الحسن والحسين وابن عمر وعبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وشبابًا آخرين من المهاجرين والأنصار ، وقد أخذوا مكانهم لحراسته ، فقال لهم: أناشدكم الله وأسألكم به ألا تراق بسببي محجمة دم.

وجاء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال للحسن ولده : ادخل على عثمان وقل له يأمرني بما يريد فما جئت إلا لنصرته ، فخرج الحسن من عند عثمان وقال : إن أمير المؤمنين يقرئك السلام ويقول لك لا حاجة لي في قتال وإهراق الدماء ، قال فنزع علي عمامة سوداء فرمى بها بين يدي الباب

(١) المُسند برقم (٥٣٦). والمستدرك برقم (٤٥٥٤) وهو حديث صحيح بمجموع الطرق.
(٢) مصنف ابن أبي شيبة ج٧(٤٨٩).

وجعل ينادي : ﴿ ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾ (يونس : ٥٢).

وقال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرقيقه: من أغمد سيفه فهو حر ، ولما دخلوا على عثمان واقتحموا داره وأصابوا يده قال: والله إنها لأول يد خطت المفصل وكتبت آي القرآن وسال الدم على مصحفه الشريف ، ونال الشهادة في سبيل الله عَزَّوَجَلَّ كما أخبر نبينا ﷺ وقتل مظلومًا ورحل الشهيد إلى الله عن دنيا الناس بعد حياة طويلة مليئة بالبذل والعطاء والتضحية والجهاد والعدل والسماحة والتواضع.

وقد قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه يوم الجمعة صبيحة عيد الأضحى لسُّنَّة خمس وثلاثين من الهجرة ، وأول من ضربه كنانة بن بشير وكان رجلًا أزرق ، ضرب يده بالسيف فقطعت ودفن قرب البقيع وكان عمره اثنين ثمانين سَنة. وصلى عليه الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وقد نال الذين قتلوا عثمان العذاب الدنيوي ،والله أعلم كيف العذاب الأخروي.

قال يزيد بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ : إن عامة الذين ساروا إلى عثمان جنوا أي أصيبوا بالجنون[١] .

وفي تاريخ الإسلام للذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ [٢] أن جهجاه الغفاري أخذ عصا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي كان يختصر بها فكسرها على ركبته، فوقعت في ركبته الآكلة.

وقال الحافظ ابن أبي الدنيا رَحِمَهُ اللَّهُ [٣] عن طعمة بن عمرو وكان رجلًا

(١) الزوائد للهيثمي ج٩(٩٧) وقال إسناده حسن.
(٢) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء ص(٤٧٤).
(٣) مصنف ابن أبي شيبة ج٧(٤٨٩).

قد يبس وشحب من العبادة فقيل له : ما شأنك؟، فقال :إني حلفت أن ألطم عثمان فلما قتل جئت فلطمته فقالت لي امرأته أشل الله يمينك وصلى وجهك النار ، فقد شلت يميني وأنا أخاف أي الأخرى ، وهذه القصة صحيحة.

ولقد رثاه بعض الشعراء من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومنهم حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال :

قتلتم ولي الله في جـوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتدي

فلا ظفرت أيـمان قـوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدد

وقال كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا للرجال لأمـر هـاج لي حـزنا لقد عجبت لمن يبكي على الدمن[1]

إني رأيـت قتيل الـدار مضطهدًا عثمان يُهدى إلى الأجداث في كفن[2]

وفقنا الله وإياكم لمراضيه ، وجعل مستقبل حالنا خيرًا من ماضيه ، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا ، وزدنا علماً وامنحنا فهماً وحلماً.

اللهم إنا نشهدك أنا نحب أصحاب رسول الله ﷺ اللهم احشرنا معهم، ووفقنا لاتباع منواهم يا أرحم الراحمين ، هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) الدمن جمع دمنة: وهي ما تدمنه الإبل والغنم بأبوالها وأبعارها. النهاية لابن الأثير ج٢ (١٣٤) .

(٢) تاريخ الإسلام في عهد الخلفاء ص(٤٨٢).

٢٣ فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : أصحاب محمد ﷺ كالنجوم في الدجى ، وكالبدر في الليلة الظلماء ، فلقد مدحهم الله وأثنى عليهم في كتابه الكريم وعدلهم وزكاهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة : ١٠٠)

وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ (الفتح : ٢٩).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب : ٢٣).

والآيات كثيرة في مناقبهم وفضائلهم ، أولئك الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بذلوا النفس والنفيس في نصرة هذا الدين العظيم.

أنفقوا الأموال في سبيل إعلاء كلمة الله ، وبذلوا مهجهم في مرضات الله ، وسبلوا نفوسهم في طاعته.

جادوا بأوقاتهم في سبيل نشر هذا الدين في سائر المعمورة ، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم وأكرم بالجنات مثواهم.

فحيهلا بكم أيها المؤمنون مع سيرة رجل من رجال ذلك الجيل ، بل ومع بطل من الأبطال ، إنه علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ القائل :

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيْثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيْهُمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

عباد الله : قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: ما بلغنا عن أحد من الصحابة ما بلغنا عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وقال أحمد وإسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ[2]: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الجياد أكثر مما جاء في علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ونبدأ بذكر نسبه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ أبو الحسن وأبو تراب .

أحد الخلفاء الراشدين المهديين المأمور بالاقتداء بهم بقوله ﷺ «**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**» .[3]

تربى علي في حجر رسول الله ﷺ وزوجه ابنته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة.

وهو أحد الستة أصحاب الشورى وهم :

١ – عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢ – علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٣ – عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

٤ – سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٥ – طلحة بن عبيد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) فتح الباري ج٧(٤٣٨) .
(٢) فتح الباري ج٧(٤٣٤).
(٣) أبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٨).

٦- الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مات رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، ففي صحيح البخاري[١] قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض».

هاجر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من مكة إلى المدينة وشهد بدرًا والحديبية وسائر المشاهد غير تبوك لم يشهده ، وذلك أن رسول الله ﷺ خلفه على المدينة.

وأخذ اللواء بيده في مواطن عديدة وجاهد في سبيل الله حق جهاده.

وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أوعية العلم والفقه والفتيا ، وهو من جملة من غسل النبي ﷺ وكفنه وولي دفنه.

وهو أول من أسلم من الصبيان ، ومن الرجال أبو بكر ، ومن الموالي زيد بن حارثة ومن الأرقاء بلال ، ومن النساء خديجة.

وهو من العشرة المبشرين بالجنة ففي مُسند الإمام أحمد[٢] عن سعيد ابن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: «**النبي في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة**» ولو شئت أن أسمي العاشر» وهو سعيد بن زيد كما في الرواية الأخرى.

وهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قاتلت معه ملائكة الله في غزوة بدر ، ففي مُسند الإمام أحمد[٣] عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال لعلي ولأبي بكر يوم بدر «مع أحدكما جبريل، ومع الآخر ميكائيل، وإسرافيل ملك عظيم يشهد القتال

---

(١) فتح الباري ج٧(٤٢٢) البخاري باب مناقب علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أحمد برقم (١٦٣١) وحسنه الشيخ شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٣) أحمد برقم (١٢٥٧) وصححه شيخنا الوادعي رحمه الله في كتابه الصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين برقم (٩٧٧)..

أو قال يشهد في الصف» .

علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السابقين الأولين الزاهدين الورعين ، حتى قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ : إن عليًا ما زانته الخلافة ولكن هو زانها.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ : أزهد الناس في الدنيا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأما صفة خلقه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **:**

فقد كان رجلًا ربعة أدعج العينين ، عظيم اللحية ، حسن الوجه كأنه قمر ليلة البدر ، عظيم البطن عريض المنكبين.

وله كنيتان: أبو الحسن وأبو تراب- وكان يفرح إذا قيل له ، يا أبا تراب لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كناه بها.

ففي الصحيحين [١] عن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل عليّ على فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أين ابن عمك، قالت: في المسجد، فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره »**، فيقول: **«اجلس يا أبا تراب مرتين»** .

أيها المسلمون : لقد وردت أحاديث كثيرة وأخبار شهيرة في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمن ذلك:

١- أنه رجل يحب الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويحبه الله ورسوله ، فعن سهل

---

(١) البخاري برقم (٣٧٠٣) ومسلم برقم (٢٤٠٩) .

ابن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال يوم خيبر: «لأعطين هذه الراية غدًا رجلًا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب**». فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**». فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم**» .[(١)]

وفي رواية مسلم [(٢)] قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها » .

فهذه لعمر الله منقبة عظيمة بلغ إليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وذلك لعظم اتباعه لسُنَّة رسول الله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (آل عمران : ٣١).

وهو ولي كل مؤمن بعد رسول الله ﷺ فقد ثبت عند ابن حبان في صحيحه[(٣)] عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بعث رسول الله ﷺ

---

(١) البخاري برقم (٣٧٠١) ومسلم برقم (٢٤٠٦) .
(٢) مسلم برقم (٢٤٠٥) .
(٣) سُنن الترمذي برقم (٣٧١٢) وصحيح ابن حبان برقم (٦٩٢٩) وصحيحه العلامة الألباني كما في الصحيحة برقم (٢٢٢٣) .

سرية، واستعمل عليهم عليًّا، قال: فمضى علي في السرية، فأصاب جارية، فأنكر ذلك عليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: إذا لقينا رسول الله ﷺ أخبرناه بما صنع علي، قال عمران: وكان المسلمون إذا قدموا من سفر بدؤوا برسول الله ﷺ، فسلموا عليه ونظروا إليه، ثم ينصرفون إلى رحالهم، فلما قدمت السرية سلموا على رسول الله ﷺ، فقام أحد الأربعة، فقال: يا رسول الله، ألم تر أن عليًّا صنع كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله، ألم تر أن عليًّا صنع كذا وكذا، فأعرض عنه، ثم قام آخر فقال: يا رسول الله، ألم تر أن عليًّا صنع كذا وكذا، فأقبل إليه رسول الله ﷺ والغضب يعرف في وجهه، فقال: «**ما تريدون من علي – ثلاثًا – إن عليًا مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي**».

وعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه»[(١)]

ومن فضائله: ما جاء عند الإمام أحمد[(٢)] عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ «عادى الله من عادى عليًا»

ومن فضائله: ما جاء عند الإمام البخاري في صحيحه[(٣)]، عن البراء ابن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**أنت مني، وأنا منك**».

ومن فضائله: ما جاء في مُسند الإمام أحمد[(٤)] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: اشتكى عليًّا الناس، قال: فقام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا، فسمعته يقول: «**أيها الناس لا تشكوا عليًا، فوالله إنه لأخيشن في ذات الله، أو**

---

(١) أحمد برقم (٢٢٩٤٥) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٧٥٠).
(٢) أحمد برقم (٣٩٦٦) صحيح الجامع برقم (٣٩٦٥).
(٣) البخاري برقم (٤٢٥١).
(٤) أحمد برقم (١١٨١٧) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٢٤٧٩).

في سبيل الله من أن يشتكى» .

ومن فضائله: دعوة الرسول ﷺ له بتثبيت لسانه وهداية قلبه ، ففي مُسند أحمد [(١)] عن علي رضي الله عنه، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله إنك تبعثني إلى قوم هم أسن مني لأقضي بينهم. قال: «**اذهب، فإن الله تعالى سيثبت لسانك، ويهدي قلبك**» .

ومن فضائله: أن النبي ﷺ جعل محبته علامة إيمان وبغضه علامة نفاق ففي صحيح مسلم [(٢)] عن زر بن حبيش، قال: قال علي رضي الله عنه: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة ، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ: «**أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق**» .

ومن فضائله: إخبار النبي ﷺ عن جهاده لأهل الأهواء فقد صح عند النسائي في الخصائص[(٣)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله**» فاستشر فنا وفينا أبو بكر وعمر فقال : لا ، ولكنه خاصف النعل وذلك أن رسول الله خرج من بيته فانقطع نعله فتأخر علي يخصفه.

ومن فضائله: أنه من النبي ﷺ بمنزلة هارون من موسى، ففي الصحيحين [(٤)] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك، واستخلف عليًّا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون، من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي**» .

ومن فضائله: أن النبي ﷺ وصفه بالقوة والشجاعة وأنه لا يفر من

---

(١) أحمد برقم (٦٦٦) .
(٢) مسلم برقم (٧٨) والنسائي في الخصائص برقم (٩٧) .
(٣) النسائي في الخصائص برقم (١٥٦) والسلسلة الصحيحة للألباني برقم (٢٤٨٧) .
(٤) البخاري برقم (٤٤١٦) مسلم برقم (٢٤٠٤) .

العدو إذا واجهه ، ففي مُسند الإمام أبي يعلى[١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أخذ رسول الله ﷺ الراية فهزها ثم قال: «**من يأخذها بحقها؟**»، فجاء الزبير فقال: أنا، فقال: «**أمط**»، ثم قام رجل آخر فقال: أنا، فقال: «أمط»، ثم قام آخر قال: أنا، فقال: «أمط» فقال رسول الله ﷺ: «**والذي أكرم وجه محمد لأعطينها رجلًا لا يفر بها، هاك يا علي**»، فقبضها ثم انطلق حتى فتح الله فدك وخيبر، وجاء بعجوتها وقديدها .

ومن فضائله: رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه من أحب الرجال إلى رسول الله ﷺ من أهل بيته ، فعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**كان أحب النساء إلى رسول الله ﷺ فاطمة ومن الرجال علي**»[٢] ، يعني من أهل بيته ، وأما العموم فأحب الناس إليه أبو بكر ، ومن النساء عائشة والله أعلم .

ومن فضائل: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما ثبت عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا تقول: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: «**من أحب عليًا فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض عليًا فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله**» .[٣]

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يوم الجحفة وأخذ بيد علي، فخطب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا أيها الناس «**إني وليكم**» قالوا: صدقت يا رسول الله ثم أخذ بيد علي فرفعها وقال: « **هذا**

(١) مُسند أبي يعلى برقم (١٣٤٧) وصححه شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين برقم (٣٩٠) .

(٢) الترمذي برقم (٣٨٦٨) وصححه شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في الصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين برقم (١٥٤) .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير برقم (٩٠١) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٢٩٩) .

وليي، ويؤدي عني ديني وأنا موالي من والاه ومعادي من عاداه» .[١]

إني أحـب أبـا حفص وشيعته	**كما أحب عتيقًا صاحب الغار**
وقد رضيت عليًا قدوة علمـًا	**وما رضيت بقتل الشيخ في الدار**
كل الصحابة سـاداتي ومعتقدي	**فهل علي بهذا القـول من عار**

والحمد لله رب العالمين.

(١) الخصائص ص وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (١٩٨٠) .

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ولي الصالحين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الغر الميامين ، على أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، لقد بشر النبي ﷺ علي بن أبي طالب رضوان الله عليه بالشهادة كما جاء ذلك في صحيح مسلم[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ، كان على حراء هو وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، فتحركت الصخرة، فقال رسول الله ﷺ : «**اهدأ فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد**» .

وقد جعل نبينا ﷺ قاتل علي من أشقى الناس ، كما جاء عند الحاكم [٢] عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟**» **قلنا: بلى يا رسول الله، قال:** «**أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضر بك يا علي على هذه – يعني قرنه – حتى تبتل هذه من الدمِ – يعني لحيته –**» . واسم أحيمر ثمود الذي عقر الناقة: قدار بن سالف.

عباد الله : لقد اجتمع ثلاثة نفر من الخوارج وهم:

١- عبد الرحمن بن ملجم.

٢- والبرك بن عبد الله.

---

(١) مسلم برقم (٢٤١٧) .

(٢) المستدرك ج٣(١٤٠ -١٤١) والسلسلة الصحيحة برقم (١٧٤٣) .

٣- وعمر بن بكر التيمي.

فتذاكروا أمر الناس وعابوا على ولاتهم ، ثم ذكروا أهل النهروان فترحموا عليهم ، ثم قالوا : ما نصنع بالبقاء بعد إخواننا الذين كانوا دعاة للناس ، والذين كانوا لا يخافون في الله لومة لائم؟ فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلالة فالتمسناهم فقتلناهم ، فتعاقدوا وتعاهدوا بالله لا ينكص رجل منا عن صاحبه حتى يقتله أو يموت دونه ، فأخذوا أسيافهم فسمموها لخمس عشرة تخلو من رمضان سَنة ٤٠ هجرية ، أن يثب كلٌ على صاحبه الذي توجه إليه ، فأم البرك بن عبد الله فقال أنا أكفيكم معاوية بن أبي سفيان وأما عمرو بن بكر التيمي فقال وأنا أكفيكم عمرو بن العاص، وأما عبد الرحمن بن ملجم ، فاسمع إلى العلامة ابن عبد البر وهو يسوق لك قصته في قتله لعلي بن أبي طالب رضوان الله عليه:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1]: وكان سبب قتل ابن ملجم له أنه خطب امرأة من بني عجل بن لجيم يقال لها قطام، كانت ترى رأي الخوارج، وكان علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد قتل أباها وإخوتها بالنهروان، فلما تعاقد الخوارج على قتل علي وعمرو ابن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وخرج منهم ثلاثة نفر ، لذلك كان عبد الرحمن بن ملجم هو الذي اشترط قتل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فدخل الكوفة عازمًا على ذلك، واشترى لذلك سيفًا بألف، وسقاه السم فيما زعموا حتى لفظه، وكان في خلال ذلك يأتي عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يسأله ويستحمله، فيحمله، إلى أن وقعت عينه على قطام، وكانت امرأة رائعة جميلة، فأعجبته ووقعت بنفسه فخطبها، فقالت: آليت ألا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه.

فقال: وما هو؟، فقالت: ثلاثة آلاف، وقتل علي بن أبي طالب. فقال:

---

(١) الاستيعاب ج٣(١١٢٣ - ١١٢٩) وأضواء البيان تفسير سورة الإسراء ص(٥٠١).

والله لقد قصدت لقتل علي ابن أبي طالب والفتك به، وما أقدمني هذا المصر غير ذلك، ولكني لما رأيتك آثرت تزويجك. فقالت: ليس إلا الذي قلت لك. فقال لها: وما يغنيك أو ما يغنيني منك قتل علي وأنا أعلم إني إن قتلته لم أفلت؟ فقالت: إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت، تبلغ شفاء نفسي ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها. فقال لها: لك ما اشترطت. فقالت له: إني سألتمس من يشد ظهرك. فبعثت إلى ابن عم لها يقال له وردان بن مجالد، فأجابها، ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي.

فقال: يا شبيب، هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال: وما هو؟ قال: تساعدني على قتل علي بن أبي طالب، قال له: ثكلتك أمك! لقد جئت شيئًا إذًا ! كيف نقدر على ذلك؟ قال: إنه رجل لا حرس له، يخرج إلى المسجد منفردًا ليس له من يحرسه فنكمن له في المسجد، فإذا خرج إلى الصلاة قتلناه، فإن نجونا نجونا، وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة. فقال: ويلك! إن عليًّا ذو سابقة في الإسلام مع النبي ﷺ، والله ما تنشرح نفسي لقتله. فقال: ويحك، إنه حكم الرجال في دين الله عَزَّوَجَلَّ، وقتل إخواننا الصالحين، فنقتله ببعض من قتل، فلا تشكن في دينك.

فأجابه، وأقبلا حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لنفسها، فدعت لهم، وأخذوا سيوفهم، وجلسوا قبالة السدة التي يخرج منها علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرج علي لصلاة الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطأه، وضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه، وقال: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك، فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فزت ورب الكعبة، لا يفوتنكم الكلب. فشد الناس عليه من كل جانب، فأخذوه، وهرب

شبيب خارجًا من باب كندة.

وقد اختلف في صفة أخذ ابن ملجم، فلما أخذ قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أجلسوه، فإن مت فاقتلوه ولا تمثلوا به، وإن لم أمت فالأمر إلي في العفو أو القصاص.

وأما البرك بن عبد الله فإنه في تلك الليلة التي ضرب فيها علي قعد لمعاوية ، فلما خرج يصلي الغداة شد عليه بسيفه فوقع السيف في اليتيه ، فأخذ ثم أمر به معاوية فقتل...إلخ .

وأما عمرو بن بكر فجلس لعمرو بن العاص تلك الليلة فلم يخرج ، وكان يشتكي بطنه فأمر خارجة بن حُذَافة وكان صاحب شرطته ، فخرج ليصلي بالناس فشد عليه ظنًّا أنه عمرو بن العاص ، فضربه فقتله فأخذه الناس إلى عمرو ، فقال : من هذا ؟ فقالوا عمرو بن العاص ، قال فمن قتلت؟ قالوا خارجة بن حذافة ، قال أما والله يا فاسق ما ظننته غيرك ، فقال عمرو : أردتني وأراد الله خارجة فقدمه عمرو فقتله.

وهكذا قتل الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورحل إلى ربه بعد جهاد مرير وعمل صالح كثير ، وكان استشهاده في يوم الجمعة في شهر رمضان المعظم ، في سبع عشرة من سنة أربعين من الهجرة عن ثلاث وستين سَنة على المشهور من كلام أهل العلم ، ولقد رثاه الشعراء ، وبكى عليه العلماء، ولما قال عمران بن حطان السدوسي يمدح عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

يا ضربة من تقي ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يومًا فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

فرد عليه الفحول من شعراء أهل السُّنَّة وتراشقته السهام من كل جانب ، فقال محمد الخطيب ردًا على ابن حطان هذا :

يا ضربة من غدور صار بها ... أشقى البرية عند الله إنسانًا
إذا تفكرت فيه ظلت ألعنه ... إيهًا وألعن عمران بن حطانا

وقال الفقيه الطبري:

يا ضربة من شقي ما أراد بها ... إلا ليهدم من العرش بنيانا
إني لأذكره يومًا فألعنه ... إيها وألعن عمران بن حطانا

وقال أبو بكر بن حماد التا هرتي وهو ممن عاصر البخاري:

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت ويلك للإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس إسلامًا وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سنَّ الرسول لنا شرعًا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نورًا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا
وكان في الحرب سيفًا ماضيًا ... ذكرًا ليثًا إذا لقي الأقران أقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدرٌ ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادًا إذا عدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها	قبل المنية أزمانًا فأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله	ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل مجترمًا	ونال ما ناله ظلماً وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أوردته لظى	فسوف يلقى بها الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدًا بضربته	إلَّا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

اللهم إنا نسألك الثبات والهداية ، ونعوذ بك من الخذلان والغواية ، اللهم وفقنا للتوبة والإنابة وافتح لأدعيتنا أبواب الإجابة ، يا من إذا دعاه المضطر أجابه ، اللهم أنت المدعو بكل لسان والمقصود في كل آن ، أنت قلت ادعوني أستجب لكم ، فها نحن متوجهون إليك فلا تردنا ، استجب لنا كما وعدتنا ، اللهم أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك ، ونزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، اللهم اعصمنا من شر الفتن ، وعافنا في الدارين من جميع المحن ، وأصلح منا ما ظهر وما بطن .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



٢٤ فضائل أهل اليمن

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[1]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا معكم بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ عن (**فضائل أهل اليمن**)، أذكر ذلك لنعلم ما من الله به علينا من الفضائل العظيمة والمناقب الكثيرة، لنزداد شكرًا لربنا جَلَّوَعَلَا وإقبالًا على العمل الصالح ، لأن هذه الفضائل تشمل بإذن الله من كان صالحًا مستقيمًا من أهل اليمن الميمون ، أما من

كان رافضيًا يسب الصحابة، أو صوفيًا قبوريًا، فليس له أدنى نصيب من هذه المناقب والفضائل، بل إن الأمر كما يقول سلمان الفارسي لأبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إن الأرض المقدسة لا تقدس أحدًا إنما يقدس الإنسان عمله.(١)

أمة الإسلام : بلاد اليمن هي البلاد الواقعة في جنوب شبه الجزيرة العربية - يحدها من الجنو ب بحر العرب ، ومن الشمال بلاد الحجاز ، ومن الشرق بلاد عُمان ، ومن الغرب البحر الأحمر.

وسميت اليمن باليمن نسبة إلى اسم لولد قحطان بن الهميسع بن يمن ابن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وهذا مذهب الجمهور ، وقيل سميت يمن لأنها عن يمين الكعبة ، وقيل سميت باليمن من اليُمن بضم الياء وسكون الميم- أي البركة- .

ولقد كتب العلماء وألفوا الرسائل في فضائل أهل اليمن فمن ذلك :

١- أربعين حديثًا في فضائل اليمن- لمحمد القرشي.

٢- الدر المكنون في فضائل اليمن الميمون- للأهدل.

٣- القول الحسن في فضائل أهل ليمن - للإمام محمد بن علي الشوكاني.

٤- قرة العيون بأخبار اليمن الميمون- لابن ربيع الشيباني.

٥- تاريخ اليمن الإسلامي - لابن المطاع.

٦- الصحيح والحسن في فضائل اليمن - لعبد الرحمن العيزري.

وغيرها من الكتب والرسائل .

ولقد وردة أدلة من القرآن الكريم في فضائل أهل اليمن، قال تعالى :

(١) الصحيحة ج٦(٨٥٠) القسم الثاني.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [المائدة : ٥٤].

فقد جاء عند الحاكم وابن جرير[١] عن عياض الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: لما نزلت ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله ﷺ: «**هم قومك يا أبا موسى، وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري**» وأشار بيده إلى أبي موسى.

وجاء عند البيهقي[٢] عن أبي موسى، قال: تلوت عند النبي ﷺ ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤] فقال لي رسول الله ﷺ : «**هم قومك يا أبا موسى أهل اليمن**» .

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ : إذا عرفت أن هذه الآية نازلة فيهم بهذه الأحاديث فاعلم أنها قد اشتملت على مناقب لأهل اليمن ، ثم ذكر تلك المناقب مع شيء من التطويل وخلاصة تلك المناقب.

أولًا: أنه يأتي بهم عند ارتداد غيرهم من قبائل العرب.

ثانيًا: ﴿ يُحِبُّهُمۡ ﴾ ومن أحبه الله تعالى لا يعذبه كما قال تعالى ردًّا على اليهود والنصارى ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥۚ قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ بَلۡ أَنتُم بَشَرٞ مِّمَّنۡ خَلَقَۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [المائدة : ١٨].

ثالثًا: ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وهذه كرامة جليلة ومنقبة جميلة .. ومن أعظم محبة الله عَزَّوَجَلَّ ودلائل صحتها اتباع رسول الله في أقواله وأفعاله كما قال

(١) الحاكم ج٢(٣١٣) وابن جرير ج٨ (٥٢٢) وصححه الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) دلائل النبوة ج٥(٣٥١-٣٥٢) .

تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٣١).

رابعًا: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، فإن الذلة لأهل الإيمان من أشرف خصال المؤمنين وأعظم مناقبهم .

خامساُ: ﴿ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ، فإن ذلك هو أثر الصلابة في الدين والتشدد في القيام به والكراهية لأعدائه والغلظة على الخارجين عنه.

سادسًا: ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فإن الجهاد هو رأس الواجبات الشرعية ، وبه يقوم عماد الدين ، ويرتفع شأنه ، وتتسع دائرة الإسلام وتتقاصر جوانب الكفر ، ويهدم أركانه.

سابعًا: ﴿ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ ، وهذا هو شأن الإخلاص والقيام لله عَزَّوَجَلَّ ، وعدم المبالاة بما يخالف الحق ويباين الدين ،.... وكما جمع الله عَزَّوَجَلَّ لهم هذه المناقب في هذه الآية الشريفة نبههم على عظم العطية وجليل الإحسان ، فقال :﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

أيها المؤمنون : ومن الآيات الواردة في فضائل اليمن وأهله قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾ (السجدة : ٢٧) ،فقد جاء عند الطبري في التفسير عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال في قوله تعالى : ﴿ ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ أرض اليمن.

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ :﴿ ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ ﴾ أبين ونحوها.[١].

ومجاهد من الأئمة المفسرين ، حتى قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في

(١) تفسير الطبري ج١٨ (٦٤٢) قال الشيخ شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ رجاله ثقات ، وتفسير ابن كثير ج٦(١٥٢) قال المحقق إسناده صحيح.

صحيحه ، إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به .

ومن الآيات الواردة في فضل اليمن وأهله قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (سبإ : ١٥).

فجمع لهم في هذه الآية الكريمة مغفرة ذنوبهم وطيب بلدهم.

وقال تعالى ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ ﴾ (النصر : ١ - ٢).

فقد ذهب عكرمة ومقاتل والبغوي والماوردي وغيرهم أن المراد بالناس ، أهل اليمن .

وقد جاء عند ابن حبان [١] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بينما النبي ﷺ بالمدينة إذ قال: «**الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله، وجاء الفتح، وجاء أهل اليمن قوم نقية قلوبهم لينة طباعهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية**» .

عباد الله : ولقد وردت أحاديث كثيرة في فضائل أهل اليمن منها:

ما ثبت في الصحيحين [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ : «**أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة وألين قلوبًا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم**».

والأفئدة والقلوب بمعنى وأحد ، وقيل هذا من باب عطف الخاص على العام ، وتكراره بلفظين أولى من تكراره بلفظ واحد وفي لفظ «أتاكم

---

(١) ابن حبان برقم (٧٢٩٨) والموارد برقم (٢٢٩٩) صحيح لغيره - انظر التعليق، «الصحيحة» (٣٣٦٩).
(٢) البخاري برقم (٤٣٨٨) ومسلم برقم (٥٢) .

أهل اليمن هم أضعف قلوبا وأرق أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمانية»[١]

وفي البخاري ومسلم[٢]عن أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: «**ألا إن الإيمان ههنا، وإن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين، عند أصول أذناب الإبل، حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة، ومضر**» وهو حديث متواتر .

ومعنى الفدادين : الذين تعلوا أصواتهم في حروثهم وماواشيهم.

قال الإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ : وهذه الألفاظ الثابتة في الصحيحين وغيرهما قد اشتملت على مناقب عظيمة وفضائل كريمة منها:

الأولى: أنه أثبت لهم ﷺ رقة الأفئدة ولين القلوب،وهذه منقبة عظيمة، لأن هذا الوصف هو شأن أهل اليمن ، فرقة الفؤاد ولين القلب وصفان ملازمان للإيمان القوي والدين السوي.

الثانية: قوله ﷺ : « **الإيمان يمان**» فإن هذه اللفظ يشعر بقصر الإيمان عليهم بحيث لا يتجاوزهم إلى غيرهم ، لكن لما كان الإيمان قد وجد في غيرهم من قبائل وسكان الأرض ، كان هذا الحصر محمولًا على المبالغة في إثبات الإيمان لهم ، وأن إيمانهم هو الفرد الكامل من أفراد الإيمان الذي لا يساويه غيره ولا يدانيه سواه ، وهذا هو الحصر الذي يسميه أهل البيان ادعائيًا.

الثالثة: قوله ﷺ : « **والحكمة يمانية**» والحكمة : هي العلم بالله وبشرائعه والفهم لحججه ...إلخ.

---

(١) البخاري برقم (٤٣٩٠) ومسلم برقم (٥٢) .
(٢) البخاري برقم (٥٣٠٣) ومسلم برقم (٥١) وهذا لفظ مسلم.

الرابعة قوله ﷺ : « **والفقه يمان** » .. ومن أعطاه الله سبحانه الفهم الكامل لكتاب الله ولسُنَّة رسوله ﷺ ولاستخراج الوجوه منها التي هي الفقه في الدين ، فقد ضم إلى علمه صحة فهمه وقوة إدراكه ، وحسن تصرفه في الشرعيات والعقليات ، وكان الفرد الكامل في طوائف أهل العلم .[١]

أمة الإسلام : ومن فضائل أهل اليمن حبهم للعلم وأهله ، وحبهم لسُنَّة رسوله ﷺ فقد ثبت في مُسند الإمام أحمد[٢] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلًا يعلمنا، فأخذ رسول الله ﷺ ، بيد أبي عبيدة بن الجراح، فأرسله معهم فقال: «**هذا أمين هذه الأمة**» .

وفي رواية «يعلمنا السُّنَّة والإسلام»[٣] .

وفي رواية عند الحاكم «يعلمنا القرآن»[٤].

نسأل الله العلي القدير أن يحفظ علينا ديننا وأن يتوفانا مسلمين .

واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



(١) القول الحسن في فضائل أهل اليمن ص(٥٤ - ٦٠).
(٢) أحمد برقم (١٢٤٨١) الصحيحة للألباني برقم (١٩٦٤) .
(٣) مسلم برقم (٢٤١٩) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) الحاكم برقم (٥١٦٣) .

الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله ولي الصالحين، لا عدوان إلا على الظالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام الموحدين، وعلى آله وصحابته أجمعين.

أما بعد:

إخوة الإيمان والإسلام، مناقب أهل اليمن كثيرة جدًا، وكم وردت من الأدلة الكثيرة في سُنَّة نبينا ﷺ في فضائل أهل اليمن ففي مُسند أحمد [١] عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ بطريق مكة إذ قال: «**يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب، هم خيار من في الأرض**». فقال رجل من الأنصار: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت. قال: ولا نحن يا رسول الله؟ فسكت، قال: ولا نحن يا رسول الله؟، فقال في الثالثة كلمة ضعيفة: «**إلا أنتم**».

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **أن نبي الله** ﷺ قال: «**إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم**». فسئل عن عرضه فقال: «**من مقامي إلى عمان**» وسُئل عن شرابه فقال: «**أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة، أحدهما من ذهب، والآخر من ورق**» رواه مسلم [٢].

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**» قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ قال: «**اللهم**

---

(١) أحمد برقم (١٦٧٧٩) وحسنه شعيب الأرنؤوط.
(٢) مسلم برقم (٢٣٠١).

بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا» قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: «**هنالك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**»(١) .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنه سيأتي قوم تحقرون أعمالكم مع أعمالهم**» قلنا: يا رسول الله أقريش؟، قال: «**لا ولكن أهل اليمن**»(٢) .

وعن فيروز الديلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : إنهم أسلموا، وكان فيمن أسلم، فبعثوا وفدهم إلى رسول الله ﷺ ببيعتهم وإسلامهم ، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم ، فقالوا يا رسول الله نحن من قد عرفت ،وجئنا من حيث قد علمت ،وأسلمنا فمن ولينا؟ قال : « **الله ورسوله** »، قالوا حسبنا رضيناه(٣).

وعن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: دخلت على النبي ﷺ ، وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**»، قالوا: قد بشرتنا فأعطنا، مرتين، ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن، فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم**»، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر؟ قال: «**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض**»(٤).

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ : «**يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفًا ، ينصرون الله ورسوله، هم خير من بيني وبينهم**» (٥) .

---

(١) البخاري برقم (١٠٣٧) ومسلم برقم (٢٣٠١) .
(٢) الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ج٤(١٦٠) .
(٣) أحمد برقم (١٨٠٣٧) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع الصحيح ج٤(١٦٠) .
(٤) البخاري برقم (٧٤١٨).
(٥) أحمد برقم (٣٠٧٩) وصححه العلامة الوادعي في الجامع الصحيح ج٤(١٦١) .

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أهل اليمن أرق قلوبًا، وألين أفئدة، وأسمع طاعة»[(١)].

قوله: وأسمع طاعة: أي لولاة الأمور.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ نظر قبل العراق، والشام، واليمن، فقال: «**اللهم أقبل بقلوبهم على طاعتك، وحط من ورائهم**»[(٢)].

عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم**»[(٣)].

عن عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ يعرض يومًا خيلًا وعنده عيينة بن حصن بن بدر الفزاري، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنا أفرس بالخيل منك**»، فقال عيينة: وأنا أفرس بالرجال منك، فقال له النبي ﷺ: «**وكيف ذاك؟**» قال: خير الرجال رجال يحملون سيوفهم على عواتقهم جاعلين رماحهم على مناسج خيولهم، لابسو البرود من أهل نجد، فقال رسول الله ﷺ: **كذبت بل خير الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان إلى لخم وجذام وعاملة، ومأكول حمير خير من آكلها، وحضرموت خير من بني الحارث، وقبيلة خير من قبيلة، وقبيلة شر من قبيلة، والله ما أبالي أن يهلك الحارثان كلاهما، لعن الله الملوك الأربعة: جمدًا، ومخوسًاء، ومشرخًا، وأبضعة، وأختهم العمردة**، ثم قال: «**أمرني ربي عَزَّوَجَلَّ أن ألعن قريشًا مرتين، فلعنتهم، وأمرني أن أصلي عليهم، فصليت عليهم مرتين**» ثم قال: «**عصية**

---

(١) الطبراني في الكبير برقم(٨٢٣) وصححه العلامة الألباني في السلسلة برقم(١٧٧٥).
(٢) الطبراني في الأوسط برقم (٣٠١٥) والصغير برقم (٢٦٥).
(٣) الطبراني في الكبير برقم (٨٢٣) وصححه العلامة الألباني في السلسلة برقم (١٧٧٥).

عصت الله ورسوله، غير قيس وجعدة وعصية» وفي رواية «عصمة »[1] ثم قال: «**لأسلم وغفار ومزينة وأخلاطهم من جهينة خير من بني أسد وتميم وغطفان وهوازن عند الله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة**» ثم قال: «**شر قبيلتين في العرب نجران، وبنو تغلب، وأكثر القبائل في الجنة مذحج ومأكول**» رواه أحمد [2] .

وقوله ﷺ : « إلى لخم وجذام » قبيلتان يمنيتان.

وقوله ﷺ : «وأكثر القبائل في الجنة مذحج ومأكول» .

مذحج : بفتح أوله وسكون ثانيه ، وكر الحاء المهملة فجيم .

وقبائل مذحج كثيرة : مثل سنحان وعنس وبنو عبيدة وبنو الحارث ابن كعب وجلد وسعد العشيرة .... إلخ ما قاله المؤرخون والله تعالى أعلى و أعلم.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين،وأذل الكفر والكافرين، اللهم إنا نجعلك في نحور أعدائك ، ونعوذبك من شرورهم ، اللهم اجعل تدبيرهم تدميرهم ، اللهم اجعل الدائرة تدور عليهم ، اللهم اقتل الكفرة، وأهلك الطغاة الفجرة ، الذين يكذبون رسلك ويصدون عن سبيلك ، ولا يؤمنون بوعدك ، اللهم فرق شملهم وأحصهم عددًا واقتلهم بددًا ولا تبق منهم أحدًا ، اللهم احفظنا بالإسلام قائمين ، واحفظنا بالإسلام قاعدين ، واحفظنا بالإسلام راقدين ، ولا تشمت بنا الأعداء ولا الحاسدين.

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) وفي رواية عصمة – ولعل ذلك أصوب.

(٢) أحمد برقم (١٩٤٤٥) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٢٦٠٦)، وانظر شرح بعض ألفاظه في المُسند بتحقيق الشيخ شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ ج٣٢(١٩٤– ١٩٥)



٢٥ فضائل أهل العلم

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إلَهَ إلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّار .

أيها المؤمنون عباد الله : يقول ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٢).

هذه الآية الكريمة فيها دليل على وجوب التفقه في الدين ، وتفقيه الناس بالمقدار الذي تصلح به أحوالهم ، فلا يجهلون الأحكام الدينية العامة التي يجب على كل مؤمن أن يتعلمها ، والله عَزَّوَجَلَّ سمى الخروج في طلب العلم في هذه الآية نفيرًا كالخروج في طلب العدو ، لأن طلب العلم والتفقه في الدين نوع من أنواع الجهاد ، كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ (الفرقان : ٥٢).

قال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : من رأى الغدو والرواح في طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص عقله ورأيه.

وفي الصحيحين[(١)] عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال النبي ﷺ : «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**» .

وفيهما أيضًا[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**تجدون الناس معادن، فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا....**».

والفقه في دين هو معرفة أحكام الدين وهو ينقسم إلى قسمين :

١- فرض عين.

٢- فرض كفاية.

ففرض العين : مثل الطهارة والصلاة والصوم ، فعلى كل مكلف معرفته قال النبي ﷺ «**طلب العلم فريضة على كل مسلم** » .[(٣)]

---

(١) البخاري برقم (٧١) ومسلم برقم (١٠٣٧) .
(٢) البخاري برقم (٣٤٩٣) ومسلم برقم (٢٥٢٦) .
(٣) هذا الحديث حسن بشواهده فقد جاء عن عدة من الصحابة منهم أنس بن مالك وعبد الله ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وابن عباس وغيرهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا وهو عند ابن ماجه وغيره.

وكذلك كل عبادة أو جبها الشرع على كل أحد يجب عليه معرفتها ومعرفة علمها ، مثل علم الزكاة إن كان له مال وعلم الحج إن قدر عليه.

وأما فرض الكفاية: فهو أن يتعلم حتى يبلغ درجة الاجتهاد ورتبة الفتيا فإذا قعد أهل بلد عن تعلمه عصوا جميعًا ، وإذا قام من كل بلد واحد بتعلمه سقط الفرض عن الآخرين[١].

عباد الله : إن الذين نصبوا أنفسهم للعلم والتعليم والفقه لدين الله مراتبهم عند الله عالية ، ودرجتهم رفيعة ، وكيف لا وهم مجاهدون في سبيل إعلاء كلمة الدين ؟! كيف لا وهم يذودون عن الدين والملة ؟! وهذه إشارة إلى بعض الفضائل التي منح الله أهل العلم إياها.

فالعلماء الراسخون والفقهاء العابدون هم والله أهل الفضل والرفعة والسؤدد.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾ (المجادلة : ١١).

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين**» رواه مسلم[٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**يقال يوم القيامة لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**» رواه أبو داود [٣].

(١) معالم التنزيل للإمام البغوي ج٢(٣٤٠) .
(٢) مسلم برقم (٨١٧) .
(٣) أبو داود برقم (١٤٦٤) والترمذي برقم (٢٩١٤) .

وأهل العلم هم الواسطة بين الله وبين عباده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَـٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء : ٨٣).

أهل العلم هم حجة الله على خلقه في الدنيا ، فإنهم يبلغون دعوة الله إلى عباده وبذلك تقوم الحجة عليهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٥).

وأما في الآخرة فيقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَـٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَـٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَـٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الروم : ٥٥- ٥٦).

العلماء هم أهل الخشية التامة الكاملة لله والرهبة منه ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَـٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ (فاطر : ٢٨)

والخشية لله رب العالمين تورث الجنة كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ في محكم التنزيل: ﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ (البينة : ٨).

أهل العلم هم حملة الشريعة ، يكفيهم شرفًا وفخرًا ومنزلة عند الله أن القرآن في صدورهم كما قال المولى عز شأنه وجلت عظمته: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٩).

أهل العلم والفقه هم الذين يعقلون عن الله مراده فما أجل فهمهم وما أعظم رشدهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٣) .

العلماء هم أهل توحيد الله ، علمًا واعتقادًا وعملًا ودعوة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (آل عمران : ١٨) .

ويدخل في العلماء في هذه الآية دخولًا أوليًا والأنبياء لأن الله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ علمهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ (النساء : ١١٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة : ١٤٥).

كما أنه يدخل في الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل ، الذين هم أفضل الملائكة وغيرهم من الملائكة.

العلماء هم الذين أمر الله بسؤالهم والرجوع إليهم ، ولا سيما في زمن الفتن والمحن قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْۖ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأنبياء : ٧).

إذا أنت لم تدرِ ولم تك بالذي يُسائل من يدري فكيف إذا تدري

جهلت ولم تعلم بأنك جـاهل فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري

ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري وأنـك لا تـدري بأنك لا تدري

العلماء إذا ماتوا لا تقطع أجورهم ، بل يبقى علمهم محفوظًا بين الناس وذكرهم الجميل الدائم فقد روى الإمام مسلم في صحيحه[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ، قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** » .

فما الفخر إلا لأهـل العلم إنهم على الهـدى لمن استهدى أدلاء

وفضل كل امـرئ ما كان يحسنه والجاهلون لأهـل العلم أعـداء

ففز بعلم تعش حيًا بـه أبـدًا الناس موتى وأهل العلم أحياء

العلماء يعرفون الأشياء على حقيقتها ، فيعرفون الشر من البداية قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (سبإ : ٦).

أي: علمًا تفرقون به بين الحق والباطل وتميزون به بين الحقائق.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : العالم يرى الفتنة وهي مقبلة ، والناس لا يرونها إلا وهي مدبرة.

ولقد نفى الله التسوية بين العلماء والجهال ، كما نفى التسوية بين أصحاب الجنة وأصحاب النار ، فقال جلت عظمته في كتابه العظيم: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الزمر : ٩).

---

(١) مسلم برقم (١٦٣١) .

وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (الرعد: ١٩).

كما أنه لا يستوي أصحاب الجنة وأصحاب النار، فكذلك العالم والجاهل لا يستويان.

وكما أنه لا يستوي الليل والنهار والضياء والظلام، والماء والنار والأعمى والبصير والخبيث والطيب، والظل والحرور، وكذلك العالم والجاهل لا يستويان.

معاشر المسلمين ثبت عند أحمد والحاكم [١] عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا! ويعرف لعالمنا حقه».

وهذا الحديث ورد عن عدة من الصحابة مهم أنس وعبد الله بن عمرو وأبو هريرة وابن عباس وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

وعند ابن حبان[٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال رسول الله ﷺ: «**البركة مع أكابركم**» وسنده صحيح.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا»[٣].

والأكابر هم علماء أهل السُّنَّة الذين فهموا الكتاب والسُّنَّة بفهم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأصاغر هم أهل البدع.

---

(١) أخرجه أحمد ج٥(٣٢٣) والحاكم ج١(١٢٢) وصحيح الجامع برقم (٥٤٤٣).
(٢) صحيح ابن حبان برقم (٥٥٩).
(٣) الطبراني في الكبير برقم (٨٥٨٩) وسنده صحيح.

ولا شك أن موت العلماء ثلمة في الإسلام، لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار، روى الإما البخاري ومسلم في صحيحيهما [(١)] عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**».

إن وجود العلماء في الأمة من الأهمية بمكان، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه[(٢)] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة**».

أصبحنا في هذا الزمان وكأننا نعيش في الزمان الذي قال فيه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويربو فيها الصغير، إذا ترك منها شيء قيل: تركت السُّنَّة**»، قالوا: ومتى ذلك؟، قال: «**إذا ذهبت علماؤكم، وكثرت جهلاؤكم، وكثرت قراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الدين**»[(٣)].

وأما ما ورد من أقوال السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ في فضل العلماء فالآثار في غاية الكثرة فدونك شيئًا من ذلك:

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: محبة العلماء دين يدان به.[(٤)]

---

(١) البخاري برقم (١٠٠) ومسلم برقم (٢٦٧٣).
(٢) البخاري برقم (٥٩).
(٣) الدارمي ج١ (٦٤) بسند صحيح.
(٤) الإفادة لمفتاح دار السعادة ج١ (١١٨).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه مع أهل العلم.

وقال عبد الله بن أبي جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ : العلماء منار البلاد ، منهم يقتبس النور الذي يهتدى به .

وقال ميمون بن مهران رَحِمَهُ اللَّهُ : إن مثل العالم في البلد كمثل عين عذبة في البلد.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ : بنفسي العلماء - أي افتدي العلماء بنفسي- هم ضالتي في كل بلدة، وهم بغيتي إذا لم أجدهم وجدت صلاح قلبي في مجالسة العلماء.

وقال أبو الأسود الدؤلي رَحِمَهُ اللَّهُ : الملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك.

وقال بعضهم: من الدليل على فضيلة العلماء أن الناس تحب طاعتهم.

وقال بعض السلف : من عادى العلماء خسر دينه.

وقال طاووس بن كيسان رَحِمَهُ اللَّهُ : من السُّنَّة أن يوقر أربعة:العالم ، وذو الشيبة ، والسلطان والوالد ، قال : ويقال إن من الجفاء أن يدعو الرجل والده باسمه.[١]

فيا عباد الله ، لازموا العلماء وجالسوهم ، واستفيدوا من علمهم وأخلاقهم ، وآدابهم ، وإياكم والوقيعة فيهم ، قال ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ[٢]

(١) كل الأقوال تراجع من كتاب جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر بتحقيق أبي الأشبال.
(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم للمقدم ص (٣٢٣).

واعلم- يا أخي وفقنا وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقه حق تقاته- أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براءٌ أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم والاختلاف على من اختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم.



الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين حمدًا يليق بجلاله وعظيم سلطانه ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

من فضائل العلماء : أن الله -تبارك وتعالى- ينقذ الضالين والمنحرفين بسببهم ، فقد قال يوسف بن أسباط -رحمه الله -: كان أبي قدريًا وأخوالي روافض فأنقذني الله بسفيان- أي الثوري- رحمه الله [(١)] .

وهكذا أيها الإخوة في الله: كم من شخص كان بعيدًا عن الله ، واقعًا في المحرمات فهداه الله إلى الصراط المستقيم بسبب أهل العلم فجزاهم الله عنا وعن الإسلام خيرًا.

ولقد كان السلف الصالح يعظمون مشايخهم تعظيمًا ، ويوقروهم توقيرًا ويعرفون ما لهم من المكانة والفضل ، فهذا عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لما قام زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ له بركابه فقال : تنح يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال : إنا هكذا نفعل بعلمائنا وكبرائنا [(٢)].

وقال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: جلست إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى وأصحابه يعظمونه كأنه أمير[(٣)].

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة برقم (٣٢) .
(٢) سير أعلام النبلاء ج٢(٤٣٧).
(٣) سير أعلام النبلاء ج٤(٢٦٣) .

وكان حماد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا حدث عن شعبة قال :

حدثنا الضخم عن الضخام شعبة الخير أبو بسطام[١]

وهذا أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كتب إلى عبد الملك بن مروان حينما آذاه الحجاج : إني خدمت رسول الله ﷺ تسع سنين ، والله لو أن النصارى أدركوا رجلاً خدم نبيهم لأكرموه[٢] .

وقال سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قلت يا أبا عبد الله ، ما علامة هلاك الناس؟ قال إذا هلك علماؤهم. [٣]

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هل تدرون ما ذهاب العلم؟ قالوا لا : قال ذهاب العلماء[٤] .

بل خراب الأرض بموت العلماء ، كما قال رب العالمين في كتابه المجيد: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾ (الرعد : ٤١) ، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا خرابها بموت العلماء.

إخوة الإيمان والإسلام : لقد تضافرت النصوص ، وكثرت في فضائل العلماء واحترامهم وتعزيرهم وتوقيرهم وإجلالهم ومعرفة حقوقهم ، وأن طاعتهم في المعروف واجبة ، وأن محبتهم دين وقربة قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (النساء : ٥٩).

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٧(٢١٩) .
(٢) سير أعلام النبلاء ج٣(٤٠٢) .
(٣) الدارمي ج١(٧٨) بسند صحيح.
(٤) الدارمي ج١(٧٨) بسند صحيح.

أولي الأمر منكم: قال جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أولي الفقه والخير.[١]

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾: الفقهاء والعلماء[٢].

والعلماء هم ورثة الأنبياء ، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات، ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[٣].

وأهل السماوات والأرض يدعون لمعلمي الناس الخير ، ففي سُنن الترمذي[٤]، عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال رسول الله ﷺ : «**فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم**» ثم قال رسول الله ﷺ : «**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**».

وعن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قال : قال رسول الله ﷺ : «**الخلق كلهم يصلون على معلم الناس الخير حتى نينان البحر**»[٥].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة والآثار الصحيحة للداني ج١ (٣٣- ٣٤).

(٢) تفسير ابن جرير ج٧ (١٨٠) بتحقيق الدكتور عبد الله التركي .

(٣) أبو داود برقم (٣٦٤١) والترمذي برقم (٢٦٨٢) .

(٤) الترمذي برقم (٢٦٨٥) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٥) رواه ابن عدي ج٢ (١٩٣) والديلمي برقم (٢٩٩٦) تاريخ جرجان ج١ (٦٣) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم (١٨٥٢).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**صاحب العلم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر**»[(١)] .

فيا أيها المؤمنون العلماء هم صفوة البشر ، وأولياء الله عَزَّوَجَلَّ ،وأهل الخشية والخوف ، وأهل البصيرة النافذة.

العلماء عصمة للأمة من الضلال ، وهم سفينة نوح من تخلف عنهم لا سيما في زمن الفتن كان من المغرقين.

العلماء هم حراس الدين وحماته من الابتداع والتحريف ، وكيف تستغني - يا طالب العلم-عن العلماء والفقهاء وهم يضبطون عقلك، والمحدثون ينخلون أحاديثك ، وجهابذة التفسير يفقهونك في قرآنك، والمؤرخون يعلمونك صعود الأمم وهبوطها على مدار القرون، والأصوليون يدربونك على استنباط الأحكام ، وأرباب اللغة يقومون لسانك الأعوج ، والربانيون يوصلون قلبك إلى الملاء الأعلى[(٢)] .

ورحمة الله على الإمام الشافعي إذ يقول : من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تعلم الحديث قويت حجته ، ومن تكلم في الفقه نما قدره ، ومن نظر في اللغة رق طبعه ، ومن نظر في الحساب جزل رأيه ، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه. أهـ

فنسأل الله العلي القدير أن يحفظ علينا ديننا وعلماءنا ، وأن يتوفانا مسلمين .

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح الجامع برقم (٣٧٥٣).
(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم للمقدم ص(١٦٩) وما بعدها.

(٢٦) فضل بر الوالدين وخطر عقوقهما

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: يقول الله عَزَّوَجَلَّ في كتابه الكريم: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴿٢٤﴾ ﴾ (الإسراء : ٢٣- ٢٤).

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ ﴾ أي: أمر وأوصى عباده بعبادته وحده لا شريك له.

﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ أي: وأمر بالإحسان للوالدين ، والله عَزَّوَجَلَّ قرن بعبادته بر الوالدين فقال عز شأنه: ﴿ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ ، كما قرن شكرهما بشكره ،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان : ١٤).

وقوله : ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ ، أي : لا تسمعهما قولًا سيئًا ، ولا حتى التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ.

وقوله: ﴿ وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ : أي: لا تزجرهما.

وقوله ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ أي : قولًا لينًا طيبًا حسنًا مرضيا.

وقوله : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ .

أيها المؤمنون : لقد وردت أدلة ونصوص عظيمة وكثيرة في فضل بر الوالدين ، وفي خطورة عقوقهما وهذه بعض الأدلة في ذلك:

عباد الله : بر الوالدين من أعظم الطاعات ، ومن أجل القربات عند الله عَزَّوَجَلَّ فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : سألت رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل؟، قال: «**الصلاة على وقتها**»، قلت: ثم أي؟، قال: «**ثم بر الوالدين**»، قلت: ثم أي؟، قال: «**الجهاد في سبيل الله**» .[(١)]

فانظر – يا أخي المسلم– كيف قدَّم النبي ﷺ بر الوالدين في هذا الحديث على الجهاد في سبيل الله ، وبين هذا الحديث أن بر الوالدين أحب

(١) البخاري برقم (٥٢٧) ومسلم برقم (٨٥) .

الأعمال إلى الله تعالى بعد الصلاة.

وفي الصحيحين[١] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فاستأذنه في الجهاد، فقال: «أحي والداك؟»، قال: نعم، قال: «ففيهما فجاهد».

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦).

وقال تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (الأنعام: ١٥١).

وقرن شكر الوالدين بشكره فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ لقمان: ١٤).

قال ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: من شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.[٢]

ولقد أوصى الله بالإحسان إلى الوالدين في كثير من مواضع القرآن:

فقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ (لقمان: ١٤).

---

(١) البخاري برقم (٣٠٠٤) ومسلم برقم (٢٥٤٩).
(٢) الكبائر للذهبي ص(٥٧).

وقوله تعالى: ﴿ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ ﴾ قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : جهدًا على جهد.

وقال عطاء الخرساني رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ضعفًا على ضعف.

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : مشقة وهن الولد [١]

وقوله تعالى: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ ﴾ أي: تربيته وإرضاعه بعد وضعه في عامين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ (البقرة : ٢٣٣).

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهًا ﴾ قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ [٢]: أي قاست في حمله مشقة وتعبًا من وحام وغثيان وثقل وكرب ، إلى غير ذلك مما تنال الحوامل من التعب والمشقة ﴿ وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ ﴾ ، أي بمشقة أيضًا من الطلق وشدته.

وفي مُسند الإمام أحمد [٣] عن المقدام بن معدي كرب الكندي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ : «**إن الله عَزَّوَجَلَّ يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بأمهاتكم، إن الله يوصيكم بآبائكم، إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب**» .

إن للوالدين حقًا علينا ... بعد حق الإله في الاحترام

أوجدانا وربيانا صغارا ... فاستحقا نهاية الإكرام

والبر لا يقوم به إلا أهل الصلاح والتقوى من الأنبياء والصالحين، فلقد مدح الله الأنبياء وأثنى عليهم ، وأخبر عنهم أنهم كانوا بارين بالوالدين ،

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٤٢٩) .
(٢) تفسير ابن كثير ج٤(١٥٩) .
(٣) أحمد برقم (١٧١٨٧) حسنه شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

فقال تعالى عن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ (مريم : ١٢-١٤).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ﴾(مريم: ٣٠ -٣٣).

وقال تعالى إخبارًا عن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات : ١- ٢).

وقال تعالى عن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴾(نوح : ٢٨).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴾ (إبراهيم : ٤١).

ولقد أخذ الله العهد والميثاق على بني إسرائيل أن يحسنوا للوالدين ، فقال جلت عظمته في كتابه الكريم: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (البقرة : ٨٢).

أيها المؤمنون : إن بر الوالدين من الأسباب العظيمة في دخول الجنة ،

ففي مُسند الإمام أحمد [(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قالت: قال رسول الله ﷺ: « **نمت فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا حارثة بن النعمان** ، فقال رسول الله ﷺ : «**كذاك البر، كذاك البر**» وكان أبر الناس بأمه.

وبر الوالدين سبب في تفريج الكروب ، وذهاب الهموم والأحزان وتهوين المصائب والشدائد ففي الصحيحين [(٢)] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ قال: « **بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فأطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: انظروا أعمالا عملتموها لله صالحة، فادعوا الله بها لعله يفرجها. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لي والدان شيخان كبيران، ولي صبية صغار، كنت أرعى عليهم، فإذا رحت عليهم فحلبت بدأت بوالدي أسقيهما قبل ولدي، وإنه ناء بي الشجر، فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما، فحلبت كما كنت أحلب، فجئت بالحلاب فقمت عند رؤوسهما، أكره أن أوقظهما من نومهما، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما، والصبية يتضاغون عند قدمي، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء. ففرج الله لهم فرجة حتى يرون منها السماء**» .

وفي جامع الترمذي [(٣)] عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**رضى الرب في رضى الوالد، وسخط الرب في سخط الوالد**» .

أيها المؤمنون : ما خص الله الوالدين بهذه المنزلة الرفيعة والعناية

---

(١) أحمد برقم (٢٥١٨٢) صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) البخاري برقم (٥٩٧٤) ومسلم برقم (٢٧٤٣) .
(٣) الترمذي برقم (١٨٩٩) وقال العلامة الألباني صحيح.

الرفيعة إلا لما قدماه لنا ، وبذلاه لراحتنا فها هي الأم حنونة رحيمة ، وها هو الأب شفيق عطوف ، ولربما بلغت بهما شدة الشفقة والرحمة إلى أن يصابا ببعض الأمراض : كالعمى والهلاك من البكاء على فقد أولادهما، كما حصل لنبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ (يوسف : ٨٤- ٨٦).

ولما جاءته البشرى بقدومه وألقوا قميص يوسف على وجهه ارتد بصيرًا ، فلا إله إلا الله ما أعظم حنانه!! قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف : ٩٦).

وهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ انظر إلى رحمته وشفقته على ابنه عندما ركب في السفينة ، دعا ولده أن يؤمن ويركب معهم ولا يكون مع الكافرين ، فيغرق كما يغرقون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (هود : ٤٢-٤٣).

فلما عصى الابن والده نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ وأبى أن يركب في سفينة النجاة فهلك مع الهالكين،فلم يزل نوحًا مشفقًا عليه، فنادى ربه قائلًا : ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ

إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (هود : ٤٥ -٤٦).

وهذه أم موسى حين ذهب ولدها في البحر ، وأصبح فؤادها فارغًا من كل شيء من أمور الدنيا إلا من موسى ، حتى إنها من شدة وجدها وأسفها وحزنها كادت أن تظهر أنه ذهب ولدها وتخبر بحالها لولا أن الله ثبتها وصبرها قال تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (القصص : ١٠).

فيأيها المؤمنون : لن تستطيعوا أن تجازوا الوالدين على إحسانهما مهما بذلتم ، فحقهما أعظم وبذلها أجزل ، ولذلك جاء عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يجزي ولد والدًا، إلا أن يجده مملوكًا فيشتريه فيعتقه**»، وفي رواية ابن أبي شيبة: «**ولد والده**» .[1]

وها هو ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يرى رجلًا يمانيًا يطوف بالبيت حمل أمه وراء ظهره و يقول:

إني لها بعيرها المذلل إن أُذ عرت ركابها لم أذعر

ثم قال : يا ابن عمر أتراني جزيتها قال: لا ، ولا بزفرة واحدة ، ثم طاف ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فأتى المقام فصلى ركعتين ، ثم قال: يا ابن أبي موسى إن كل ركعتين تكفران ما أمامهما .[2]

هذا وإنه مما لا شك فيه أن حق الأم أعظم من حق الأب بكثير ، ففي الصحيحين [3] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**» قال:

---

(١) مسلم برقم (١٥١٠).

(٢) البخاري في الأدب المفرد برقم (١١) وصححه العلامة الألباني.

(٣) البخاري برقم (٥٩٧١) ومسلم برقم (٢٥٤٨).

ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك».

وعند النسائي في الكبرى [(١)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سألت النبي ﷺ أي الناس أعظم حقًا على المرأة؟، قال: «**زوجها**» قلت: فأي الناس أعظم حقًا على الرجل؟، قال: «أمه» .

وعن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن امرأة قالت يا رسول الله : إن ابني هذا كان بطني له وعاءً، وثديي له سقاءً، وحجري له حواءً، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني ، فقال رسول الله ﷺ : «**أنتِ أحق به ما لم تنكحي**» [(٢)] .

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أني لا أعلم عملًا أقرب إلى الله عَزَّ وَجَلَّ من بر الوالدة [(٣)] .

معاشر المؤمنين : لهذا كان عقوق الوالدين من أكبر الذنوب وأعظم الكبائر ، ففي البخاري ومسلم[(٤)] عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ومنعًا وهات، ووأد البنات، وكره لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال** » .

و في البخاري ومسلم[(٥)] عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر**» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: « **الإشراك بالله،**

---

(١) السُنن الكبرى للنسائي ج٥(٣٦٣) وهو حديث صحيح .
(٢) أبو داود برقم (٢٢٧٦) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح أبي داود.
(٣) البخاري في الأدب المفرد برقم(٤)وصححه المحدث الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم(٢٧٩٩).
(٤) البخاري برقم (٥٩٧٥) ومسلم برقم (٣٩٥) .
(٥) البخاري برقم (٥٩٧٦) ومسلم برقم (٧٨) .

وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور « فما زال يقولها، حتى قلت: لا يسكت».

وفي البخاري[١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر رسول ﷺ الكبائر، أو سئل عن الكبائر فقال: « الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، ....» الحديث.

عباد الله : عقوق الوالدين من علامات الشقاوة والجبروت، قال تعالى عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾(مريم: ٣٢).

وعقوق الوالدين من علامات العصيان قال تعالى عن يحيى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴾ (مريم : ١٤)

والعقوق مأخوذ من العق وهو القطع ، وقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء : ٢٤).

وفي صحيح مسلم[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ ، قال: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»، قيل: من؟ يا رسول الله قال: «**من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة**» .

قال الحسن بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا** ﴾ : لو علم الله شيئًا من العقوق أدنى من أف لحرمه.

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تقذرهما كما كانا لا يقذرانك.

(١) البخاري برقم (٥٩٧٧) .
(٢) مسلم برقم (٢٥٥١) .

ولقد كان السلف الصالح في غاية من البر والأدب مع الوالدين ، فهذا رفاعة بن إياس -رحمه الله تعالى- قال: رأيت الحارس العكلي في جنازة أمه يبكي فقيل له: تبكي؟، فقال: ولم لا أبكي وقد أغلق عني باب من أبواب الجنة.

وكان محمد بن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا كان عند مه لو رآه رجل ظن أنه به مرضًا من خفض كلامه عندها.

وعن ابن عون المزني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أمه نادته فأجابها فعلا صوته فأعتق رقبتين.

وهذا بندار المحدث رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قال عنه الذهبي : جمع بين حديث البصرة ولم يرحل برًا بأمه.

وكان يقول : أردت الخروج لطلب العلم فمنعتني أمي فأطعتها فبورك لي فيه.

وكان طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من العباد والعلماءوكان يُقبِّل رأس أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالًا لها.

وقال طاوس بن كيسان رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن من السُّنَّة أن يوقر أربعة : العالم وذو الشيبة والسلطان والوالد.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بر الوالدين كفارة الكبائر[١].

أيها المسلمون: من مظاهر العقوق إبكاؤهما، وإحزانهما ونهرهما ، وزجرهما ، والتأفف والتضجر من أوامرهما ، والنظر إليهما شزرًا ، والعبوس في وجهيهما ، وترك مساعدتهما وقلة الاعتداد برأيهما ، ذمهما

(١) رسائل في التربية للحمد ص(٥٣ -٥٧).

والقدح فيهما شتمهما ولعنهما.

ومن العقوق : البخل والتقتير عليهما ، وهجرهما وترك نصحهما ، وتقديم طاعة الزوجة والأولاد على طاعتهما ، بل لو طلبت من أن يطرد والديه لطردهما ، و أن غاية البشاعة ونهاية القبح والشنار أن يودعهما دور العجزة والملاحظة ، وقد يتمنى زوالهما ليتخلص منهما إن كانا مريضين أو فقيرين ، ذلك هو الضلال البعيد ، تبًا لهؤلاء وسحقًا [١].

والحمد لله رب العالمين .



(١)نفحات من منبر رسول الله ﷺ للشيخ عبد الباري الثبيتي المجموعة الثانية ص(١٥٢ -١٥٣).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، والشكر له وهو أهل الجود والامتنان، أوجب معاملة الوالدين بوجوه الإحسان ، وحتم طاعتهما في غير معصية الرحمن ، ووعد الممتثلين بفسيح الجنان ، وتوعد العاصين بحر النيران ، ثم الصلاة والسلام على النبي المصطفى المختار ، وعلى آله وأصحابه البررة الأطهار ، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون: فإن من أعظم بر الوالدين دعوتهما إلى السُّنَّة، ودعوتهما إلى التوحيد الخالص ، فهذا إمام الموحدين إبراهيم علسه الصلاة والسلام قال الله تعالى عنه: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ۝٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ۝٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ۝٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ۝٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ۝٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ۝٤٨ ﴾ (مريم : ٤١ – ٤٨).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة، فدعوتها يوما فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي،

فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم اهد أُمّ أبي هريرة**» فخرجت مستبشرًا بدعوة نبي الله ﷺ ، فلما جئت فصرت إلى الباب، فإذا هو مجاف، فسمعت أمي خشف قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء، قال: فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالت: يا أبا هريرة أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قال فرجعت إلى رسول الله ﷺ ، فأتيته وأنا أبكي من الفرح، قال: قلت: يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرًا، قال قلت: يا رسول الله ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين، ويحببهم إلينا، قال: فقال رسول الله ﷺ : «**اللهم حبب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى عبادك المؤمنين، وحبب إليهم المؤمنين**» فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني[1]

ومن بر الوالدين الدعاء لهما في حياتهما وبعد مماتهما ، قال تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ (الإسراء :٢٤).

وفي صحيح مسلم [2] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أن رسول الله ﷺ ، قال: « **إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** » .

والله من فضله وكرمه جَلَّ جَلَالُهُ يرفع الوالدين في درجات الجنة بسبب دعاء الولد لهما ، ففي مُسند أحمد [3]عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ، قال: قال

(١) صحيح مسلم برقم (٢٤٩١).
(٢) مسلم برقم (١٦٣١).
(٣) أحمد برقم (١٠٦١٠) حسن الإسناد.

رسول الله ﷺ : « **إن الله عَزَّوَجَلَّ ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة، فيقول: يا رب، أنى لي هذه؟ فيقول: باستغفار ولدك لك** » .

ومن البر الصيام عنهما إذا ماتا وعليهما صيام: ففي الصحيحين [١]، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، أن امرأة أتت رسول الله ﷺ فقالت: إن أمي ماتت وعليها صوم شهر، فقال: «**أرأيت لو كان عليها دين أكنت تقضينه؟**» قالت: نعم، قال: «**فدين الله أحق بالقضاء**» .

وفي الصحيحين[٢] عن عائشة، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**» .

ومن البر الحج عن الوالدين: جاء في صحيح مسلم[٣] عن بريدة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ ، إذ أتته امرأة، فقالت: إني تصدقت على أمي بجارية، وإنها ماتت، قال: فقال: «**وجب أجرك، وردها عليك الميراث**» قالت: يا رسول الله، إنه كان عليها صوم شهر، أفأصوم عنها؟ قال: «**صومي عنها**» ، قالت: إنها لم تحج قط، أفأحج عنها؟ قال: «**حجي عنها**» .

ومن البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه ، ففي صحيح مسلم [٤] ، عن عبد الله عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه**» .

---

(١) البخاري برقم (١٩٥٣) ومسلم برقم (١١٤٨)
(٢) البخاري برقم (١٩٥٢) ومسلم برقم (١١٤٧)
(٣) مسلم برقم (١١٤٩)
(٤) مسلم برقم (٢٥٥٢)

اللهم اغفر لنا ولوالدينا ، ومن له حق علينا ، اللهم اصلح أحوالنا وأحوال المسلمين ، اللهم اختم بالصالحات أعمالنا ، وبالسعادة آجالنا وتوفانا وأنت راضٍ عنا ، اللهم وفق ولاة أمرنا إلى ما فيه خير الإسلام والمسلمين ، واجمع كلمتهم ووحد صفوفهم ، وانصرهم على أعدائهم ، يارب العالمين ، اللهم احفظ لنا ديننا.

والحمد لله رب العالمين .





٢٧ فضل صلة الأرحام وتحريم القطيعة

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلُّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : اتقوا الله وصلوا ما أمر به أن يوصل ، وصلوا أرحامكم بالزيارات والهدايا والنفقات ، وكل ما تعارف الناس عليه من صلة[١].

(١) الضياء اللامع لابن العثيمين ص(٥٠٥) .

موضع خطبتنا في هذا اليوم المبارك عن (**فضل صلة الأرحام وتحريم القطيعة**) ، في العناصر التالية:

١- تعريف صلة الرحم.

٢- حكم صلة الرحم.

٣- فضل صلة الرحم.

٤- عقوبة من يقطع رحمه.

٥- أسباب قطيعة الرحم.

أيها المؤمنون : الصلة ضد القطيعة ، والصلة مرجعها إلى العرف ، فما سماه الناس صلة فهو صلة ، وما سماه الناس قطيعة فهو قطيعة ، والصلة التامة أن تزورهم وتتفقد أحوالهم وحوائجهم ، وتسمع لمشاكلهم ، وتشاركهم آلامهم وتواسهم بالمال إن كنت غنيًا وهم فقراء ، فهذه الصلة التامة.

وأما الرحم فقال الإمام الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ [1]: والرحم يطلق على الأقارب وهم من بينه وبين الآخر نسب سواء كا يرثه أم لا .

وقال بعضهم: الأرحام هم الأقارب وليسوا – كما يفهم الناس– أقارب الزوج أو الزوجة ، فإن أقارب الزوج أو الزوجة هم الأصهار ، فأقارب زوج المرأة أصهار لها وليسوا أنسابًا لها ولا أرحامًا ، وأقارب زوجة المرء أصهار له وليسوا أرحامًا ولا أنسابًا ، إنما الأنساب هم أقارب الإنسان نفسه كأمه وأبيه وابنه وابنته ، وكل من كان بينه وبينه صلة من قبل أبيه أو

---

(١) الفتح ج١٢(٢٠) .

من قبل أمه أو من قبل ابنه أو من قبل بنته[١].

أما ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال في تعريف صلة الرحم: وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار والعطف عليهم، والرفق بهم والرعاية لأحوالهم ، وكذلك إن بعدوا وأساءوا ، وقطع الرحم ضد ذلك كله[٢].

ولا خلاف بين العلماء أن صلة الرحم واجبة ، وأن القطيعة من الكبائر، ففي المُسند [٣] عن أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: أمرني خليلي ﷺ بسبع: « **أمرني بحب المساكين، والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدًا شيئًا، وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مرًا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش** » .

ويبدأ الواصل بالأقرب فالأقرب ، فعند الإمام النسائي [٤] عن طارق المحاربي قال قدمنا المدينة فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: « **يد المعطي العُليا ، وابدأ بمن تعول ، أمك وأباك وأختك وأخاك، ثم أدناك فأدناك** » .

فضل صلة الرحم:

أيها المؤمنون : لقد حث الله ورغب في صلة الرحم فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الروم : ٣٨) .

(١) الضياء اللامع لابن العثيمين ص(٥٠٥) .
(٢) لسان العرب ج١١(٧٢٨) .
(٣) أحمد برقم (٢١٤١٥) وحسنه الشيخ شعيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٤) النسائي ج٥(٦١) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح ج٥(٢٠٣) .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ (الأنفال: ٧٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ (النساء : ٣٦) .

وقال تعال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١) .

وفي سُنن أبي داود والترمذي [١] عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **قال الله: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها اسمًا من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته** » .

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟، قالت: بلى، قال: فذاك لك** » ، **ثم قال رسول الله ﷺ : اقرءوا إن شئتم:** ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ

(١) أبو داود برقم (١٦٩٤) والترمذي برقم (١٩٠٧) وصححه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٥٢٠) .

أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ (محمد : ٢٢-٢٤)[١].

فهنيئًا لك يا واصلًا رحمك بصلة الله لك.

صلة الرحم سبب في دخول الجنة: فعن أبي أيوب الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، فقال القوم: ما له ما له؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**أرب ما له**» فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم** »[٢].

ومعنى أرب ماله: أي حاجة له.

صلة الرحم من الأسباب التي ينزل الله بها البركة في المال وفي العيال والأعمار وصالح الأعمال :

فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره، فليصل رحمه**» .[٣]

ومعنى ينسأ له في أثره: يؤخر له في عمره.

صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله بعد الإيمان به: فعن رجل من خثعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أحب الأعمال إلى الله إيمان بالله ثم صلة الرحم ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله ثم قطيعة الرحم» [٤].

---

(١) البخاري برقم (٥٩٨٧) ومسلم برقم (٢٥٥٤).
(٢) البخاري برقم (٥٩٨٣) ومسلم برقم (١٣).
(٣) البخاري برقم (٥٩٨٦) ومسلم برقم (٢٥٥٧) وجاء في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٥٩٨٥).
(٤) أخرجه أبو يعلى برقم (٦٨٣٣) وحسنه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (١٦٦).

صلة الرحم تجلب محبة الله للعبد: فعن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: « **قال الله تعالى: حقت محبتي للمتواصلين في** » .[1]

ومعنى حقت: أي وجبت.

صلة الرحم شعار الإيمان بالله واليوم الآخر: ففي البخاري[2] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**».

صلة الرحم طاعة لله رب العالمين، كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾(الرعد: ٢١).

صلة الرحم أعجل الطاعة ثوابًا: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أعجل الطاعة ثوابًا صلة الرحم، وإن أهل البيت ليكونون فجارًا، فتنموا أموالهم، ويكثر عددهم، إذا وصلوا أرحامهم، وإن أعجل المعصية عقوبة البغي والخيانة، واليمين الغموس تذهب المال، وتقل في الرحم، وتذر الديار بلاقع**»[3].

صلة الرحم سبب لوجود المحبة والترابط بين الأقارب: عن عمرو بن سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**صلة القرابة مثراة في المال، محبة في الأهل، منسأة في الأجل**»[4].

---

(١) أحمد برقم (٢٢٠٨٠) وسنده صحيح. وصححه العلامة الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب.
(٢) البخاري برقم (٦١٣٨).
(٣) الطبراني في الأوسط برقم (١٠٩٢) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٩٧٨).
(٤) الطبراني في الأوسط برقم (٧٨١٠) وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٧٦).

الصدقة على ذي الرحم صدقة وصلة : فعن سلمان بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إن الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان صدقة وصلة»(١).

وعن زينب امرأة عبد الله قالت : سألت رسول الله ﷺ أيجزئ مني الصدقة والنفقة على زوجي وأيتام لي في حجري؟ فقال رسول الله ﷺ «**نعم، لها أجران، أجر القرابة وأجر الصدقة**»(٢).

وعن ميمونة بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرته، أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي ﷺ ، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي، قال: «**أوفعلت؟**»، قالت: نعم، قال: «**أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك**»(٣).

صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار ففي مُسند الإمام أحمد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النبي ﷺ قال لها: «إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار»(٤).

إخوة الإيمان : والإسلام ، لقد خاف نبينا ﷺ على هذه الأمة من ظهور القطيعة بينهم ، ففي الطبراني(٥) عن عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « **أخاف عليكم ستًا: إمارة السفهاء، وسفك الدماء، وبيع الحكم، وقطيعة الرحم، ونشوناً يتخذون القرآن مزامير، وكثرة الشرط** ».

(١) الترمذي برقم (٦٥٨) والنسائي برقم (٢٥٨١) وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) البخاري برقم (١٤٦٦) ومسلم برقم (١٠٠٠) .
(٣) البخاري برقم (٢٥٩٢) ومسلم برقم (٩٩٩) .
(٤) أحمد برقم (٢٥٢٥٩) وسنده صحيح.
(٥) الطبراني في الكبير ج١٨(٣٦) والصحيحة برقم (٩٧٩) .

ولقد بين النبي ﷺ أن قطيعة الرحم سوف تنتشر بين يدي الساعة ، ففي مُسند الإمام أحمد وغيره»[١] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والتفاحش، وقطيعة الرحم، وسوء المجاورة....** » .

حقًا- أيها الإخوة في الله- لقد انتشر القطيعة بين المسلمين إلا من رحم الله ، وألقي التناكر بين الأحبة ، وأصبح المسلم عدوا لجاره وقريبه إلا من رحم الله ، ففي مسند الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : سُئل رسول الله عن الساعة فقال : « **علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنةً وهرجًا** » ، قالوا: يا رسول الله، الفتنة قد عرفناها فالهرج ما هو؟ قال بلسان الحبشة: «**القتل، ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد أن يعرف أحدًا**»[٢] .

فيا أيها المسلمون ، اتقوا الله وصلوا أرحامكم ولو بالسلام ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : «**بلوا أرحامكم ولو بالسلام**»[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «**اتقوا الله وصِلوا أرحامكم**» [٤] .

عليك بر الوالدين كليهما وبر ذوي القربى وبر الأباعد
ولا تصحبن إلا تقيًا مهذبًا عفيفًا ذكيًا منجزًا للمواعد[٥]

---

(١) أحمد برقم (٦٥١٤) صحيح لغيره.
(٢) أحمد برقم (٢٣٣٠٦) صحيح لغيره.
(٣) أخرجه وكيع في الزهد برقم (٤٠٩) بتحقيق الفريوائي.
(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٥٦(٢١٧) والصحيحة للألباني برقم (٨٦٩).
(٥) جواهر الأدب لأحمد الهاشمي ص(٦٦١).

وقال آخر :

وللخير أهل يعرفون بهديهم إذا اجتمعت عند الخطوب المجامع
وللشر أهل يعرفون بشكلهم تشير إليهم بالفجور الأصابع

إن صنائع المعروف تقي مصارع السوء والهلكة:

ولم أر كالمعروف أما مذاقه فحلو وأما وجهه فجميل

ولقد أمر النبي ﷺ بحفظ الأنساب من أجل الأرحام كما ثبت في مستدرك الحاكم ومُسند الطيالسي[1] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم، فإنه لا قرب بالرحم إذا قطعت وإن كانت قريبة، ولا بعد بها إذا وصلت وإن كانت بعيدة**» .

وإن الإنسان ليُصاب بالهم والغم ، ويشتد عليه الخطب والكرب ، إذا كان الظلم صادرًا من القريب.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

وقال آخر :

لحومهم لحمي وهم يأكلونه وما داهيات المرء إلا أقاربه

والحمد لله رب العالمين.

(١) المستدرك ج١(٨٩) والطيالسي برقم (٢٨٨٠) الصحيحة برقم (٢٧٧) .

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد خاتم النبيين وإمام المرسلين ، وعلى آله وصحبه البررة الميامين ، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا عباد الله ، لقد بعث الله الرسل دعاة إلى عبادته ، ثم إلى الرحم ، ففي خلق أفعال العباد للإمام البخاري [(١)] أن مالك بن نضلة أتي النبي ﷺ فصعد النبي ﷺ فيه النظر وصوبه. قلت: إلام تدعو؟ وعم تنهى؟ قال: «**لا شيء إلا الله والرحم**» ، قال: « **أتتني رسالة من ربي فضقت بها ذرعًا ورأيت أن الناس سيكذبونني، فقيل لي: لتفعلن أو ليفعلن بك** » .

وهذه خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت لرسول الله ﷺ حينما قال لها رسول الله ﷺ «**لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : **كلا والله ما يخزيك الله أبدًا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتَكسب المعدوم ، وتَقرى الضيف، وتُعين على نوائب الخلق ...**» الحديث[(٢)] .

وفي قصة أبي سفيان بن حرب لما سافر إلى الشام، وسأله هرقل عن صفة رسول الله ﷺ فقال بعد سؤال طويل : ماذا يأمركم؟ قلت : يقول«اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة

---

(١)خلق أفعال العباد ص(٩٩) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح ج ٥ ، (٢٠١).

(٢) البخاري برقم (٣) ومسلم برقم (١٦٠).

والصدق والعفاف والصلة....»[١]

ويقول عمرو بن عبسة : لما قدمت مكة قلت له: ما أنت؟ قال: أنا نبي، فقلت : وما نبي ؟ ، قال أرسلني الله : فقلت وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان ، وأن يوحد الله ولا يشرك به شيء**» الحديث[٢]. ثم إنه أسلم عمرو بن عبسة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أما عقوبة من يقطع رحمه :

اعلم أخي المؤمن أن قطيعة الرحم من الذنوب العظيمة والخطايا الجسيمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾** ﴾ (محمد : ٢٢-٢٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾ (البقرة : ٢٧)

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۙ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ (الرعد : ٢٥).

فقاطع الرحم ملعون في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ كما في هذه الآيات العظيمات.

قال بعض السلف لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم ، فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في مواضع منها: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾** ﴾ (محمد : ٢٢-٢٣).

(١) البخاري برقم (٧) .
(٢) مسلم برقم (٨٣٢)

واللعن هو الطرد من رحمة الله جَلَّوَعَلَا.

وقاطع الرحم يحرم من دخول الجنة: ففي الصحيحين [١] عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قاطع رحم**».

وقاطع الرحم يعجل الله له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة: فعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله العقوبة لصاحبه مع ما يؤخر له في الآخرة: من البغي وقطيعة رحم»[٢].

وقال نبينا ﷺ: «**من قطع رحمًا أو حلف على يمين فاجرة، رأى وباله قبل أن يموت**»[٣].

وفي المُسند[٤] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**» **قالوا: إذا نكثر، قال: «الله أكثر»**.

عباد الله وهناك أسباب لقطيعة الرحم فمنها:

أولًا: الجهل بحقوق الأقارب، والجهل بعواقب القطيعة العاجلة والآجلة.

ثانيا: ضعف التقوى والإيمان، فلما ضعف الإيمان في قلوب الناس صاروا لا يبالون بقطيعة الرحم، نسأل الله العافية.

---

(١) البخاري برقم (٥٩٨٤) ومسلم برقم (٢٥٥٦)
(٢) أحمد برقم (٢٠٣٧٤) وغيره وصححه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح ج٥(١٩٩)
(٣) السلسلة الصحيحة برقم (١١٢١)
(٤) أحمد برقم (١١١٣٣) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح ج ٥ (١٩٨).

ثالثًا: الكِبْر ، فبعض الناس إذا رزقه الله مالًا أو جاهًا تكبر على أقاربه وبني عمه ، وأنف من زيارتهم وصرف المال إلى غيرهم.

رابعًا: الحسد ، فبعض الناس إذا رزقه الله مالًا أو علمًا ، فأحسن إلى أقاربه شكك بعضهم في علمه وإخلاصه ، وأثاروا البلبلة من حوله حتى توغر منه الصدور.

خامسًا: الشُّح وهو شدة البخل ، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: خطب رسول الله ﷺ ، فقال: «**إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**»[1] .

سادسًا: الإساءة من بعض الأقارب ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلًا قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال: «**لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك**»[2] .

و المل : هو الرماد الحار.

وفي هذا تنبيه إلى ما يلحقهم من الألم.

فالبعض من الناس لا يصل أقاربه إلا إذا وصلوه ، وأما إذا قطعوه وأساءوا إليه بشيء من الكلام في حقه قاطعهم وتركهم تمامًا ، وهذا خطأ عظيم فقد روى الإمام البخاري في صحيحه[3] عن عبد الله ابن عمرو

(١) أبو داود برقم (١٦٩٨) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع الصحيح ج٥ (١٩٩) .

(٢) مسلم برقم (٢٥٥٨) .

(٣) البخاري برقم (٥٩٩١) .



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ : «**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**» .

سابعًا: الاشتغال بالدنيا ، فكم أناس شغلوا بالدنيا فلم يجدوا وقتًا لزيارة أقاربهم وتفقد أرحامهم.

وهذا ليس بعذر لهم عند الله يوم القيامة .

نسأل الله العلي القدير بمنه وكرمه أن يصلح الأحوال ، وأن يسددنا في الأعمال والأقوال ، وأن يرحم الآباء والأمهات والأرحام.

وصلى الله على النبي المختار ، وعلى آله وصحبه الأبرار ، وسلم تسليمًا كثيرًا.





٢٨ الرزق و أسبابه

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا معكم في هذه الجمعة المباركة بمشيئة الله تعالى عن الرزق وأسبابه وسيكون الحديث في العناصر الآتية:

١- تعريف الرزق:

٢- معاني الرزق.

٣- بعض الآيات الواردة في الرزق.

٤- الأحاديث الواردة في الرزق.

٥- أسباب الرزق الحلال.

إخوة الإيمان والإسلام : لقد خلق الله الإنسان في هذه الحياة لهدف سام ومقصد عظيم ، ألا وهو عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال عز شأنه في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الذاريات : ٥٦ -٥٨).

وقد كتب الله رزق ابن آدم في اللوح المحفوظ ، لعلمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بحاجته إليه ليتقوى به في هذه الحياة على طاعته.

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل ... الرزق في اللوح مكتوب مع الأجل

فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ... لكنه خلق الإنسان من عجل

ولقد كتب الله الرزق لجميع الخلائق في هذه الحياة الدنيا ، برها وفاجرها ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود : ٦).

وصدق من قال :

وكيف أخاف الفقر والله رازقي ... ورازق هذا الخلق في العُسر واليُسر

تكفل بالأرزاق للخلق كلهم ... وللضب في البيداء والحوت في البحر

وقال الآخر:

لا تكن للعيش مجروح الفؤاد   إنما الرزق على رب العباد

عباد الله: الرزق هو في اللغة: العطاء كما قال تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٠).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة: ٣).

وأما تعريفه في الاصطلاح فهو: كل ما ينتفع به وهو قسمان: عام وخاص:

أما العام: فهو رزق الأجسام بالأطعمة ونحوها.

والخاص: رزق الأرواح بالعلم والإيمان والمعارف وهذا أشرف الرزقين.

والله عَزَّوَجَلَّ هو الرزاق كما قَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾ (الذاريات: ٥٨).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ خَرۡجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيۡرٞۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (المؤمنون: ٧٢).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (سبإ: ٣٩).

وهو الرازق كما ثبت عند الترمذي [١] عن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **إن الله هو المسعر القابض الباسط الرازق** ».

أما معاني الرزق: فيأتي بمعنى العطاء كما سبق ويأتي بمعنى الطعام

(١) الترمذي برقم (١٣١٤).

كما قال تعالى: ﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ﴾ (البقرة : ٢٥).

أي : أطعمنا من قبل.

ويأتي بمعنى الغداء والعشاء ، كقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن أهل الجنة: ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ (مريم : ٦٢).

ويأتي بمعنى المطر: قال تعالى: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (الجاثية : ٥).

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات : ٢٢).

ويأتي بمعنى الحرث والأنعام ، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (يونس : ٥٩).

وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴾ (الحج : ٣٣٤).

ويأتي بمعنى النفقة قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ (البقرة : ٢٣٢).

ويأتي بمعنى الفاكهة كما قال تعالى إخبارًا عن مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ

﴿ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران : ٣٧).

ويأتي الرزق بمعنى الثواب كما قال تعالى: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾ (الطلاق : ١١).

ويأتي بمعنى الجنة كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ (طه : ١٣١).

ويأتي بمعنى الشكر قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ (الواقعة : ٨٢)[١].

معاشر المسلمين : ينبغي لمن كان يعلم أن الكريم الجواد هو رازقه ألا يقلق في قضية الرزق ، فقد كتب الله الآجال والأرزاق كما قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود : ٦).

وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (العنكبوت : ٦٠).

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴾ (الملك : ٢١).

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ (فاطر : ٣).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ (الذاريات : ٥٨).

إلى غير ذلك من الآيات العظيمة في هذا الباب.

---

(١) نزهة الأعين النواظر ص(٣٢٤-٣٢٦).

وأما من سُنَّة نبينا صلوات الله وتسليماته عليه وعلى آله فما أكثر الأحاديث ، ومن ذلك:

ما روى البخاري ومسلم في صحيحيهما [١] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أو سعيد**» .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فرأى تمرة عائرة، فأعطاها سائلًا وقال: «**لو لم تأتها لأتتك**» [٢].

و رَحِمَهُ اللَّهُ **من قال :**

إنـــما الـــرزق الــذي تطلبه يشبه الظل الـذي يمشي معك

أنـــت لا تـــدركــــه مـتـبـعـاً وهــو إن وليت عنه يتبعك

وروى أبو نعيم في الحلية [٣] عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت**».

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية قال: فقال النبي ﷺ : «**قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق**

---

(١) البخاري برقم (٣٢٠٨) ومسلم برقم (٢٦٤٣).
(٢) السُّنَّة لابن أبي عاصم برقم (٢٦٥) وصححه العلامة الألباني كما في تعليقه على السُّنَّة.
(٣) الحلية لأبي نعيم ج٧ (٩٠) والصحيحة برقم (٩٥٢).

مقسومة، لن يعجل شيئًا قبل حله، أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار، أو عذاب في القبر، كان خيرًا وأفضل» [١] .

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تستبطئوا الرزق، فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق هو له، فأجملوا في الطلب، أخذ الحلال وترك الحرام**» رواه الحاكم[٢] .

وأما أسباب الرزق الحلال فهي كثيرة جداً ومنها:

السبب الأول : السعي والكد في الأرض: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة : ١٠).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾ (الملك : ١٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما من مسلم يغرس غرسًا، أو يزرع زرعًا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة**» [٣] .

وهذا السعي - أيها الإخوة - لا ينافي التوكل أبدًا.

كما قال أحد السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ : القلب يتوكل والجوارح تعمل ، وهذا من بذل الأسباب.

قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب:

---

(١) مسلم برقم (٢٦٦٣).
(٢) المستدرك ج٢. الصحيحة للألباني برقم (٢٦٠٧).
(٣) البخاري برقم (٢٣٢٠) ومسلم برقم (١٥٥٣).

تغرب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هـــم واكتـــساب معـــيشة وعـــلم وآداب وصـــحبة ماجـــد

السبب الثاني: التوكل على الله وحده : لما صح عند الترمذي[1] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بِطَانًا**».

والمراد بالتوكل على الله أي: الاعتماد على الله كفاية وحسبًا في جلب المنافع ودفع المضار.

وإذا توكل ابن آدم على ربه وصدق في توكله كفاه الله ما أهمه كما قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا** ﴾ (الطلاق: ٣).

فعلى العباد ألا يطلبوا الرزق إلا من الله، ويبذلوا الأسباب التي يسرها الله وأباحها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢).

هذا و الله نسأله المزيد من الخير والتوفيق.

وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين والمسلمات، من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) الترمذي برقم (٢٣٤٤) وابن ماجه برقم (٤١٦٤) وغيرهما.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على النبي الأمي الذي أرسله الله رحمة للعالمين، ومنارًا للسالكين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا مزيدًا إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أمة الإسلام والقرآن، يقول المولى -عز من قائل- في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه: ١٣٢).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ (الإسراء: ٣٠- ٣١).

إخوة الإيمان والإسلام، ومن أسباب الرزق:

السبب الثالث: وهو التوبة والاستغفار: كما قال تعالى عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ (نوح: ١٠ - ١٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾ (هود: ٣).

وقال تعالى عن لسان هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ

تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ (هود : ٥٢).

السبب الرابع : من أسباب الرزق التفرغ للعبادة : ففي مستدرك الحاكم[1] عن معقل بن يسار رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **يقول ربكم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: **يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يديك رزقاً ، يا ابن آدم لا تباعد مني فأملأ قلبك فقرًا ، وأملأ يديك شغلًا** » .

وقال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ (الذاريات : ٥٦ -٥٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه : ١٣٢).

وقال تعالى عن لسان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم : ٣٧).

السبب الخامس : الاستقامة على دين الله رب العالمين : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (الجن : ١٦).

بل أخبر سبحانه أن أهل الاستقامة تأتيهم الملائكة عند الموت تبشرهم برزقهم في الجنة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ

---

(١) المستدرك ج٤(٣٢٦).

فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ (فصلت : ٣٠ -٣٢).

السبب السادس: إقامة شرع الله في الأرض: كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾ (المائدة: ٦٦).

السبب السابع: تحقيق التقوى والمراد بالتقوى: فعل أوامر الله واجتناب نواهيه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ (الطلاق: ٢- ٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه: ١٣٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (الأعراف: ٩٦).

السبب الثامن: الشكر لله: عَزَّوَجَلَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم: ٧).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (سبأ: ١٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (الأنفال: ٢٦).

ومن شكر الله تعالى التحدث بنعمته ، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى : ١١).

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]:

فإن النعم نوعان:

١- مستمرة.

٢- متجددة.

فالمستمرة شكرها بالعبادات والطاعات .

والمتجددة ، شرع لها سجود الشكر.

السبب التاسع: الدعاء :

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: دخل رجل على أهله، فلما رأى ما بهم من الحاجة، خرج إلى البرية، فلما رأت ذلك امرأته قامت إلى الرحى، فوضعتها، وإلى التنور فسجرته، ثم قالت: اللهم ارزقنا ، فنظرت فإذا الجفنة قد امتلأت.

قال: وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئاً. قال: فرجع الزوج، قال: أصبتم بعدي شيئًا؟ ، قالت امرأته: نعم من ربنا. فقام إلى الرحى. فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «**أما إنه لو لم يرفعها، لم تزل تدور إلى يوم القيامة**» [٢] .

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته، ومن نزلت به فاقة فأنزلها بالله، فيوشك الله**

---

(١) الضوء المنير ج١(٢٠).
(٢) مُسند أحمد برقم (١٠٦٥٨) وهو حسن.

له برزق عاجل أو آجل»[(١)]

وقد وردت أمثلة كثيرة في هذا السبب العظيم ، فهذا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول كما أخبر الله عنه ، بقوله تعالى: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الشعراء : ٨٣- ٨٥).

فأعطاه الله ما سأله وألحقه بالصالحين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (النحل : ١٢٢)

ووهب له من الصالحين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ (الصافات : ١٠٠ -١٠١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (الأنبياء : ٧٢).

وهذا زكريا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ (آل عمران : ٣٨).

فاستجاب الله له فوهب له يحيى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ (الأنبياء : ٩٠).

فلما دعوا الله سبحانه وسارعوا في الخيرات استجاب الله دعاءهم.

وهذا نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ دعا الله بهذا الدعاء قال تعالى عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾(ص: ٣٥).

(١) الترمذي برقم (٢٣٢٦). وحسنه الألباني.

فاستجاب الله دعاءه وأعطاه ما سأل ، لأن الله يستجيب دعاء أوليائه المتقين فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ (ص : ٣٦- ٣٩) .

أي أعط من تشاء ، وامنع عمن تشاء فليس عليك حساب وبجانب ذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (ص : ٤٠) .

ولقد كان نبينا ﷺ يقول : «اللهم اجعل أوسع رزقك علي عند كبر سني وانقطاع عمري»[١] .

السبب العاشر: صلة الأرحام:

ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه**» [٢] .

السبب الحادي عشر : الإحسان إلى الضعفاء:

لحديث سعد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه رأني أن له فضلاً على من دونه، فقال النبي ﷺ : «**هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم**» [٣] وفي رواية «**إنما ينصر الله هذه الأمة بضعيفها، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[٤] .

السبب الثاني عشر: همُّ الآخرة: لما روى ابن ماجه [٥] عن زيد بن ثابت

(١) المستدرك برقم (١٩٨٧) والصحيحة للألباني برقم (١٥٣٩).
(٢) البخاري برقم (٥٩٨٦) ومسلم برقم (٢٥٥٧) وجاء في البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ برقم (٥٩٨٥).
(٣) البخاري برقم (٢٨٩٦) .
(٤) صحيح النسائي برقم (٣١٧٨) .
(٥) ابن ماجه برقم (٤١٠٥) والصحيحة للألباني برقم (٩٥٠) وقد جاء الحيث عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضًا.

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من كانت الدنيا همه، فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته، جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**».

السبب الثالث عشر: طلب العلم الشرعي:

فعن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: كان أخوان على عهد النبي ﷺ فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي ﷺ فقال: «لعلك ترزق به» رواه الترمذي[١].

السبب الرابع عشر: المتابعة بين الحج والعمرة:

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، والذهب، والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»[٢].

السبب الخامس عشر: الإنفاق في سبيل الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ (إبراهيم: ٣١).

وقد وعد الله المنفقين في سبيله بالخلف فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ (سبإ: ٣٩).

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٤٥)، وصححه العلامة الألباني.
(٢) صحيح الترمذي برقم (٨١٠)، وابن ماجه برقم (٢٨٨٧) وصححه العلامة الألباني.

والرزاق سبحانه في عون المتصدق ييسر له الأسباب ، ويسوق له السحاب ، جاء في مسلم ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة اسق حديقة فلان فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله ، فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته ، فقال له : يا عبد الله ما اسمك ، قال: فلان بلاسم الذي سمع في السحابة ، فقال له يا عبد الله لم تسألني عن اسمي فقال: إني سمعت صوتًا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك ، فما تصنع فيها، قال : أما إذ قلت هذا فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق ثلثًا ، وآكل أنا وعيالي ثلثًا ، وأرد فيها ثلثه**» .

فهنيئًا لتلك النفوس السخية ، والأكفة الندية التي يضاعف لها في رزقها ويغفر لها ذنوبها قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (التغابن : ١٧).

وما أجمل ما قال بعض العلماء حينما قال : لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع أمر آخرتك، ولا تنال من الدنيا إلا ما كتب الله لك وقال بعضهم إن اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك ، دليل على انطماس بصيرتك ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (هود : ٦).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.





٢٩ حقيقة الخسارة

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُه وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْللْ فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يقول في كتابه الكريم :﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ (العصر : ١-٣).

فأقسم الله جل جلاله في هذه السورة الكريمة على أن الإنسان لفي خسر ، أي خسارة وهلاك.

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، فهؤلاء الذين استثناهم الله عَزَّوَجَلَّ ، ووصفهم بهذه الصفات: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، أي بقلوبهم.

﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ، أي بجوارحهم.

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ ﴾ ، وهو أداء الطاعات وترك المحرمات.

﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ ، أي عمل المصائب والأقدار فهؤلاء هم أهل الفلاح والفوز كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (الصف : ١٠ – ١١).

وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (فاطر : ٢٩ – ٣٠).

عباد الله : الخاسر هو الذي نقص نفسه حظها من الفلاح والفوز [١].

وأصل الخسر : الغبن ، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾ الزمر : ١٥).

ومنه قول النبي ﷺ : «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة،**

---

(١) تفسير القرطبي ج١(٢٤٨).

والفراغ»[(١)].

ويأتي الخسران بمعنى النقصان كما قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴾ (الرحمن : ٩).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ (المطففين : ٣).

ويأتي الخسران بمعنى العجز كما قال تعالى عن إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾(يوسف : ٤).

وكما قال تعالى إخباراً عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ (المؤمنون : ٣٤).

ويأتي الخسران في كتاب الله العظيم بمعنى الضلال كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾ (العصر : ١-٢).

وقال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ (النساء : ١١٩).

ويأتي الخسران في كتاب الله الكريم بمعنى العقوبة ، كما قال تعالى عن الأبوين آدم وحواء عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٣).

وقال عن نبيه نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (هود : ٤٧) ، أي من المعاقبين[(٢)].

(١) البخاري برقم (٦٤١٢) عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٢) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص(٢٧٨).

ويأتي الخسران بمعنى الهلاك ، كما قال تعالى ، عن نبيه صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ ۖ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴾ (هود: ٦٣) ، أي هلاك وضرر.

أيها المسلمون: احذروا من الخسران الذي هو ذهاب رأس مال الإنسان، ورأس مال الإنسان هو عمره ، فإن العبد يسأل يوم القيامة عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه ، وإذا أصبح العبد من الخاسرين لحقه الضرر ، وأدركه الهلاك لا محالة ، واستمعوا إلى عظم خسارة الكافرين يوم القيامة وهلاكهم في النار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴾(الزمر : ١٥).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ليس من أحد إلَّا وخلق الله له زوجة في الجنة، فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله (١).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ (٢): ولا خسارة أعظم من خسارة من فرق بينه وبين أحبته ، يوم الحسرة والندامة.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾ (الشورى : ٤٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ

(١) تفسير القرطبي ج١٥(٢٤٣).
(٢) تفسير ابن كثير ج٢(٤٠١).

ٱلرَّحْمَةَۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام : ١٢).

وقال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾(هود: ٢١٢- ٢٢).

خسروا ثواب الله ورحمته ورضوانه ، وجنته ، ومغفرته وفضله ، ولقد خاف الأنبياء والصالحون من الوقوع في الخسران فسألوا الله جَلَّ وَعَلَا مغفرته ورحمته قال تعالى عن الأبوين آدم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٢٣).

وقال تعالى: عن نبيه نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (هود : ٤٧).

وقال تعالى ، عن قوم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الذين عبدوا العجل ، ثم ندموا على ذلك وتابوا إلى الله جَلَّ وَعَلَا واعترفوا بذنبهم: ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف : ١٤٩).

معاشر المسلمين : الله الله في نجاة أنفسكم من عذاب الله ، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه[1]: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما أنزلت هذه الآية ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء : ٢١٤) دعا رسول الله ﷺ قريشًا، فاجتمعوا فعم وخص، فقال: «**يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار،**

(١) مسلم برقم (٢٠٤).

يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئًا، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها».

وقال الأصمعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **رحمة الأبرار:**

أثامن بالنفس النفيسة ربها **وليس لها في الخلق كلهم ثمن**

بها تشترى الجنات إن أنا بعتها **بشيء سواها إن ذا لكم غبن**

لئن ذهبت نفسي بدنيا أصبتها **لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن**

فالمؤمن العاقل هو الذي يعتق نفسه وينجيها من النار ولا يرضى لنفسه بالخسران أبدًا ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (التوبة : ١١١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (البقرة : ٢٠٧).

وفي صحيح مسلم [١] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها**» .

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم ، ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .



(١) مسلم برقم (٢٢٣) .

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم القيامة.

أما بعد :

فيأيها المسلمون ، اتقوا الله عَزَّوَجَلَّ وراقبوه في السر والعلانية .

إخوة الإيمان والإسلام : هناك أسباب كثيرة تؤدي إلى الخسارة ذكرها الله في كتابه العزيز ، وذكرها نبينا محمد ﷺ في سُنَّته ، نأتي إن شاء الله على ذكرها بإيجاز دون تفصيل فمنها :

السبب الأول الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ **:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (الزمر : ٦٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ (المائدة : ٥).

السبب الثاني: الكفر بالله عَزَّوَجَلَّ **:** قال الله تعالى: ﴿ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾(الزمر: ٦٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (غافر : ٨٥).

السبب الثالث: التكذيب بالحق والأنبياء والرسل والإيمان بالباطل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (العنكبوت: ٥٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ (غافر: ٧٨).

السبب الرابع من أسباب الخسران: الفساد في الأرض، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والمعاصي في الأرض من أعظم الفساد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧).

السبب الخامس: التكذيب بالرسل كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا ۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ شُعَيْبًا كَانُوا۟ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (الأعراف: ٩٢).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الطلاق: ٨-٩).

السبب السادس: التكذيب بلقاء الله واليوم الآخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (يونس: ٤٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟

يَحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ (الأنعام : ٣١).

السبب السابع : طاعة الشيطان : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (المجادلة : ١٩).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾ النساء : ١١٩ – ١٢٠).

السبب الثامن: قتل الأولاد ودفنهم أحياء ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓا۟ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا۟ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ (الأنعام : ١٤٠).

السبب التاسع: ترك الإسلام : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (آل عمران : ٨٥).

السبب العاشر : طاعة الكافرين وموالاتهم : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (آل عمران : ١٤٩ – ١٥٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة : ٥٣).

السبب الحادي عشر: الأمن من مكر الله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ (الأعراف : ٩٩).

السبب الثاني عشر: الاشتغال بالدنيا والغفلة عن ذكر الله : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(المنافقون : ٩).

السبب الثالث عشر : مجالسة قرناء السوء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ (فصلت : ٢٥).

السبب الرابع عشر: الظلم : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف : ٩).

السبب الخامس عشر : عدم التوفيق من الله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾(الأعراف: ١٧٨).

السبب السادس عشر: ظن السوء بالله : عَزَّوَجَلَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ (فصلت : ١٩- ٢٣).

السبب السابع عشر: الضعف والشك في الدين : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ

وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴾ (الحج : ١١).

السبب الثامن عشر من أسباب الخسران: قتل النفس المحرمة : قال تعالى عن ابن آدم الأول: ﴿ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ (المائدة : ٣٠).

السبب التاسع عشر: قطع الصلاة : قال ﷺ: «**إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة من عمله الصلاة، فإن صلحت فقد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر**»[١].

السبب العشرون: عدم وجود الرحمة في القلب للمسلمين : لما جاء عند ابن عساكر: عن عمرو بن حبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال ﷺ: «**خاب عبد وخسر لم يجعل الله في قلبه رحمة للبشر**»[٢] . ويكون الخسران على حسب المخالفة ، إما جزئيًا وإما كليًا نسأل الله السلامة في الدنيا والآخرة .

السبب الحادي والعشرون: أذية الجار : فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: ومن يا رسول الله؟ قال:«**الذي لا يأمن جاره بوائقه**» متفق عليه.[٣] والبوائق:الغوائل والشرور.

السبب الثاني والعشرون: التكذيب بالقرآن والإعراض عنه : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾(يونس : ٩٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ (البقرة : ١٢١).

---

(١) الترمذي برقم (٤١٣) وشعب الإيمان للبيهقي برقم (٣٠١٦) والصحيحة للألباني برقم (١٣٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) الدولابي في الأسماء والكنى ج١(١٧٣) وابن عساكر في التاريخ ج٧(١١٣) السلسلة الصحيحة برقم (٤٥٦).

(٣) البخاري برقم (٦٠١٦) ومسلم برقم (٤٦)

عباد الله : هذه أسباب عظيمة الواجب علينا أن حذر غاية الحذر من الوقوع فيها أو في بعضها ، ووالله لولا رحمة الله بنا وفضله علينا وستره لنا لكنا من الخاسرين ، وصدق الله القائل في كتابه العظيم :﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ (البقرة : ٦٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (النساء : ٨٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (النور : ٢١).

اللهم زك نفوسنا من الشرك والفجور والرذائل ، اللهم أعذنا من وسواس الشيطان ونزغاته ، اللهم استر عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، اللهم احفظنا من بين أيدينا ، ومن خلفنا ، وعن أيماننا ، عن شمائلنا ، من فوقنا ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا ، هذا وصلوا وسلموا على من أمركم بالصلاة عليه فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب : ٥٦).

اللهم صلِّ وسلم على نبيك وخليلك محمد ، واعرض عليه صلاتنا وسلامنا في هذه الساعة المباركة يارب العالمين ، اللهم ارض عن الصحابة الأطهار من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى اليوم الدين ، وعنا معهم بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.



٣٠ مبشرات النصر والتمكين

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : حديثنا اليوم معكم إن شاء الله عن **(مبشرات النصر والتمكين)** ، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٩ ﴾ (الصف : ٨- ٩).

وقال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ (التوبة : ٣٣).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: أي يحاولون أن يردوا الحق بالباطل، ومثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفئ شعاع الشمس بفيه، وكما أن هذا مستحيل فذلك مستحيل. اهـ.

فهؤلاء الكفار الحاقدون على الدين وأهله يريدون أن يطفئوا نور الإسلام، لأن الإسلام نور قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر : ٢٢).

هؤلاء الكفار يريدون أن يطفئوا نور القرآن، لأن القرآن نور قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَـٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ (النساء : ١٧٤).

هؤلاء الكفار يريدون أن يطفئوا نور الرسالة ونور النبوة لأن رسالة النبي ﷺ نور للأمة والنبي نور قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ (المائدة : ١٥ - ١٦).

قال الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قد جاءكم من الله نور، يعني محمدًا ﷺ

---
(١) تفسير ابن كثير ج٤ (٣٦١).

وقيل الإسلام[١].

وقال سُبحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن رسوله ﷺ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب : ٤٥ -٤٦).

ولكن هيهات هيهات أن ينالوا من نور الله شيئًا!! وقد قال الله تعالى ﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ (التوبة : ٣٢)، وهذا من أعظم مبشرات النصر والتمكين لحملة هذا الدين.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ (النور : ٥٥).

قال الحافظ الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: هذا وعد من الله لرسوله ﷺ بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض، أي: أئمة الناس والولاة عليهم، وبهم تصلح البلاد، وتخضع لهم العباد، وليبدلنهم من بعد خوفهم من الناس أمنًا وحكمًا فيهم، وقد فعل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذلك. وله الحمد والمنة، فإنه لم يمت رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها. وأخذ الجزية من مجوس هجر، ومن بعض أطراف الشام، وهادنه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية -وهو المقوقس - ، وهادنه ملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة، الذي تملك بعد أصحمة، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأكرمه.

(١) معالم التنزيل للبغوي ج٢(٢٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٥٦١).

ومن مبشرات النصر والتمكين ما ثبت عند البخاري ومسلم[1] عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**» وفي رواية عند أبي داود : « **حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال**»[2] .

ومن مبشرات النصر والتمكين ، قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ (الصافات : ١٧١- ١٧٣).

فالله القوي العزيز كتب أنه الغالب لأعدائه ، وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصر للمؤمنين في الدنيا والآخرة ، كما قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وقال عز شأنه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾ (غافر : ٥١- ٥٢).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٩) .

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾(النساء: ١٤١).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾(المائدة: ٥٤ -٥٦).

---

(١) البخاري برقم (٧٣١١) ومسلم برقم (١٩٢١) واللفظ لمسلم.
(٢) أبو داود برقم (٢٤٨٤) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وصححه العلامة الألباني .

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (المجادلة : ٢٠-٢٢).

فكل هذه الآيات تدل على أن النصر والتمكين للمؤمنين ، وقد أخبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في كثير من آي الكتاب أن العاقبة الحميدة للمؤمنين وللمتقين ، فقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (القصص : ٨٣).

وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (هود : ٤٩).

وقال تعالى إخبارًا عن موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لقومه: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ (الأعراف : ١٢٨).

هذه هي عاقبة المتقين: عاقبة النصر والتمكين في الدنيا والآخرة.

أما عاقبة المجرمين فإنها عاقبة الخزي في الدنيا والخسران في الآخرة، يقول الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٠).

وقال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ﴾ (الطلاق : ٨-٩).

وقال جلت عظمته في الكفار: ﴿ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (الزخرف : ٢٥).

وقال تعالى عن قوم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأعراف : ٨٤).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴾ (محمد : ١٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (يونس : ٣٩).

إخوة الإيمان والإسلام : إن المستقبل للإسلام ، والعاقبة الحميدة لعباد الله الصالحين ، فقد ثبت في صحيح مسلم [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**رأيت ذات ليلة، فيما يرى النائم، كأنا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولت الرفعة لنا في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن ديننا قد طاب**» ومعنى طاب أي: كمل واستقرت أحكامه وتمهدت قواعده وابن طاب رجل من أهل المدينة .

عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**بشر هذه الأمة بالسناء، والرفعة، والنصر، والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا، لم يكن له في الآخرة نصيب**» رواه أحمد [٢] .

---

(١) مسلم برقم (٢٢٧٠) .
(٢) أحمد برقم (٢١٢٢٠).صحيح الترغيب والترهيب.

وعند البيهقي بلفظ (١) «بشر هذه الأمة بالتيسير، والسناء، والرفعة في الدين، والتمكين في البلاد، والنصر، فمن عمل منهم عملاً بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب» .

عن أبي عنبة الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته**» رواه ابن حبان وابن ماجه(٢)

الله أكبر: ما أعظمه من غرس!! وكيف لا يكون عظيمًا وهو غرس الله جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه؟! .

وصدق من قال:

فهذا الغرس ليس له نظير … وحاشا أن يكون له نظير

بماء الذكر يسقى كل يوم … وفي أحضانه تنموا البذور

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعزته وجلاله وحوله وطوله أن يعجل بنصره العزيز لعباده الصالحين في كل مكان، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، اللهم فرج عن المظلومين في كل مكان، اللهم أنج المؤمنين المستضعفين في العراق وفي فلسطين، وفي كل مكان يا أرحم الراحمين.



(١) البيهقي في الشعب برقم (٦٤١٦).
(٢) ابن حبان برقم (٣٢٦) وابن ماجه برقم (٨) والصحيحة برقم (٢٤٤٢).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون ، أبشروا بالنصر العظيم ، فقد قال ربنا في كتابه الكريم: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم : ٤٧).

وتأملوا - يا رعاكم الله- في هذه الآيات العظيمة التي تحمل في طياتها هذه المعية الخاصة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ (محمد : ٣٥)

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت : ٦٩).

وقال عز من قائل: ﴿ إِن تَسْتَفْتِحُواْ فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأنفال : ١٩).

هذه المعية التي تفيد التأييد والنصر والحفظ والعون من الله وحده ، لا شريك له ، هذه المعية قالها محمد ﷺ لأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : ﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة : ٤٠).

وقالها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لقومه: ﴿ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (الشعراء : ٦٢).

أيها المؤمنون ، وليكم الله فنعم المولى ونعم النصير قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾ (محمد : ١١).

ولهذا قال أبو سفيان صخر بن حرب رئيس المشركين يوم أحد وذلك قبل أن يسلم « فقال أبو سفيان: أفي القوم محمد ثلاث مرات، فنهاهم النبي ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاث مرات، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاث مرات، ثم رجع إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء، فقد قتلوا، فما ملك عمر نفسه، فقال: كذبت والله يا عدو الله، إن الذين عددت لأحياء كلهم، وقد بقي لك ما مايسوؤك، قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، إنكم ستجدون في القوم مثلة، لم آمر بها ولم تسؤني، ثم أخذ يرتجز: أعل هبل، أعل هبل، قال النبي ﷺ : «ألا تجيبوا له»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: « قولوا: الله أعلى وأجل «، قال: إن لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ : «ألا تجيبوا له؟»، قال: قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «قولوا الله مولانا، ولا مولى لكم» رواه البخاري [١].

عباد الله هذه بعض الأحاديث العظيمة التي تدل على أن النصر حليف المؤمنين ، وأن المستقبل للإسلام وأهله.

وعن خباب بن الأرت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو**

(١) البخاري برقم (٣٠٣٩).

الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون» رواه البخاري وغيره [(١)].

وعن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر** [(٢)] **إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلاً يذل الله به الكفر**» وكان تميم الداري، يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية» رواه أحمد وغيره [(٣)].

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى**[(٤)] **لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها**» رواه مسلم وغيره [(٥)].

وعن أبي قبيل رَحِمَهُ اللَّهُ، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاصي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسئل: أي المدينتين تفتح أولا: القسطنطينية أو رومية؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولًا: قسطنطينية أو رومية؟، فقال رسول الله ﷺ: «مدينة هرقل تفتح أولًا» يعني قسطنطينية، رواه أحمد [(٦)].

ورومية: هي روما وهي عاصمة إيطاليا اليوم، وقد تحقق الفتح الأول

---

(١) البخاري برقم (٣٦١٢).
(٢) بيت مدر: هي البيوت التي من حجر وهي بيوت الحواضر، وبيوت المدر: هي بيوت البوادي التي من وبر وشعر.
(٣) أحمد برقم (١٦٩٥٧)، وصححه العلامة الألباني.
(٤) زوى: جمع وضم.
(٥) مسلم برقم (٢٨٨٩).
(٦) أحمد برقم (٦٦٤٥) والصحيحة للألباني.

على يدي محمد الفاتح العثماني وهو ابن ثلاثٍ وعشرين سنة في يوم الثلاثاء -٢٠ / جمادى الأولى / ٨٥٧هـ ، وسيحقق الفتح الثاني قريبًا بإذن الله عَزَّوَجَلَّ ، ولتعلمن نبأه بعد حين.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ ، قال: « **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود** » رواه مسلم[1].

وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ : «**تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًا، فيكون ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا جبرية، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج نبوة**» [2].

عباد الله : إن الكافرين سيبوء أمرهم بالفشل والهزيمة الساحقة إن شاء الله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (يونس : ٨١ -٨٢).

وكما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴾ (القمر : ٤٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾ (ص : ١١).

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٩٢٢).

(٢) رواه أحمد برقم (١٨٤٠٦) وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٥).



وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ (الأنبياء : ١٨).

اللهم عليك بأعداء الدين ، اللهم احصهم عدداً ، وأقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحدًا يا قوي يا متين ، اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب سريع الحساب ، اللهم اهزم حزب الباطل، وانصر الحق وأهله ، إنك على كل شيء قدير .

والحمد لله رب العالمين.





٣١ وجوب اعتزال الفتن

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون:

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ

﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ (الأنفال: ٢٠ - ٢٥).

يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في هذه الآيات بطاعته وطاعة رسوله ويحذر من الاعراض عن ذلك،ويخبر أنه عمل المنافقين، وأمر في هذه الآيات أيضًا بالاستجابة له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولرسوله ﷺ ومن أعرض عن الاستجابة للكتاب والسُّنَّة فإن الفتنة ستدركه وتصيبه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .

حقًا يا أمة الإسلام ، إنها الفتنة العظيمة لمن لم يستجيب لله ولرسوله ﷺ وفي ختام هذه الآيات وعيدان شديدان لمن أعرض عن القرآن والسُّنَّة.

الوعيد الأول: الفتنة.

والوعيد الثاني : الذي هو أشد وأعظم من الوعيد الأول شدة عقاب الله: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ .

معاشر الإخوة في الله ، نحن نعيش في معترك الفتن ، وفي عصر الفتن، إنها الفتن التي تموج كموج البحار ، إنها الفتن التي تدع العقلاء حيارى ، فنسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يسلمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

عباد الله : وهذه موعظة من كتاب الله الكريم ، ومن سُنَّة نبيه الأمين ﷺ عن وجوب اعتزال الفتن.

وتعريف الفتنة: هي الابتلاء والاختبار قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٣٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ (طه: ٤٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (العنكبوت: ١ - ٤).

فالمسلم قد تصيبه الفتن ويفتن في هذه الحياة الدنيا بأنواع من الفتن لكثرتها، ويفتن في السراء والضراء، ويفتن في الصحة والمرض، ويفتن بالأموال يفتن بالزوجة والولد إلى غير ذلكم من أنواع الفتن، ولقد خاف نبينا ﷺ على هذه الأمة من الفتن المضلة كما جاء عند الإمام أحمد في مُسنده [١] عن أبي برزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إن مما أخشى عليكم، شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى»

والفتن كثيرة جدًا ففي صحيح البخاري [٢] عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا زوج النبي ﷺ، قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا، يقول: «**سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن؟، وماذا أنزل من الفتن؟، من يوقظ صواحب الحجرات؟ -يريد أزواجه لكي يصلين- رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**».

وفي صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا،**

(١) أحمد برقم (١٩٧٧٣) ورجاله ثقات.
(٢) البخاري برقم (٧٠٦٩).
(٣) صحيح مسلم برقم (١١٨).

أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا» .

زاد أحمد[(١)] **« يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل »** .

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ [(٢)]: والفتنة نوعان: فتنة الشبهات. وهى أعظم الفتنتين، وفتنة الشهوات ، وقد يجتمعان للعبد، وقد ينفرد بإحداهما.

ولقد كان السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون [(٣)].

وكثرة الفتن من أشراط الساعة فقد صح في صحيح البخاري [(٤)]. عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج – وهو القتل القتل – حتى يكثر فيكم المال فيفيض»** .

أيها المؤمنون : من الفتن العظيمة التي يفتن بها الرجل الشرك بالله عَزَّ وَجَلَّ ، قال الله تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال : ٣٩).

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ، وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ابن أنس وغيرهم: يعني شركًا.

ومن الفتن العظيمة أيضًا الكفر بالله تعالى ، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ**

(١) أحمد برقم (٨٠٣٠).
(٢) إغاثة اللهفان ج٢(٢٣٩).
(٣) إغاثة اللهفان ج٢(٢٣٩).
(٤) البخاري برقم (١٠٣٦).

تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (آل عمران : ٧). فقد ذكروا أن المراد بالفتنة هنا الكفر.

ومن الفتن أيضًا العذاب ،كما في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النحل : ١١٠) ، أي: عذبوا.

ومن الفتن الإحراق بالنار قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ البروج : ١٠).

ومن الفتن: العقوبة من الله كما قال تعالى :﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (النور: ٦٣) [١].

وصح عند الترمذي في السُنن[٢] عن كعب بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال**» . وفي مُسند الإمام أحمد[٣] عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم أفسد لها من حرص المرء على المال، والشرف لدينه**» .

ومن الفتن العظيمة فتنة النساء عن طريق النظر والاختلاط وغير ذلك ، ففي الصحيحين [٤] عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد

(١) نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ص(٤٧٨ -٤٨٠).
(٢) الترمذي برقم (٢٣٣٦) السلسلة الصحيحة للألباني برقم (٥٩٢).
(٣) أحمد برقم (١٥٧٨٤) صحيح صححه الشيخ شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٤) البخاري برقم (٥٠٩٦) ومسلم برقم (٢٧٤١).

من الفتنة بغيرهن ويشهد له قوله تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران : ٧) ، فجعلهن من حب الشهوات....الخ.[١]

ويقول ﷺ : «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[٢] .

ومن الفتن فتنة الأولاد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ (التغابن : ١٥) .

وفي سُنن أبي داود[٣] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خطبنا رسول الله ﷺ ، «فأقبل الحسن، والحسين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما، فصعد بهما المنبر، ثم قال: « صدق الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴾ [التغابن: ١٥]، رأيت هذين فلم أصبر ، ثم أخذ في الخطبة» .

فكم من أناس يقدمون طاعة أولادهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

فكن يا أخا الإسلام – حذرًا من هذه الفتنة فإن ربنا عَزَّوَجَلَّ يقول : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن : ١٤).

ومن أنواع الفتن العظيمة التي يفتتن بها المرء فتنة القبر ، ففي صحيح

---

(١) الفتح ج١٠(١٧٢).
(٢) مسلم برقم (٢٧٤٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أبو داود برقم (١١٠٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

البخاري[(١)] عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تقول: «**قام رسول الله ﷺ خطيبا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة**» .

وفي صحيح مسلم[(٢)] عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - قال: كذا كان يقول الجريري - فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ « قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب النار**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «**تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن**» قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «**تعوذوا بالله من فتنة الدجال**» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال .

ومن الفتن إغراء المسلم بالدنيا الفانية، ففي قصة كعب بن مالك في الصحيحين[(٣)] وفيها«أن ملك غسان، كتب إليه:أما بعد، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك، قال فقلت:حين قرأتها:وهذه أيضًا من البلاء فتيايممت بها التنور فسجرتها بها».

ومن الفتن العظيمة فتنة الدجال ، ففي مُسند الإمام أحمد [(٤)] عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال: «**لأنا لفتنة**

---

(١) البخاري برقم (١٣٧٣) .
(٢) مسلم برقم (٢٨٦٧) .
(٣) البخاري برقم (٤٤١٨) ومسلم برقم (٢٧٦٩) .
(٤) أحمد برقم (٢٣٣٠٤) وصححه شعيب.

بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة، إلا تتضع لفتنة الدجال» .

وقال حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أول الفتن قتل عثمان بن عفان ، وآخر الفتن خروج الدجال[1] .

ومن الفتن فتنة الناس بعضهم ببعض كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ (الفرقان : ٢٠).

والله يبتلي المؤمنين بالكفار وبالمنافقين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾ (محمد : ٤).

ويبتلي الله الأغنياء بالفقراء لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾ (الأنعام : ٥٣).

فما أحوج المسلم إلى أن يفر بدينه من الفتن ، وعلى وجه الخصوص في هذا الزمان الذي كثرت فيه المغريات والفتن ، وقد روى الإمام البخاري في صحيحه [2] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**يوشك [3] أن يكون خير مال المسلم غنم، يتبع بها شعف[4] الجبال، ومواقع القطر[5]، يفر بدينه من الفتن**» .

وصلى الله على النبي المختار،وعلى آله وصحبه الأبرار،وسلم تسليماً كثيرًا.

---

(١) البداية والنهاية ج٧(٢٣١) .
(٢) البخاري برقم (١٩) .
(٣) .أي يقترب.
(٤) شعف الجبال : أي رؤوس الجبال.
(٥) مواقع القطر: أي بطون الأودية.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

أما بعد :

فيا معاشر المسلمين : نحن نعيش في هذا الزمان المليء بالفتن وبالبلايا والمحن،ولا شك أن البعد عن الفتن وعدم الخوض في ذلك مطلب شرعي، وبالذات عند اشتعال الفتنة وتطاير شررها، فمن اشرف لها اشرفت له ، ومن ماج لها ماجت له كما قال بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ولقد وردت أدلة عظيمة وكثيرة تدل على وجوب اعتزال الفتن ، وسوف أذكر نفسي وإياكم ببعض الأحاديث في ذلك :

فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بينما نحن حول رسول الله ﷺ ، إذ ذكروا الفتنة - أو ذكرت عنده -، فقال: «**إذا رأيت الناس قد مرجت**(١) **عهودهم، وخفت أماناتهم، وكانوا هكذا**» ، وشبك بين أصابعه، قال: فقمت إليه، فقلت له: كيف أفعل عند ذلك، جعلني الله فداك؟ قال: «الزم بيتك، واملك عليك لسانك، وخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة»(٢)

وفي مُسند الإمام أحمد وسُنن الترمذي(٣) عن أهبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال

---

(١) مرجت: أي اختلطت.
(٢) أحمد برقم (٦٩٨٧) وهو في صحيح الجامع للألباني برقم (٥٧٠) ورواه الحاكم برقم
(٣) أحمد برقم (٢٠٦٧٠) والترمذي برقم (٢٢٠٣) وهو في الصحيحة للألباني برقم (١٣٨٠).

رسول الله ﷺ : « إذا كانت فتنة بين المسلمين، فاتخذ سيفًا من خشب»

وعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة» رواه الترمذي [١]

وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أظلتكم فتن، كقطع الليل المظلم، أنجى الناس منها صاحب شاهقة** [٢] **يأكل من رسل غنمه** [٣]**، أو رجل من وراء الدروب**[٤] **آخذ بعنان فرسه يأكل من فيء سيفه**»رواه الحاكم[٥].

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**اكسروا فيها قسيكم - يعني في الفتنة - واقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا فيها كالخير من ابني آدم**» [٦].

قسيكم: جمع قوس ، وهو ما ترمى به السهام.

ومعنى أوتاركم : جمع وتر وهو القوس.

وعنى كالخير : يعني المقتول من ابني آدم ، ومعلوم أن ابن آدم رفض أن يمد يده لأخيه وقال له:﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (المائدة : ٢٨).

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول الله ما النجاة؟ قال:

---

(١) الترمذي برقم (٢٢٠٢)وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) شاهقة : جبل .
(٣) رسل غنمه: لبنها.
(٤) الدروب: المضيق في الجبل .
(٥) الحاكم ج ٢(٩٣) ، وصححه العلامة الوادعي كما في تعليقه على المستدرك برقم (٢٥١٥).
(٦) الترمذي برقم (٢٢٤٠) وصححه العلامة الألباني في صحيح الترمذي.

«املك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» الترمذي[١].

عن المقداد بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: ايم الله، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلي فصبر فواهًا » فواهاً : أي : عجباً لأمره** أبو داود[٢].

عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «تعفف» قال: «يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موت شديد يكون البيت فيه بالعبد[٣].، يعني القبر، كيف تصنع؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «اصبر» قال: «**يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضا، يعني حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء، كيف تصنع؟**» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «**اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك**» .

قال: فإن لم أترك؟ قال: «**فأت من أنت منهم، فكن فيهم**» قال: فآخذ سلاحي؟ قال: «**إذن تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف، فألق طرف ردائك على وجهك حتى يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم[٤].

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إنها ستكون فتن: ألا ثم تكون فتنة القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي**

---

(١) الترمذي برقم (٢٤٠٦) وصححه الشيخ الألباني في السلسلة برقم (٨٩٠).
(٢) أبو داود برقم (٤٢٦٣) وصححه الألباني.
(٣) أراد بالبيت القبر والمراد انشغال الناس عن دفن موتاهم لكثرة من يموت.
(٤) أحمد برقم (٢١٣٢٥) و صحيح أبي داود برقم (٤٢٦١) وابن ماجه برقم (٣٩٥٨) والحاكم ج٤(٤٢٣-٤٢٤).

إليها ، ألا فإذا نزلت أو وقعت، فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه » قال فقال رجل: يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر، ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟**» قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين، أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك، ويكون من أصحاب النار**» رواه مسلم [١].

فنسأل الله أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يعصمنا من شرور المحن وأن يتوفانا على السُنن ، اللهم ادفع عنا البلاء والوباء واربا والزنا والزلازل والمحن وسوء الفتن ، اللهم آمنا في أو طاننا وادفع عنا كل بلاء.



(١) صحيح مسلم برقم (٢٨٨٧).



٣٢ قســوة القلــوب

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ لِلَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده الله فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: هذه الخطبة بمشيئة الله وتوفيقه عن **(قسوة القلوب)** ، وستحوي العناصر الآتية:

١- ذم قسوة القلوب .

٢- أسباب قسوة القلوب.

٣- أسباب لعلاج قسوة القلوب.

أيها المؤمنون: قسوة القلوب من أعظم المصائب والعقوبات التي يعاقب بها العبد ، فالواجب على المسلم العاقل أن يهتم أشد الاهتمام بإصلاح قلبه ، لأن القلب هو محل نظر الله تعالى ، ففي صحيح مسلم[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**» .

والقلوب اللينة الرقيقة ، هي أحب القلوب إلى الله رب العالمين ، فعند الطبراني [٢] عن أبي عنبة الخولاني أن النبي ﷺ قال: «**إن لله آنية من أهل الأرض وآنية ربكم قلوب عباده الصالحين ، وأحبها إليه ألينها وأرقها**» .

وفي صحيح مسلم [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة أقوام، أفئدتهم مثل أفئدة الطير**» .

قيل معناه: متوكلون ، وقيل أفئدتهم رقيقة.

أما القلوب القاسية : فهي القلوب الغليظة التي فيها الشدة والصلابة والقلوب القاسية هي التي خلت من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى.

والقلوب القاسية : هي تلك القلوب الغليظة التي لا تؤثر فيها موعظة من كتاب الله ، ولا من سنة رسول الله ﷺ .

والقلوب القاسية : هي التي ذهب لينها ، ورقتها وخلت من الرحمة ،

---

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٦٤).
(٢) مُسند الشاميين برقم (٨٤٠) السلسلة الصحيحة برقم (١٦٩١).
(٣) مسلم برقم (٢٨٤٠).

والخشوع كما جاء عند الحافظ ابن عساكر[١] عن عمر بن حبيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**خاب عبد وخسر لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر**».

إخوة الإيمان والإسلام: لقد وردت أدلة عظيمة في ذم قسوة القلوب، قَالَ تَعَالَىٰ: معاتبًا المؤمنين. ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦).

أي: أما آن للمؤمنين - أن تخشع قلوبهم - أي- أن ترق- لذكر الله- أي: القرآن الكريم فتلين وترق عند الذكر، والموعظة وسماع القرآن.

وفي صحيح مسلم[٢] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال «ما كان بين إسلامنا، وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ إلا أربع سنين».

وفي صحيح مسلم[٣] أن أبا موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (بعث إلى قراء أهل البصرة فدخلوا عليه ثلاثمائة رجل قد قرأوا القرآن، فقال: أنتم خيار أهل البصرة، وقراؤهم فاتلوه، ولا يطولن عليكم الأمد فتقسوا قلوبكم، كما قست قلوب من كان قبلكم...).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ (الحديد: ١٦) وصف الله أهل الكتاب في هذه الآية بقسوة القلوب، ونهى المؤمنين عن التشبه بهم.

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧(١١٣) الصحيحة برقم (٢٥٦٤).
(٢) مسلم برقم (٣٠٢٧).
(٣) مسلم برقم (١٠٥٠).

قال بعض السلف : لا يكن قلب أحدكم أشد قسوة من صاحب الكتاب إذا قسا.

وقال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ١٣).

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة : ٧٤).

فالحجارة فيها منافع عظيمة أما تلك القلوب فليس فيها منفعة ولا فائدة .

ولقد أعد الله العذاب لأصحاب القلوب القاسية التي لا تلين عند ذكر الله ، ولا تخشع ولا تعي ولا تفهم، قال عز من قائل في كتابه الكريم: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الزمر : ٢٢).

وأخبرنا سبحانه عن قسوة قلوب المشركين حتى أصبحت متحجرة، وقاسية وميتة ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأنعام : ٤٢ -٤٣).

فهؤلاء قست قلوبهم حتى لم تؤثر فيهم الشدة والابتلاء، نسأل الله العافية.

وصاحب القلب القاسي قد ظلم نفسه أشد الظلم ، وقد سماه الله ظلمًا في كتابه الكريم ، فقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ : ﴿ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾(الحج : ٥٣).

قال مالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ :ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه.

وقال حذيفة المرعشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قسوة قلبه[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : خلقت النار لإذابة القلوب القاسية ما أصيب أحد بمصيبة أعظم من قسوة قلبه[٢].

ولقد كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من القلب القاسي ، ففي صحيح مسلم[٣] عن زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : كان النبي ﷺ يقول: (**اللهم إني أعوذبك من قلب لا يخشع**).

وعند ابن حبان [٤] عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول كان النبي ﷺ يدعو يقول : «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والهرم، والقسوة والغفلة، والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر، والشرك والنفاق، والسمعة والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم، والجنون، والبرص والجذام، وسيىء الأسقام**» .

ولقد كان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا في غاية الخشوع والرقة ، وكان النبي

---

(١) صفوة الصفوة ج٤(١٨٩).
(٢) فوائد الفوائد بترتيب الشيخ علي الحلبي ص(٢٦٢).
(٣) مسلم برقم (٢٧٢٢).
(٤) الإحسان برقم (١٠٢٣) وسنده صحيح.



ﷺ يتعاهدهم بالموعظة التي ترقق قلوبهم ، وتصلحها ، قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان النبي ﷺ (يتخولنا بالموعظة ، مخافة السآمة علينا) .[(١)]

ويقول العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منه القلوب وذرفت منه العيون...)[(٢)].

فانظر - يا أخي المسلم- كيف تأثروا بالموعظة ظاهرًا وباطنًا.

وثبت في الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط، قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرًا»، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، أي: من البكاء»[(٣)].

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال : قلنا: يا رسول الله، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد قال: « **لو تكونون - أو قال: لو أنكم تكونون - على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا، لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم** »[(٤)].

الحديث ، وفيه أنهم طلبوا من النبي ﷺ الحديث عن الجنة فحدثهم عن بناء الجنة وذهبها وفضتها ، لأن الحديث عن الجنة يرفق القلوب ، ويجعلها تشتاق إلى سكانها ، وتشتاق إلى النعيم الذي أعده الله لأهلها فيها.

نسأل الله ذلك من فضله والله تعالى أعلى وأعلم.

---

(١) البخاري برقم (٧٠).
(٢) أبو داود برقم (٤٦٠٧) والترمذي برقم (٢٦٧٦) وهو حديث صحيح.
(٣) البخاري برقم (٦٦٣٧) ومسلم برقم (٢٣٥٩).
(٤) مُسند أحمد برقم (٨٠٤٣) وسنده صحيح.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد :

فقد سمعتم إلى أحوال القلوب وخطر قسوتها وهناك أسباب لقسوة القلوب فلما وقعنا في هذه الأسباب ، أو في بعضها قست قلوبنا نسأل الله العافية ، ومن تلك الأسباب :

١ - نقض العهد : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة : ١٣).

قال ابن عقيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا في وعظه ، يا من يجد من قلبه قسوة ، احذر أن تكون نقضت عهدًا فإن الله تعالى يقول ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ [(١)] . أهـ

والإنسان إذا ترك أوامر الله وارتكب نواهيه ، فهو مسئول عن هذا كله كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ (الإسراء : ٣٦).

والصلاة عهد من الله لعباده ، فمن تركها فقد ضيع عهد الله ، وميثاقه كما قال نبينا ﷺ «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[(٢)] .

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب ج١ (٢٦١).
(٢) الترمذي برقم (٢٦٢١) عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢- الغفلة وكثرة الضحك : ففي مُسند الإمام أحمد وجامع الترمذي وابن ماجه [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : « **ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب**» .

٣- كثرة الذنوب: قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ (المطففين : ١٤).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله**» ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [٢].

قال بعض السلف : إذا قلت خطايا القلب أسرعت دمته.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللهُ :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوءٍ ورهبانها

٤- كثرة الأكل : قال ﷺ : «**ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن. بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**»[٤].

---

(١) أحمد برقم (٨٠٩٥) والترمذي برقم (٢٣٠٥) وابن ماجه برقم (٤٢٤٤) الصحيحة برقم (٥٠٦).

(٢) الترمذي برقم (٣٣٣٤) .

(٣) مجموع رسائل ابن رجب ج١(٢٦٣).

(٤) صحيح الترمذي برقم (٢٣٨٠) عن مقداد بن معد بن كرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والقلب تشتد قسوته أعظم إذا كان المال من الحرام ، أو من الشبهات.

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ : خصلتان تقسيان القلب ، كثرة الكلام وكثرة الأكل[١].

وقال الإمام المروزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لأبي عبد الله أحمد بن حنبل ،يجد الرجل من قلبه رقة ، وهو شبع؟ قال ما أرى.

وقال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قسوة القلب من أربعة أشياء ، إذا جاوزت قدر الحاجة الأكل والشرب والنوم والكلام ، والمخالطة[٢].

إخوة الإيمان والإسلام : هذه بعض الأسباب الموصلة إلى قسوة القلب.

أما علاج قسوة القلب - أي الأسباب الموصلة إلى رقته وصلاحه فهي كالآتي :

١- كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ : قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (الأنفال : ٣).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (الرعد : ٢٨).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (الحديد : ١٦).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ

(١) سير أعلام النبلاء ج٨(٤٤٠).
(٢) فوائد الفوائد ترتيب الشيخ علي الحلبي حفظه الله تعالى ص(٢٦٢).

﴿ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ (الزمر : ٢٣).

قال المعلى بن زياد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن رجلًا قال للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، يا أبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلبي ، قال أَدْنِهِ من الذكر ، أي: قَرِّبْهُ من الذكر[(١)].

وقال بعض السلف : خمسة أشياء دواء القلب ،قراءة القرآن بالتفكر، خلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين [(٢)].

وقال ابن تيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إن في الدنيا جنة من لم يدخلها ، لم يدخل جنة الآخرة [(٣)].

وقال بعضهم: إنه ليمر بالقلب أوقات إن كان أهل الجنة في مثل هذا، إنهم لفي عيش طيب.

وقال يوسف بن أسباط رَحِمَهُ ٱللَّهُ : خلقت القلوب مساكن للذكر ، فصارت مساكن للشهوات ولا يمحو الشهوات إلا خوف مزعج ، أو شوق مقلق ، الزهد في الرئاسة أشد منه في الدنيا. [(٤)].

وقال أحمد بن خضر ويه رَحِمَهُ ٱللَّهُ : القلوب جوالة فإما أن تجول حول الحش ، وإما أن تجول حول الحش[(٥)]. والحش الخلاء .

وقال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اطلب قلبك في ثلاثة مواضع ، عند سماع القرآن ، وفي مجالس الذكر ، وفي أوقات الخلوة ، فإن لم تجده في هذه

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب ج١(٢٦٣).
(٢) المصدر السابق.
(٣) الوابل الصيب ص(٦٩).
(٤) سير أعلام النبلاء ج٩(١٧٠).
(٥) سير أعلام النبلاء ج١١(٤٨٨).

المواطن، فسل الله أن يمن عليك بقلب ، فإنه لا قلب لك.[١].

٢- الإحسان إلى اليتامى والمساكين: فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا، شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له: «إن أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح رأس اليتيم»[٢].

٣- ذكر الموت: قال سفيان بن سعيد الثوري وسعيد بن جبير وغيرهما من السلف رَحِمَهُمُ اللَّهُ : لو فارق ذكر الموت قلبي ساعة لفسد قلبي[٣].

وفي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**أكثروا ذكر هاذم اللذات**» يعني الموت[٤]. ومعنى هاذم: أي قاطع اللذات.

٤- زيارة المقابر والتفكر في حال أهلها: سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ عما يرقق القلب قال : ادخل المقبرة.

ويقف أحد السلف متأملًا في أحوال الموتى ، ثم يبكي ، فلما سئل عن ذلك قال : إنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة.

وقد ثبت في صحيح مسلم[٥] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: زار النبي ﷺ قبر أمه، فبكى وأبكى من حوله، فقال: « **فزوروا القبور فإنها تذكر الموت**» .

وعن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**نهيتكم**

---

(١) فوائد الفوائد ترتيب الشيخ علي الحلبي حفظه الله تعالى ص(٤٧٩).
(٢) أحمد برقم (٧٥٧٦) السلسلة الصحيحة تحت رقم (٨٥٤) .
(٣) مجموع رسائل ابن رجب ج١(٢٦٥) .
(٤) الترمذي برقم (٢٣٠٧) .
(٥) مسلم برقم (٩٧٦) .

عن زيارة القبور فزوروها »[١] .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة اللهم أصلح فساد قلوبنا ، اللهم أصلح فساد قلوبنا ، اللهم أصلح فساد قلوبنا. يارب العالمين ، ويا أرحم الراحمين.

والحمد لله رب العالمين.



---

(١) مسلم برقم (٩٧٧) . وعن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الآخرة ولا تقولوا هجرا**» رواه أحمد برقم (٧٨٤٣١) والحاكم برقم (٣٩٣١) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٥٨٥٤).



٣٣ الفيضانات

الخُطْبَةُ الأُوْلَى :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي ينزل الأمطار على عباده ، ويمتن عليهم بذلك، ويرحمهم بهذه الرحمة العظيمة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴾(النمل: ٦٠) .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ (الشورى : ٢٨)، وينزله في وقت حاجتهم ،فقرهم إليه كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الروم : ٤٩ -٥٠). فسماه الله رحمة كما في هذه الآية.

وكيف لا يكون الغيث رحمة ، وهو سبب في إحياء الأرض ، وأصل لكل الأحياء كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنبياء : ٣٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (النور : ٤٥).

وقد جاء في الصحيحين[(١)] عن زيد بن خالد الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**هل تدرون ماذا قال ربكم؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: « **قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مُطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب** » .

أيها المؤمنون: وقد جعل الله الأمطار أحياناً عذاب على بعض الناس، فيدمر به كثيرًا من المدن والقرى ، ويهلك به كثيرًا من المزارع ، ويخرب

(١) البخاري برقم (٨٤٦) ومسلم برقم (٧١).

به كثيرًا من البلاد ، والبيوت ويجعله سببًا في موت كثيرٍ من البشر كما سمعتم في كثيرٍ من بلدان العالم ، وكان ضحية هذه الأحداث المروعة عشراتِ الآلاف من القتلى ومئاتِ الآلاف من المشردين اللذين أصبحوا في الطرقات والشوارع بدون مأوى ، وهذه الأحداث فيها من العبر ، الشيء الكثير والآيات لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .

ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من مثل هذه الأحداث ، وعن أبي اليسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من الهدم، وأعوذ بك من التردي، وأعوذ بك من الغرق، والحرق، والهرم، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بك أن أموت في سبيلك مدبرًا، وأعوذ بك أن أموت لديغًا**»[1] .

وفي الصحيحين [2] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول - أي : إذا خاف الضرر بالماء - «**اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الشجر**» .

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : أتت النبي - ﷺ - بواكي فقال: «**اللهم اسقنا غيثًا مغيثًا مريئًا نافعًا غير ضَّار عاجلًا غير آجل** ». قال فأطبقت عليهم السماء. [3]

وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « **كان النبي ﷺ إذا تخيلت السماء، تغير لونه، وخرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرت، سري عنه، فعرفت ذلك في وجهه، قالت عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : **فسألته، فقال: « لعله، يا عائشة كما قال قوم عاد :**

---

(١) أبو داود برقم (١٥٥٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) البخاري برقم (١٠٣٣) ومسلم برقم (٨٩٧)
(٣) أبو داود برقم (١١٦٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الأحقاف : ٢٤) »[١].

وتقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكا حتى أرى منه لهواته[٢]، إنما كان يتبسم، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: « **يا عائشة ما يؤمني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: ﴿ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ﴾**[٣].

وعن عائشة، زوج النبي ﷺ، أنها قالت: كان النبي ﷺ إذا عصفت الريح، قال: «**اللهم إني أسألك خيرها، وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها، وشر ما فيها، وشر ما أرسلت به**»[٤].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أن النبي ﷺ، كان إذا رأى ناشئًا في أفق السماء ترك العمل وإن كان في صلاة، ثم يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من شرها**» فإن مطر قال: «**اللهم صيبًا هنيئًا**»[٥].

وفي رواية للبخاري «**اللهم صيبًا نافعًا**»[٦]، والصيب : هو المطر الذي يجري ماؤه كما قاله النووي في الأذكار.

---

(١) مسلم برقم (٨٩٩).
(٢)جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك وترى عند الضحك الشديد. الفتح ج٩ (٥٥٠).
(٣) البخاري برقم (٤٨٢٩).
(٤) مسلم برقم (٨٩٩).
(٥) أبو داود برقم (٥٠٩٩) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٦) البخاري برقم (١٠٣٢).

أمة الإسلام والقرآن ، والواجب علينا أن نعتبر ، ونتعظ بمثل هذه الحوادث المهيلة ولا تكن كما قال الله تعالى في المشركين: ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٦).

وهذه الفيضانات ، والزلازل من باب الابتلاء والاختيار للعباد كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِٱلْحَسَنَاتِ وَٱلسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(الأعراف: ١٦٨).

وكما قال عز شأنه: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ (البقرة : ١٥٥- ١٥٧).

ومن مات في هذه الفيضانات ، وهو من عباد الله الصالحين ، فإنه من الشهداء أو ترجى له الشهادة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كما جاء في الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: أن رسول الله ﷺ ، قال: «**الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**» .

الغريق : هو الذي يموت غرقًا في الماء.

وهذه الأحداث والمصائب مقدرة من الله رب العالمين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التغابن : ١١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي

(١) البخاري برقم (٢٨٢٩) ومسلم برقم (١٩١٤).

كِتَٰبٍ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد : ٢٣).

إخوة الإيمان والإسلام : لا ننسى أن هذه المصائب ، والأحداث هي والله بسبب الذنوب والمعاصي كما قال تعالى :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى : ٣٠).

وقد قال بعض السلف : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة.

ولقد كان يقول الضحاك بن مزاحم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما نعلم: ما نعلم أحدًا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ، ثم قرأ الضحاك :﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ (الشورى : ٣٠).

ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن الكريم.[١]

ولقد كثرت المعاصي والذنوب في أوساط المجتمعات الإسلامية ومن ذلك :

١ – الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ.
٢ – عقوق الوالدين.
٣ – قتل النفس المحرمة .
٤ – الزنا.
٥ – البدع.
٦ – قطيعة الرحم .
٧ – قطع الصلاة.
٨ – الظلم.
٩ – الربا.
١٠ – اللواط.
١١ – التبرج.
١٢ – السفور.
١٣ – وجود آلات اللهو والدمار مثل الدشوش ، وغيرها من الوسائل التي تنقل الفساد والرذيلة بين أوساط الشباب والشابات –إلا من رحم ربي–.

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤(١١٨).

وغير ذلك من الذنوب والمعاصي.

وهذا الزمان قد قلَّ فيه الناصحون ، وغاب فيه الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر إلَّا من وفقه الله ورحمه.

وقد جاء في سُنن أبي داود [١] عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب**» .

وجاء في الصحيحين [٢] عن زينب بنت جحش، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : يا رسول الله ﷺ « أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**» .

نسأل الله السلامة والعافية في الدنيا والآخرة.



(١) أبو داود برقم (٤٣٣٨) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) البخاري برقم (٧١٣٥) ومسلم برقم (٢٨٨٠).

الخُطبَة الثَّانِيَة :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، يقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت : ٤٠) .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ (الأنعام : ٦٥) .

وقد ثبت في الصحيح[1] عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال رسول الله ﷺ : «أعوذ بوجهك»، قال: ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ : «**هذا أهون - أو هذا أيسر -**» .

إن الله عَزَّوَجَلَّ على كل شيء قدير قادر على أن يهلك العباد في لحظة واحدة وصدق الله القائل في كتابه العزيز: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (فاطر : ٤١).

---

(١) البخاري برقم (٤٦٢٨) .

إخوة الإيمان والإسلام ، لقد أهلك أمماً بالفيضانات ، والطوفان ، والغرق ،وانظروا ما جرى لقوم نوح ، وكيف عذبهم الله وأهلكهم بالغرق ، وهذه بعض الأدلة في ذلك: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ (القمر : ٩ -١٥).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ (الحاقة : ١١ -١٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (العنكبوت : ١٤- ١٥).

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ (هود : ٤١- ٤٤).

وهذا فرعون وقومه أغرقهم الله في صبيحة واحدة، فلم يبق منهم أحدًا قال ربنا جَلَّ جَلَالُهُ وتقدست أسماؤه في كتابه المبين: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف: ١٣٦).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الزخرف: ٥٥ -٥٦).

وهذه أمة عاد المستكبرة دمرها الله تدميرًا ، وكان هلاكها بالريح العاتية لما أقحطت بعثت رجلًا يستسقى لها اسمه قيلا ، فنزل على بكر بن معاوية ، فسقاه الخمر ، وغنته الجرادتان ، أي المغنيتان شهرًا كاملًا ، ثم خرج يستسقي بقومه ، فأتى جبال تهامة ، أي مكة ، فقال : « **اللهم إني لم آتك لمريض ، فأداويه ، ولا لأسير فأفاديه ، فاسقِ عبدك ما كنت مسقيه واسق معه بكر بن معاوية يشكر له إحسانه بالخمر الذي سقاه فرفع له سحابات، فقيل له اختر إحداهن ، فاختار السوداء منهن ، فقيل له خذها رمادًا رمددًا لا تذر من عاد أحدًا** » وهو حديث صحيح [(١)] .

وقال تعالى: ﴿ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ (الذاريات : ٤١ -٤٢).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الحاقة : ٦- ٨).

وهذه بلاد سبإ موطن بلاد ملوك اليمن كانوا في نعمة عظيمة ورغد من العيش أعطاهم الله الأرزاق ، والمواشي وكثرة الثمار والمياه ، وأرسل إليهم الرسل ، فكذبوا وأعرضوا ، فعاقبهم الله بالغرق ، وأرسل عليهم السد ، ودمرهم تدميرًا ، وأهلكهم هلاكًا عظيمًا كما قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٣٢٧٣).

﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ (سبإ : ١٥ -١٧).

اللهم ادفع عنا ، وعن المسلمين البلاء والسوء والأسقام والكرب والفتن والمحن ، فلا يدفعها أحد غيرك ، واصرف عنا برحمتك السوء بما شئت ، وكيف شئت فأنت القادر على كل شيء.

اللهم وفقنا لصالح الأعمال ، ونجنا من جميع الأهوال ، وأمنا من الفزع الأكبر يوم الفزع والزلزال.

اللهم الطف بنا يا لطيف ، واشف بلطفك مرضانا ، وارحم بفضلك موتانا ، واستر علينا عيوبنا واغفر لنا ذنوبنا وأصلح لنا شأننا كله.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ، ولا مضلين سلمًا لأوليائك حربًا على أعدائك سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين.

والحمد لله رب العالمين.



٣٤ تفسير آيات من كتاب الله العظيم

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١]:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُه وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : إن من أجل القربات ، والطاعات التي نتقرب بها إلى مولانا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، فهم كتاب الله العظيم ، وسوف نتناول الحديث بإذن الله جَلَّ وَعَلَا في هذه الجمعة المباركة عن آيات من كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ ، فأعيروني القلوب ، والأسماع ، فإن الموضوع من الأهمية بمكان.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ (النساء : ٢٦ – ٢٨).

قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ ﴾ الإرادة هنا بمعنى المحبة ، أي يحب الله.

والإرادة على قسمين:

أولًا: الإرادة الكونية : وهي مشيئته لما خلق ، فجميع المخلوقات داخلة تحت مشيئته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة : ٢٥٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴾ (الرعد : ١١).

وقال تعالى ، إخبارًا عن نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾(هود: ٣٤).

ثانيًا: الإرادة الدينية الشرعية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾ (المائدة : ٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب : ٣٣).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (النساء : ٢٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ ﴾ اللام هنا بمعنى : أن كقوله تعالى :

﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (الشورى:١٥) ، أي: وأمرت أن أعدل بينكم.

وكقوله تعالى: ﴿ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام : ٧١).

وكقوله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ ﴾(الصف : ٨).

وكقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (النحل : ٤٤).

وقوله جلت عظمته: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾، أي: ليبين لكم الحلال الذي أحله لكم والحرام الذي حرمه عليكم كما هو واضح في السورة ، وغيرها.

أيها المسلمون ، هذه الآيات المباركات تضمنت أمورًا:

١ – البيان. ٢ – الهداية .

٣– التوبة. ٤ – خطورة الميل إلى الشهوات.

٥ – إرادة التخفيف.

أولاً : البيان : فقد بين الله لعباده أتم البيان ، وكذا رسوله محمد ﷺ بين، وأوضح الطريق لأمته أتم الإيضاح ، ودونك هذه الأدلة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران : ١٣٨).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾(النحل: ٨٩).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(النساء: ١١٥).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ (الإسراء : ١٥).

وقال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ (الأنعام : ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (التوبة : ١١٥).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (الفرقان : ٣٢- ٣٣).

وقال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (المائدة : ٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت : ١٧).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يوسف : ١١١).

وقال تبارك وتعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ (البقرة : ٢١٣).

وقال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (النحل : ٦٣ -٦٤).

وقال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ

بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء : ١٦٥).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء : ٥٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ [١]: لو لم يكن أمر الله ورسله فاصلًا للنزاع ، لم يؤمروا بالرد إليه.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (الأنعام : ١١٩).

وفي الحديث الصحيح [٢] عن العرباض بن سارية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» .

وفي البخاري ومسلم [٣] عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**الحلال بيِّن، والحرام بيِّن**» .

وقال أبو ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لقد تركنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا [٤].

فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يعذب أحدًا إلا بعدالإنذار والإعذار على ألْسِنة الرسل -عليهم الصلاة والسلام- ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٖ

(١) مجموع الفتاوى ج١٩ (١٧٣).
(٢) ابن ماجه برقم (٤٣).
(٣) البخاري برقم (٥٢) ومسلم برقم (١٥٩٩).
(٤) أحمد برقم (٢١٣٦١) وسنده صحيح.

مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ﴾ (طه : ١٣٤).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ فَيَقُولُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (القصص : ٤٧).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ (المائدة : ١٩).

عباد الله : إن ديننا الإسلامي لم يترك شأنًا من شئون الآخرة ، ولا أمرًا من أمور الدنيا إلا بينه ووضحه ، فحذار حذار عباد الله من معاصي الله ، فإنها شهوة قصيرة عاجلة تعقبها حسرة دائمة ونار حامية ،حذار حذار، فقد وضح السبيل ، ولا ينفع عند الله ملفق الأعذار ، ولا التأويل ،اللهم ردنا إلى الإسلام ردًا جميلًا ، واهدنا جميعًا سواء السبيل.

ثانيًا : الهداية: قال رب العالمين في هذه الآية الكريمة :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾ (النساء : ٢٦) ، أي يوضح الله لكم ، ويرشدكم ، ويدلكم على طريق الأنبياء ، والصالحين من قبلكم ، لتقتدوا بهم.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣ ﴾ (الإنسان : ١ -٣).

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴾(البلد: ١٠)،أي طريق الخير وطريق الشر.

ثالثاً: التوبة: فقد قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾، أي والله يريد أن يتوب عليكم وتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله : توبة قبل توبة العبد وتوبة بعد توبته.

أما توبة الله للعبد قبل توبته ، فإذنه ، وتوفيقه له بالتوبة.

وأما توبة الله على العبد بعد توبته ، فبقبوله لتوبة عبده قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة : ١١٨).

فقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْ ﴾ ، أي أذن لهم ، ووفقهم للتوبة ، فإذا تابوا إلى الله قبل الله منهم التوبة كما قال جلت عظمته في كتابه الكريم: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (التوبة : ١٠٤).

ولما كان الإنسان ضعيفًا وعجولًا يحصل منه التكرار للذنوب ، كرر الله ذكر التوبة مرة أخرى ، فقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٢٧).

والتوبة هي الرجوع إلى الله من معصيته إلى طاعته ، فالله : ﴿ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلى طاعته.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ عليم بمصالح عباده في أمر دينهم ، ودنياهم ، وحكيم فيما دبر من أمورهم.

وقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴾ (النساء : ٢٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: أي ، يريد أتباع الشياطين من اليهود والنصارى ، والزناة أن تميلوا عن الحق إلى الباطل ميلًا عظيمًا.

وقال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: هم الزناة يريدون أن تميلوا عن الحق فتزنون كما يزنون.

رابعًا: الشهوات: جمع شهوة ، ولقد ذم الله أصحاب الشهوات من الكفار ، والفجار والفساق ، وغيرهم فقال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ (مريم : ٥٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾ (محمد : ١١٢).

وقال تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴾ (الأحقاف : ٢٠).

والله هو الذي زين للناس الشهوات من باب الابتلاء والاختبار كما في قوله تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴾ (آل عمران: ١٤).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ (الكهف : ٧).

---

(١) تفسير ابن كثير ج١ (٤٥٤).
(٢) معالم التنزيل للإمام البغوي ج١ (٤١٧).

وعند أبي داود والترمذي والنسائي [(١)] عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **لما خلق الله الجنة قال لجبريل : اذهب فانظر إليها ، فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها ثم حفها بالمكاره ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد** ». قال : « **فلما خلق الله النار قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها فحفها بالشهوات ثم قال : يا جبريل اذهب فانظر إليها. فذهب فنظر إليها ثم جاء فقال : أى رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحد إلا دخلها** ».

وفي صحيح مسلم [(٢)] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**» .

وعن أبي برزة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**إنما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى**» . [(٣)]

وعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول ﷺ : «**سيكون رجال من أمتي يأكلون ألوان الطعام، ويشربون ألوان الشراب، ويلبسون ألوان اللباس، ويتشدقون في الكلام، فأولئك شرار أمتي**» [(٤)] .

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ [(٥)]: أركان الكفر أربعة : الكبر والحسد والشهوة والغضب.

---

(١) أبو داود برقم (٤٧٤٤) والترمذي برقم (٢٥٦٠) والنسائي ج٧ وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه الجامع الصحيح ج١ (٤٤٢).

(٢) مسلم برقم (٢٨٢٢) ورواه البخاري برقم (٦٤٨٧) ومسلم برقم (٢٨٢٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) مُسند البزار برقم (٣٨٤٤) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الترغيب برقم (٥٢).

(٤) الطبراني في الكبير برق (٧٥١٢) وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيحة برقم (٥١٢ - ٥١٥).

(٥) فوائد الفوائد ص(٢٨٨).

وقال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : قوة المؤمن في قلبه وضعفه في جسمه وقوة المنافق في جسمه وضعفه في قلبه[١].

وقال بعض السلف: رب شهوة أورثت حزنًا طويلًا .

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كفى بالمرء سرفًا أن يأكل كل ما اشتهى[٢] .

ولقد كشف الله عن نفسية الإنسان إذ الزناة يرغبون أن يكون الناس كلهم زناة ، والمنحرفون يودون أن ينحرف الناس مثلهم ، وهكذا كل منغمس في خبث أو شر أو فساد ، يود أن يكون كل الناس مثله ، كما أن الطاهر الصالح يود أن يطهر ويصلح كل الناس[٣] .

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ٨٩ ﴾ (النساء : ٨٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٠٩ ﴾ (البقرة : ١٠٩).

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ٤٤ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ٤٥ ﴾ (النساء : ٤٤-٤٥).

وقال عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «ودت الزانية لو زنى النساء كلهن » .

---

(١) مجموع الفتاوى ج٢٢(٢٤٥).
(٢) شرح السُّنَّة للإمام البغوي ج١٤(٣٠٦).
(٣) أيسر التفاسير ج١(٣٩٠) للجزائري.

أيها المؤمنون : إن الوصول إلى الراحة لا يكون ، إلا بترك الراحة ، ولا يدرك النعيم إلا بترك النعيم ، فيا من بلغت ذنوبه الشفع والوتر ، ويا من قلبه كالليل إذا يسر أسود بهيم ، بسبب الذنوب والمعاصي تب إلى ربك قبل فوات الأوان.

إذا ما قال لي ربي … أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب من خلقي … وبالعصيان تأتيني

فما قولي له … لما يحاسبني ويقصيني

وقال آخر:

يا من يرى ما في الضمير ويسمع … أنت المعد لكل ما يتوقع

يا من يرجّى للشدائد كلها … يا من إليه المشتكى والمفزع

يا من خزائن فضله في قول كن … امنن فإن الخير عندك أجمع

ما لي سوى فقري إليك وسيلة … فبالافتقار إليك فقري أدفع

ما لي سوى قرعي لبابك حيلة … فإذا رددت فأي باب أقرع

ومن الذي أرجو وأهتف باسمه … إن كان جودك عن فقيرك يمنع

حاشا لفضلك أن تقنط راجيًا … الجود أجزل والمواهب أوسع

فنسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعزته وجلاله وحوله وطوله أن يعجل بنصره العزيز لعباده الصالحين في كل مكان ، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، اللهم فرج عن المظلومين في كل مكان ، اللهم أنج المؤمنين المستضعفين في العراق وفي فلسطين ، وفي كل مكان يا أرحم الراحمين.

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله بين الطريق، وأوضح المحجة ، أرسل رسله مبشرين، ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة ، أحمده سبحانه، وأشكره ، وأتوب إليه ، وأستغفره.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

ألم تر أن الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى و أمجد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

أيها المسلمون : وقوله سبحانه ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨).

معناه : أي يحب الله أن يسهل عليكم في أحكام الشرع ، وفي هذا دليل على مدى رحمة الله وفضله وكرمه ولطفه بعباده المؤمنين ، وأنه يحب سبحانه أن يخفف عنهم ، وقد فعل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فقال جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ (البقرة : ١٨٥).

وقال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة : ٦).

وعن محجن بن الأكوع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الله تعالى رضي لهذه الأمة اليسر، وكره لها العسر**» قال لها ثلاثًا [١] .

(١) الطبراني في الكبير برقم (٧٠٧) .

وفي رواية « إنكم أمة أريد بكم اليسر »[١] .

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن خير دينكم أيسره »[٢] .

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: عن هذا الرسول ﷺ ﴿ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف : ١٥٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]:أي أنه جاء بالتيسير والسماحة كما ورد الحديث من طرق عن رسول الله ﷺ أنه قال «**بُعثت بالحنيفية السمحة**»[٤].

وقال ﷺ لأميريه معاذ وأبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا لما بعثهما إلى اليمن «يسرًا ولا تعسرًا، وبشرًا ولا تنفرًا، وتطاوعا ولا تختلفا » [٥].

وقال صحابه أبو برزة الأسلمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني صحبت رسول الله ﷺ وشهدت تيسيره ، وقد كانت الأمم التي قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم، فوسع الله على هذه الأمة أمورها ، وسهلها لهم ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم**» [٦] ، وقال «**رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه**» ، ولهذا أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا :﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة : ٢٨٦).

---

(١) أحمد برقم (٢٠٣٤٧) الصحيحة برقم (١٦٣٥).
(٢) أحمد برقم (١٥٩٣٦) الصحيحة برقم (١٦٣٥).
(٣) تفسير ابن كثير ج٢(٢٣٥).
(٤) ضعفه العلامة الألباني في غاية المرام برقم (٨) ، ولكنه قد ثبت قوله ﷺ : « **أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة**» الصحيحة برقم (٨٨١).
(٥) البخاري برقم (٣٠٣٨) ومسلم برقم (١٧٣٣) عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٦) مسلم برقم (٢٦١١).

وثبت في صحيح مسلم[١] «أن الله تعالى قال:بعد كل سؤال من هذه: قد فعلت ، قد فعلت» وقوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الأعراف: ١٥٧)،أي عظموه ووقروه ، وقوله تعالى : ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ ﴾ أي القرآن والوحي الذي جاء به مبلغاً إلى الناس :وقوله ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ أي في الدنيا والآخرة . اهـ

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨).

ضعيفًا في البنية والتركيب ، ضعيفًا في الإدراك والقوة ضعيفًا أمام الشهوات والشبهات قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ﴾ (السجدة: ٧– ٨).

وقال تعالى :﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ (الإسراء : ١١).

وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ ﴾ (الروم : ٥٤).

وفي صحيح مسلم [٢]عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لما صور الله آدم في الجنة تركه ما شاء الله أن يتركه، فجعل إبليس يطيف به، ينظر ما هو، فلما رآه أجوف عرف أنه خلق خلقا لا يتمالك**» .

---

(١) مسلم برقم (١٢٦).
(٢) مسلم برقم (٢٦١١).

وهكذا من ضعف الإنسان أنه مجبول على الخطأ لما جاء في صحيح مسلم[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**» .

وعلى وجه الخصوص إن أعظم ضعف في الإنسان أن لا يصبر على النساء ، قال وكيع بن الجراح رَحِمَهُ اللَّهُ : « **يذهب عقله عندهن** »[٢] .

وصح عن طاووس رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿**وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا**﴾: قال: أي في أمر النساء.[٣]

أيها المؤمنون : ثبت عند البخاري ومسلم في صحيحيهما[٤] عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ قال: «ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء» .

وقال ﷺ : «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**» [٥] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : فليحذر العاقل من طاعة النساء في ذلك ، وفي الصحيحين عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ : «**ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء**» .

وأكثر ما يفسد الملك والدول طاعة النساء. ففي صحيح البخاري عن

---

(١) مسلم برقم (٢٧٤٩).
(٢) رواه ابن أبي حاتم برقم (٩٢٦).
(٣) رواه الطبراني برقم (٩١٣٦) والصحيحة برقم (٨٨١).
(٤) البخاري برقم (٥٠٩٦) ومسلم برقم (٤٧٤٠).
(٥) مسلم برقم (٢٧٤٢) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) وقال الأعشى: وهن شر غالب لمن غلب»**[١].

هذا والله نسأله أن يحفظنا من الفتن ويعصمنا من الزلل والمحن، اللهم أصلح من في صلاحه صلاح الإسلام والمسلمين، وأهلك من في هلاكه صلاح الإسلام والمسلمين يا ذا الجلال والإكرام، اللهم اجعلنا لكتابك من المتمسكين، وللصلاة من المقيمين، وللزكاة فاعلين، ولسائر أركان الإسلام وفرائضه وشعائره مؤدين.

عباد الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (النحل: ٩٠).

وفقنا الله وإياكم لمراضيه، وجعل مستقبل حالنا خيرًا من ماضيه، اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا، وزدنا علماً وامنحنا فهماً وحلماً.



(١) مجموع الفتاوى ج٢٥(٢٧٤٢).

٣٥ عذاب القبر ونعيمه

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : حديثنا اليوم معكم بمشيئة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عن **(عذاب القبر ونعيمه)** .

أيها المؤمنون : اعلموا أن الإنسان إذا مات ، قامت قيامته الصغرى ،

فيكون حينئذ إما في نعيم وإما في جحيم ، وإما في روضة من رياض الجنة وإما في حفرة من حفر النيران.

وحياتنا في القبر بعد مماتنا حقًا ويسألنا به الملكان

والقبر صح نعيمه وعذابه وكلاهما للناس مدخران (١)

والقبر: هو مدفن الأموات كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴾ (عبس: ٢١).

قال ابن عباس رضي الله عنهما أي : أكرمه بدفنه.

فالله جل وعلا جعل لهذا الإنسان قبرًا يوارى فيه إكرامًا له ، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض ، فتأكله الطيور والعوافي(٢).

والبرزخ في اللغة: الحاجز ومنه قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾ (الفرقان : ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ (الرحمن : ٢٠).

والمراد بالبرزخ :هو الوقت ما بين موت الإنسان ، وقيام الساعة وسواء دفن الميت ، أو أكلته السباع في البر ، أو الحيتان في البحار أو أتلفته الرياح فإنه يكون في برزخ مُنعمًا أو مُعذبًا على حسب عمله قال تعالى: ﴿ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠).

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم ﴾ (المؤمنون : ١٠٠) ، أي : من أمامهم وبين أيديهم ﴿ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (المؤمنون : ١٠٠).فبين القبر ، والبرزخ عموم وخصوص ، فالبرزخ عام والقبر خاص.

(١) نونية القحطاني ص(١٦) .
(٢) العوافي : الوحوش والبهائم.

ولقد جاءت أدلة كثيرة من القرآن الكريم ومن سنة نبينا محمد ﷺ في إثبات عذاب القبر ونعيمه فمن ذلك:

قوله تعالى عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السُّنَّة على عذاب البرزخ في القبور وهي قوله تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا ﴾ (غافر: ٤٦).

وفي الصحيحين[٢] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: « **إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة** ».

وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٣)، قوله ﴿ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ (الأنعام: ٩٣) أي سكراته وكرباته، ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ (الأنعام: ٩٣) أي: بالضرب والعذاب كما قال جلت عظمته في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴾ (الأنفال: ٥٠).

---

(١) تفسير ابن كثير ج٦ (٤٩٧).
(٢) البخاري برقم (١٣٧٩) ومسلم برقم (٢٨٦٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] في تفسير هذه الآية: ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ﴾ وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعصي وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ الآية أي: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته، والانقياد لرسله.

لأن (أل) في قوله : اليوم للعهد الحضوري ، فيبدأ عذاب الظالمين من الموت فما بعده ، عافانا الله من ذلك كله.

معاشر الإخوان في الله : ومن الأدلة العظيمة على إثبات عذاب القبر في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ (طه : ١٢٤).

فهذه الآية تشمل معيشتهم الضنك في الدنيا ، مما يجدون من القلق، والحيرة والاضطراب ، وتشمل عذابهم في القبور قال عليه الصلاة والسلام لما سئل عن المعيشة الضنك فقال «عذاب البرزخ» .[٢]

واختار ذلك جمع من السلف .

وقال تعالى ﴿ وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ﴾ (التوبة : ١٠١) .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣(٥٧٧) .
(٢) موارد الظمئان برقم (٧٨١) وسنده حسن.

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ أي : بالجوع وعذاب القبر.

وقال قتادة وابن جريج رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ « عذاب الدنيا وعذاب القبر » .

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى : ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ «عذاب الدنيا وعذاب القبر »[1]

وقوله: ﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبة:١٠١)، هذا هو العذاب الثالث للمنافقين ، وهو نار جهنم.

وقال جل شأنه: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ (إبراهيم : ٢٧) .

فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما [2] عن البراء بن عازب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: « **المسلم إذا سُئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله** » ، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ وفي رواية «نزلت في عذاب القبر » .

وأما الأحاديث الواردة في إثبات القبر ونعيمه فهي كثيرة جدًا منها:

في الصحيحين [3] عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن يهودية دخلت عليها، فذكرت عذاب القبر، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر، فقال: «**نعم، عذاب القبر**» قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر » .

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٣٤١) وأثر مجاهد أخرجه الطبراني وسنده صحيح.
(٢) البخاري برقم (٤٦٩٩) ومسلم برقم (٢٨٧١).
(٣) البخاري برقم (١٣٧٢) ومسلم برقم (٥٨٦).

عن أسماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، تقول: «قام رسول الله ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة» أخرجه الإمام البخاري وغيره [١].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، قال النبي ﷺ : « **فيراهما جميعًا، وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[٢].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان رسول الله ﷺ يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»»[٣].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير» ثم قال: «**بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله**» قال: ثم أخذ عودًا رطبًا، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[٤].

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس،

---

(١) البخاري برقم (١٣٧٣)
(٢) البخاري برقم (١٣٧٤) ومسلم برقم (٢٨٧٠).
(٣) البخاري برقم (١٣٧٧) ومسلم برقم (٥٨٨).
(٤) البخاري برقم (١٣٧٨) ومسلم برقم (٢٩٢).

فسمع صوتًا فقال: «**يهود تعذب في قبورها**» [١].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ، قال: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر» [٢].

وعن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**» رواه الترمذي [٣].

وعن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إن الموتى ليعذبون في قبورهم، حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم**» رواه الطبراني [٤].

معاشر المؤمنين، لابد من ضمة القبر، فلا ينجو منها صغير، ولا كبير ذكر ،ولا أنثى، غني ولا فقير ،بر، ولا فاجر.

ففي معجم الطبراني عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن النبي ﷺ قال: «**لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا سعد، ولقد ضم ضمة، ثم رخي عنه**» [٥].

وعند الطبراني أيضًا [٦] عن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن صبيًا دفن فقال رسول الله ﷺ: «**لو أفلت**»**(أي: نجا)** «**أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي**».

فهل تذكرنا - يا عباد الله - تلك القبور المظلمة على أهلها، فوالذي لا إله غيره، إنها لمظلمة على أهلها أشد من ظلمة الليل البيهم، ففي صحيح

---

(١) البخاري برقم (١٣٧٥) ومسلم برقم (٢٨٦٩).
(٢) مسلم برقم (٢٨٦٩).
(٣) الترمذي برقم (٢٣٠٨) وحسنه العلامة الألباني.
(٤) الطبراني برقم (١٠٤٥٩) الصحيحة ج٣(٣٦٦)
(٥) الطبراني في الكبير برقم (١٠٨٢٧) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٦٩٥).
(٦) الطبراني في الكبير برقم (٣٨٥٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٢١٦٤).

مسلم [١] في قصة المرأة التي كانت تقم المسجد - أو شابًا - ففقدها رسول الله ﷺ ، فسأل عنها - أو عنه - فقالوا: مات، قال: «**أفلا كنتم آذنتموني**» قال: فكأنهم صغروا أمرها - أو أمره - فقال: «**دلوني على قبره**» فدلوه، فصلى عليها، ثم قال: «**إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله عَزَّوَجَلَّ ينورها لهم بصلاتي عليهم**» .

فلا إله إلا اله كم يحصل من الرعب ، والذعر الذي يصيب الميت ، وهو في قبره وحيدًا فريدًا.

إنها تلك القبور التي ظواهرها التراب ، وبواطنها مملوءة بالعذاب ، إنها تلك القبور التي ظواهرها التراب والأحجار المنقوشة مبنيات ، وفي بواطنها الدواهي والبليات.

فنسأل الله العظيم أن يجعل قبورنا بعد فراق هذه الدنيا خير منازلنا ، وأن يفسح لنا فيها ضيق ملا حدنا ، وأن يجعلها مملوءة نورًا ونعيمًا.

والحمد لله رب العالمين.



(١) مسلم برقم (٩٥٦).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله الحي القيوم ، إنصافًا وعدلًا العظيم أسماءً ،وفضلًا ، والصلاة والسلام على النبي المجتبى ، والرسول المصطفى ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون ، لقد كان السلف الصالح في غاية من الخوف من الله، وعلى وجه الخصوص إذا شيعوا الجنائز ونظروا إلى القبور، ولقد حث النبي ﷺ على زيارة القبور ، لما في ذلك من عظيم العبرة وبليغ العظة ، فقال ﷺ : « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها** » رواه مسلم [1].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «عودوا المرضى، واتبعوا الجنائز يذكركم الآخرة» رواه ابن المبارك في الزهد [2].

فكيف بك- يا ابن آدم- إذا واراك الثرى؟ وسرى بك البلى وأصبحت جثة هامدة ، وجيفة بالية لا حركة لك ، فأين صولتك ، وجولتك وأين سلطانك وافتخارك.

قال الشاعر:

أتيت القبور فناديتها ... فأين المعظم والمحتقر

---

(١) مسلم برقم (٩٧٧).

(٢) الزهد لابن المبارك برقم (٢٣٤) بتحقيق الدكتور أحمد فريد وسنده صحيح. الصحيحة.

وأيـــن المــــــذل بسلطانه   وأيــن المـزكـى إذا مـا افتخر
تــســاووا جميـعًـا ومــات الخبر   ومــا تــوا جمـيـعًـا ومــات الخبر
تـــروح وتــغـدو بـنـات الـثـرى   فتمحو محـاسـن تلك الصور
فـيـا سـائـلي عـن انـاس مضوا   أمـــا لــك في مـا مـضى معتبر

وقال آخر:

والله لـو عـاش الفتى في عمره   الـفًـا مـن الأعــوام مالك أمـره
مـتـلـذذا فـيـهـا بـكـل لـذيـذة   متنعماً فيها بسكنـى قصره
لا يعتريه السقم طـول حياته   كـلا ولا تـرد الهـمـوم بصدره
مـــا كــــان ذلـــك كـلـه في أن   فـيـهـا بــأول لـيـلـة في قـبره

وقال آخر:

الـلـيـل مـهـما طـــال لا بد   مـــن طـــلـــوع الـفـجـر
والـــعـــمــــر مــهـــما طـــال   لابـــد مـــن دخـــول الـقـبر

أخي المسلم : اليوم تشيع الجنائز ، وغدًا أنت المشيع ، اليوم تحمل الجنازة، وغدة أنت المحمول.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته   يـومًـا عـلى آلـة حـدبـاء محمول
فــإذا حملت إلى القبور جنازة   فاعلم بـأنـك بعدها محمول

أيها المؤمنون : ثبت عند الإمام ابن ماجه في سُننه عن البراء بن عازب

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ في جنازة، فجلس على شفير القبر، فبكى، حتى بل الثرى، ثم قال: «**يا إخواني لمثل هذا فأعدوا**»(١).

وقال هانئ مولى عثمان بن عفان ، كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته ، فقيل تذكر الجنة والنار فلا تبكي ، وتبكي من هذا؟ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه**» رواه الترمذي(٢).

وقال ثابت البناني رَحِمَهُ اللَّهُ « كنا نشهد الجنازة فلا نرى إلا مطرقًا باكيًا» رواه البيهقي في الشعب(٣).

وقال إبراهيم بن يزيد النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ « كانوا يشهدون الجنازة ، فيظلون الأيام محزونين يعرف ذلك فيهم» رواه ابن المبارك في الزهد(٤).

أما نحن اليوم ، فما حالنا إلا كما قال الأول إلا ما رحم ربي:

تروعنا الجنائز مقبلات فنلهوا حين تغدوا مدبرات

فهل تفكرت – يا ابن آدم – في يوم مصرعك ، وانتقالك من موضعك إذا انتقلت من سعة إلى ضيق ، وخانك الصاحب والرفيق ، وهجرك الأخ والصديق ، وأخذت من فراشك وغطائك إلى غرور ،وغطوك من بعد لين لحافها بتراب ومدر ، فبالله عليك هل ستنام أو يهدأ لك بال ، أو يقر لك قرار؟ كيف وقد كنت في الدنيا تؤرق ، وتقلق إذا غيرت مكان نومك داخل بيتك فضلًا عن خارجه ، فكم من قائل يقول : ما نمت الليلة لأنني

---

(١) ابن ماجه برقم (٤١٩٥) وقال العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ، حديث حسن
(٢) الترمذي برقم (٢٣٠٨) وقال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ حديث حسن.
(٣) شعب الإيمان برقم (٣٩٣)
(٤) الزهد لابن المبارك برقم (٢٣٢) تحقيق الدكتور أحمد فريد.

غيرت مكاني ، فمجرد تغير المكان أرقك ، وأفزعك مع أنك نائم على الأسرة المفروشة بجوار أهلك ، ووسط عيالك ، والنور موجود، والأنس حاصل ، فقل لي بربك إذا غيرت مكان نومك من غرفتك المؤنسة إلى حفرة القبر الموحشة كيف سيكون حالك ؟، فإن كانت الدنيا قد شغلتك والآمال قد ألهتك ، فعليك بزيارة القبور .

وتأمل حال من مضى من إخوانك ودرج من أقرانك الذين بلغوا الآمال، وجمعوا الأموال كيف انقطعت آمالهم ، ولم تغن عنهم أموالهم ، ومحا التراب محاسن وجوههم ، وافترقت في القبور أجزاؤهم ، وترمل بعدهم نساؤهم ، وشمل ذل اليتيم أولادهم ، واقتسم غيرهم طريقهم وبلادهم ، وتذكر ترددهم في المآرب، وحرصهم على على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الأسباب ، وركونهم إلى الصحة والشباب واعلم أن ميلك إلى اللهو واللعب كميلهم ، وغفلتك عما بين يديك من الموت الفظيع ، والهلاك السريع كغفلتهم ، وأنك لا بد صائر إلى ما صاروا إليه ، وعندئذ تذهب عنك قسوة القلب وجمود العين ، وطول الأمل ، فتزهد في دنياك ، وتقبل على طاعة مولاك [١].

ستباشر الغبراء خدك ... وسيضحك الباكون بعدك
ولينزلن بك البلى ... وليخلقن الموت عهدك
ومتى رحلت عن الديار ... وأهلها وسكنت وحدك
لم تنتفع إلا بفعل ... صالح قد كان عندك

---

(١) الوصايا المنبرية للخلفي ص(٤١٤ -٤١٥).

وتـــرى الـــذيـــن قـسـمـت مـالـك بينهم حـصـصًـا وكـد

يـتـلـذذون بــما جمـعـت لهم ولا يــشــكــون بــعــدك

اللهم يا جواد يا رؤوفًا بالعباد ، يا رحيم يا رحمان ، ارحمنا إذا صرنا إلى القبور ، وسكِّن رعبنا يوم الحشر والنشور ، اللهم ارحمنا إذا درس قبرنا ونسي اسمنا ، وانقطع ذكرنا ، اللهم ارحمنا إذا وارانا التراب ، وآنسنا إذا فارقنا الأهل والأصحاب ، آمين يا رب العالمين.





٣٦ أسباب عذاب القبر

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: عباد الله موضوع خطبتنا في هذا اليوم العظيم إن شاء الله عَزَّوَجَلَّ ، عن (**أسباب عذاب القبر**) .

يقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ :اعلم أن عذاب القبر ليس مختصاً

بالكافرين ، ولا موقوفًا على المنافقين ، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكل على حاله من عمله وما استوجبه من خطيئته ووزره [١].

والأدلة التي تدل على أن المؤمن قد يعذب في قبره بسبب ذنوبه كثيرة.

السبب الأول: الشرك بالله: قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن آل فرعون: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٦).

وقال تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾ (الأنعام: ٩٣).

وفي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند أحمد وغيره ، « **وفيه ويأتيه - أي الكافر- ملكان شديدا الانتهار ، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول هاه هاه لا أدري ، فيقولان له ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري ، فيقولان: فما تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فلا يتهدي لاسمه ، فيقال محمد ، فيقول ها هاه لا أدري سمعت الناس يقولون ذلك ، قال: فيقال : لا دريت ولا تليت ، فينادي منادٍ من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار....** » إلخ [٢].

عن زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» ، فقال رجل: أنا،

(١) التذكرة ج١ (٢٠٧).
(٢) أحكام الجنائز للألباني ص(٢٠١) وقد جمع طرقه جمعًا مباركا رَحِمَهُ اللَّهُ .

قال: فمتى مات هؤلاء؟ « قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه.....**» الحديث رواه مسلم[1].

فقوله « **ماتوا في الإشراك**» دليل واضح على أن الشرك سبب في عذاب القبر.

وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، أنه قال يوم الخندق: «**ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا، كما شغلوا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس**» متفق عليه[2].

السبب الثاني: النفاق : قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (التوبة : ١٠١) .

فهذه الآية تضمنت ثلاثة أنواع من العذاب :

١- العذاب في الدنيا.

٢- العذاب في القبر.

٣- العذاب في الآخرة.

فقوله ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ عذاب الدنيا ، وعذاب القبر .

وقوله :﴿ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ عذاب النار في الآخرة.

هكذا فسرها أئمة التفسير من السلف كمجاهد وقتادة والربيع بن أنس وابن جريج وغيرهم.

(١) مسلم برقم (٢٨٦٧).
(٢) البخاري برقم (٤١١١) مسلم برقم (٦٢٧) واللفظ للبخاري.

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سؤال الملكين «وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟، فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين» رواه البخاري ومسلم [١].

السبب الثالث والرابع: عدم الاستبراء من البول والمشي بين الناس بالنميمة:

ففي الصحيحين[٢] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قبرين فقال: **«إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير» ثم قال: «بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة**[٣]**، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله» قال: ثم أخذ عودا رطبا، فكسره باثنتين، ثم غرز كل واحد منهما على قبر، ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»**.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«أكثر عذاب القبر من البول»** رواه أحمد وابن ماجه وغيرهما.[٤]

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إن عامة عذاب القبر من البول، فتنزهوا منه»** رواه عبد بن حميد والبزار كما في كشف الأستار[٥].

وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «أمر بعبد من عباد الله أن يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت

---

(١) البخاري برقم (١٣٧٤) مسلم برقم (٢٨٧٠) واللفظ للبخاري.
(٢) البخاري برقم (١٣٧٨) مسلم برقم (٢٩٢)
(٣) النميمة، هي نقل الحيث بين الناس على جهة الإفساد والتحريش بينهم.
(٤) أحمد برقم (٩٠٥٩) وابن ماجه برقم (٣٤٨) وصححه العلامة الألباني برقم (١٦١) في صحيح الترغيب والترهيب.
(٥) المنتخب من مُسند عبد بن حميد برقم (٦٤٢) وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب برقم (١٥٨).

جلدة واحدة، فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبره عليه نارًا، فلما ارتفع عنه قال: علام جلدتموني؟، قالوا: إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت على مظلوم فلم تنصره » [١].

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كان يقال عذاب القبر من ثلاثة أثلاث ، ثلث من الغيبة وثلث من النميمة ، وثلث من البول[٢].

السبب الخامس : الغيبة : جاء عن أبي بكرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عند الإمام أحمد [٣] وفيه« **وأما الآخر فيعذب في الغيبة**» .

السبب السادس: الكذب : لحديث سمرة بن جندب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الطويل وفيه « **فانطلقنا، فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب**[٤] **من حديد، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، - قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق -** » قال: «**ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى**» وفي آخره « **وأما الرجل الذي أتيت عليه، يشرشر**[٥] **شدقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق** » رواه البخاري[٦].

السبب السابع والثامن :هجران القرآن بعد تعلمه وينام عن الصلاة المكتوبة:

---

(١) مشكل الآثار برقم (٣١٨٥) وهو في الصحيحة برقم (٢٧٧٤).
(٢) رواه البيهقي في عذاب القبر ص(٢٦١).
(٣) رواه أحمد برقم (٢٠٣٧٣) وابن ماجه برقم (٣٤٩) وصححه العلامة الألباني رحمه الله كما في صحيح ابن ماجه.
(٤) الكلوب : هي الحديدة المعوجة.
(٥) يشرشر: يقطع.
(٦) البخاري برقم (٧٠٤٧).



كما في حديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه فيثلغ**[١] **رأسه، فيتد هده**[٢]**. الحجر ها هنا، فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى**» وفي آخر الحديث« **أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة** » رواه البخاري[٣].

وفي رواية : « **والذي رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ، ولم يعمل فيه في النهار ، يُفعل به إلى يوم القيامة** » .[٤]

السبب التاسع :أكل الربا : لحديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «**فانطلقنا، فأتينا على نهر - حسبت أنه كان يقول - أحمر مثل الدم، وإذا في النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابح يسبح ما يسبح، ثم يأتي ذلك الذي قد جمع عنده الحجارة، فيفغر** [٥] **له فاه فيلقمه حجرًا فينطلق يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغر له فاه فألقمه حجرًا» وفي آخر الحديث « وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا** »[٦].

---

(١) يثلغ : يشدخه.
(٢) فيتد هده : أي يتدحرج.
(٣) البخاري برقم (٧٠٤٧).
(٤) البخاري برقم (١٣٨٦).
(٥) فيفغر : يفتح.
(٦) البخاري برقم (٧٠٤٧).

السبب العاشر :الزنا :

كما في حديث سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه « **فانطلقنا، فأتينا على مثل التنور -قال: فأحسب أنه كان يقول - فإذا فيه لغط وأصوات** » **قال: «فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا»** (١).

وعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ ، يقول: بينا أنا نائم إذ أتاني رجلان فأخذا بضبعي فأتيا بي جبلًا وعرًا فقالا لي: اصعد فقلت: «**إني لا أطيقه**» ، فقالا: إنا سنسهله لك فصعدت حتى إذا كنت في سواء الجبل (٢) إذا أنا بأصوات شديدة فقلت: «**ما هذه الأصوات؟**» **قالوا: هذا عوى أهل النار» «ثم انطلقا بي، فإذا بقوم أشد شيء انتفاخًا، وأنتنه ريحًا، وأسوئه منظرًا، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني....**» (٣)

فيا معاشر المسلمين ، باعدوا أنفسكم عن هذه الأسباب الخطيرة ، حتى تنجوا من العذاب في القبور بإذن الله عَزَّوَجَلَّ .

نسأل الله العلي القدير أن ينجينا جميعًا من عذاب القبر ومن عذاب النار.

والحمد لله رب العالمين.



(١) ضوضوا :أي صاحوا.
(٢) سواء الجبل: أي وسط الجبل.
(٣) مستدرك الحاكم ج٢(٢٠٩ ٢١٠) وصححه شيخنا العلامة الوادعي رحمه الله كما في الجامع الصحيح ج٢(٤٢٢).

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: قد سمعتم يا رعاكم الله عشرة أسباب من أسباب عذاب القبر ومن ذلك أيضًا:

السبب الحادي عشر: من أسباب عذاب القبر، أمر الناس بالبر ونسيان النفس :

ففي صحيح ابن حبان ومُسند أبي يعلى [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت ليلة أسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقارض من نار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ »، فقال: «الخطباء من أمتك، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**» .

السبب الثاني عشر: الإعراض عن ذكر الله جَلَّ جَلَالُهُ **:** لقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾ (طه : ١٢٤) .

وقد قال ﷺ : «**المعيشة الضنك عذاب القبر**» [٢] .

وقد فسر هذه الآية بهذا التفسير أبو هريرة وابن مسعود وأبو سعيد وغيرهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره [٣] .

---

(١) الإحسان برقم (٥٣) ومُسند أبي يعلى برقم (٣٩٩٦) الصحيحة للألباني برقم (٢٩١).
(٢) إثبات عذاب القبر للبيهقي برقم (٥٨).
(٣) ابن كثير ج٣ (١٦٥) وقال في الحديث إسناده جيد.

السبب الثالث عشر: الإفطار في رمضان من غير عذر:

فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**بينا أنا نائم، إذ أتاني رجلان، فأخذا بضبعي، فأتيا بي جبلًا وعرًا، فقالا لي: اصعد. فقلت: إني لا أطيق. فقالا: إنا سنسهله لك، فصعدت حتى كنت في سواء الجبل، إذا أنا بأصوات شديدة، قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا هو عواء أهل النار، ثم انطلق بي، فإذا بقوم معلقين بعراقيبهم، مشققة أشداقهم، تسيل أشداقهم دمًا، فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم، ثم انطلقا بي، فإذا بقوم أشد شيء انتفاخاً وأنته ريحاً ، وأسوئه منظرًا، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الزانون والزواني، ثم انطلق بي، فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات، فقلت: ما بال هؤلاء؟ فقال: هؤلاء اللواتي يمنعن أولادهن ألبانهن، ثم انطلق بي فإذا بغلمان يلعبون بين نهرين، فقلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذراري المؤمنين، ثم شرف لي شرف فإذا أنا بثلاثة نفر يشربون من خمر لهم، قلت: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء جعفر بن أبي طالب، وزيد ابن حارثة، وعبد الله بن رواحة، ثم شرف لي شرف آخر، فإذا أنا بثلاثة نفر، قلت: من هؤلاء؟ قال: إبراهيم، وموسى، وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ينتظرونك**» . رواه الحاكم في المستدرك(١).

السبب الرابع عشر: الغلول:

فقد ثبت عن نبينا ﷺ أنه قال في الرجل الذي غلَّ «**والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أصابها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه ناراً**» رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢).

---

(١) المستدرك ج٢(٢٠٩) وهو حديث صحيح.
(٢) البخاري برقم (٤٢٣٤) ومسلم برقم (٥٧٩٠).

والغلول : هو أخذ الغازي شيئًا من الغنيمة دون عرضه لولي الأمر لقسمته .

والشملة : هي الثوب يتوشح به.

السبب الخامس عشر: جر الإزار خيلاء :

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**بينا رجل يجر إزاره، إذ خسف به، فهو يتجلل في الأرض إلى يوم القيامة**» أخرجه البخاري [١].

ومعنى يتجلجل : أي يغوص في الأرض.

السبب السادس عشر : من أسباب عذاب القبر الامتناع عن إرضاع الأولاد بغير عذر:

وقد سبق الحديث في شأن الحيات التي تنهش ثديهن، يعني النساء في القبور.

السبب السابع عشر: السرقة :

ففي صحيح مسلم[٢] أن النبي ﷺ قال : « **رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فإن فطن له قال: إنما تعلق بمحجني، وإن غفل عنه ذهب به**» الحديث.

السبب الثامن عشر : من أسباب عذاب القبر النياحة على الميت :

ففي صحيحي البخاري ومسلم[٣] عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**الميت يعذب ببكاء الحي عليه**» .

---

(١) البخاري برقم (٥٧٩٠) .
(٢) مسلم برقم (٩٠٤) .
(٣) البخاري برقم (١٢٩٢) ومسلم برقم (٩٢٧) .

وفي رواية في صحيح البخاري[١] «**من نيح عليه يعذب بما نيح عليه**» .

وفي رواية في صحيح مسلم [٢] «**الميت يعذب في قبره بما نيح عليه**» .

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إذا كان بينها لهم في حياته ففعلوا شيئًا من ذلك بعد وفاته لم يكن عليه شيء -والعذاب عندهم- يعني: العقاب[٣] .

معاشر المسلمين : إن الكثير من الناس قد وقعوا في كثير من هذه الأسباب ، إلا من رحم الله عَزَّوَجَلَّ ، فانظروا رحمكم الله إلى آثار الذنوب، وخطورتها ، فالواجب على كل مسلم أن يجتنب الشر ، وأن يبحث عن النجاة ، وأسبابها حتى يكون في مأمن من عذاب الله .

قال بعض السلف : ليس العجب ممن هلك كيف هلك ، إنما العجب ممن نجا كيف نجا.

فالله المسؤول أن ينجينا من كل بلاء وفتنة وأن يتوفانا مسلمين ، إنه أرحم الرحمين.

والحمد لله رب العالمين



(١) مسلم برقم (٩٢٧) .
(٢) البخاري برقم (١٢٩١).
(٣) أحكام الجنائز للألباني ص(٤١).

٣٧ صفـــــة الـنـــار

الخُطبَةُ الأُولَى١ :

إِنَّ الحَمْدَ للَّهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَات أَعْمالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَة بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون عباد الله : كلامنا في هذا اليوم المبارك ، عن(**صفة النار**)، وما أعد الله فيها لأهلها من العذاب الشديد .

ونظرًا لطول هذا الموضوع فسوف ينتظم حديثي معكم بمشيئة الله وتوفيقه

في العناصر الآتية:

١- التحذير من النار.

٢- أبوابها.

٣- دوام عذابها.

٤- عمقها وبعد غورها.

٥- شدة حرها.

٦- طعام أهلها.

٧- شارب أهلها.

٨- ملابس أهلها.

٩- مقامع أهلاها وسلاسلهم وأغلالهم.

١٠- عظم أهلها وبشاعة منظرهم.

أولًا : التحذير من النار :

أيها المسلمون : يقول ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فإن النفوس ولا سيما في هذه الأزمان قد غلب عليها الكسل والتو اني ، واسترسلت في شهواتها وأهوائها ، وتمنت على الله الأماني ، والشهوات لا يذهبها من القلب إلا أحد أمرين : إما خوف مزعج محرق أو شوق مبهج مقلق. اهـ[١]

والله عَزَّوَجَلَّ قد حذر العباد من النار وأنذرهم بها ، قال جلت عظمته : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾(التحريم : ٦).

(١) التخويف من النار لابن رجب .

وقال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (آل عمران: ١٣١).

وقال تعالى: ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى ﴾ (الليل: ١٤).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ ﴾ (المدثر: ٣١-٣٦).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما أنذر العباد بشيء قط أدهى منها.[١]

وقال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾ (الزمر: ١٦).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خلقت النار لإذابة القلوب القاسية.[٢]

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والله ما صدق عبد بالنار إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها.[٣]

وفي مُسند الإمام أحمد[٤] عن النعمان بن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**أنذرتكم النار أنذرتكم النار أنذرتكم النار، حتى لو أن رجلًا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه**».

---

(١) التخويف من النار لابن رجب ص(٣٧).
(٢) فوائد الفوائد ص(٢٦٢).
(٣) الزهد للإمام أحمد ص(٣٢٤).
(٤) مُسند أحمد برقم (١٨٣٩٨) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع ج١ .

وفي الصحيحين [(١)] عن عدي بن حاتم رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «اتقوا النار» ثم أعرض وأشاح، ثم قال: «اتقوا النار» ثم أعرض وأشاح ثلاثا، حتى ظننا أنه ينظر إليها، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد فبكلمة طيبة»

ثانيًا: أبوابها: قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ الزمر: ٧١-٧٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ٤٤﴾ الحجر: ٤٣-٤٤).

وقال عليه الصلاة والسلام لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه حينما سأله حذيفة يا رسول الله، وهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: « **نعم دعاة على أبو اب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» . [(٢)]

وفي الصحيحين[(٣)] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين**».

وهذه الأبواب تفتح لأهلها يوم يساقون إليها، ثم تغلق عليهم فيرجع غمها وحرها عليهم كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيۡهِم مُّؤۡصَدَةٞ ٨ فِي عَمَدٖ

(١) البخاري برقم (٦٥٤٠) ومسلم برقم (١٠١٦).
(٢) البخاري برقم (٧٠٨٤) ومسلم برقم (١٨٤٧).
(٣) البخاري برقم (١٨٩٩) ومسلم برقم (١٠٧٩).

مُّمَدَّدَةِۭ ﴿٩﴾ ﴾ (الهُمزة : ٨-٩).

قال الإمام مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هي بلغة قريش أصد الباب أي: أغلقه.[1]

ثالثًا: دوام عذابها: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ (الزخرف : ٧٤ -٧٨).

فالله أخبر في هذه الآية الكريمة أن العذاب لا يفتر أي: يخفف عنهم ولو ساعة واحدة وقوله ﴿ مُبْلِسُونَ ﴾: أي آيسون من كل رحمة وخير.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (فاطر : ٣٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾(النساء:٥٦).

فأهل النار ينادون فيها ويجأرون إلى الله بأعلى أصواتهم ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (فاطر : ٣٧).

ويشتد بكاؤهم وحزنهم ، ففي مستدرك الحاكم[2] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن في دموعهم لجرت، وإنهم ليبكون الدم**» أي: يعني مكان

(١) التخويف من النار ص(٦١) .
(٢) المستدرك ج٤(٦٠٥) والصحيحة برقم (١٦٧٩).

الدمع» .

وقال الله عنهم : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾(الأنبياء: ١٠٠).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾﴾ (هود: ١٠٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ[1]: الزفير خروج أنفاسهم ، والشهيق ولوج أنفاسهم.

رابعًا : عمقها وبُعد غورها :

ففي صحيح مسلم [2]عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ ، إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ : «**تدرون ما هذا؟**» ، قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها**» . والوجبة : هي صوت سقوط الشيء من مكان عالٍ .

وعن عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ ، قال: « **إن الصخرة العظيمة لتلقى من شفير جهنم فتهوي فيها سبعين عامًا ، وما تفضي إلى قرارها**» [3] أي : قعرها.

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي ﷺ ، قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون**

(١) تفسير ابن كثير ج٣(١٩٢).
(٢) مسلم برقم (٢٨٤٤).
(٣) الترمذي برقم (٢٥٧٥).

من عصارة أهل النار طينة الخبال»[١] . ونار الأنيار : شدة النار.

خامسًا: شدة حرها :

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (التوبة : ٨١ – ٨٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾ الغاشية : ٤). أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر .

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (القارعة : ١٠ – ١١).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الواقعة : ٤١ – ٤٤).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ (المعارج : ١٥ – ١٨).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الشوى: جلدة الرأس.

وقيل الشوى : أطراف اليدين والرجلين.

وقيل لحم الساقين.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: تحرق كل شيء فيه ويبقى فؤاده يصيح[٢]

(١) الترمذي برقم (٢٤٩٢).
(٢) تفسير ابن كثير ج٤(٤٢١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (المدثر: ٢٦ - ٢٩).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١]: أي سأغمره فيها من جميع جهاته، ثم قال تعالى ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴾ وهذا تهويل لأمرها وتفخيم، ثم فسر ذلك بقوله تعالى: ﴿ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴾ أي تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون.

وقوله: ﴿ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴾ أي: محرقة للجلد والبشر أي: تحرق بشرة الإنسان.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ ﴾ (المرسلات: ٣٢)، أي يتطاير الشرر من لهبها كالقصر.

قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كالحصون.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يعني كأصول الشجر[٢].

وفي البخاري ومسلم[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ، قال: «ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم»، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «فضلت عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها»

وفي رواية «هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم»[٤].

سادسًا: طعام أهلها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٤٤٣).
(٢) تفسير ابن كثير ج٤(٤٦١).
(٣) البخاري برقم (٣٢٦٥) ومسلم برقم (٢٨٤٣).
(٤) أحمد برقم (٨٩٢١) وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٠٠) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴿٧﴾ ﴾ الغاشية : ٧ –٨).

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الضريع نبت يقال له ، الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس وهو سم(١).

وقال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ : وهو شر الطعام وأبشعه وأخبثه.

وقوله تعالى: ﴿ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ﴾ والمقصود من الطعام حصول أحد أمرين:

إما أن يسد جوع صاحبه ، ويزيل عنه ألم الجوع .

وإما أن يسمن بدنه من الهزل.

أما هذا الطعام ، فلا يحصل به مقصود ولا يندفع به محذور.

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ﴿١٢﴾ وَطَعَامٗا ذَا غُصَّةٖ وَعَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٣﴾ ﴾ (المزمل : ١٢– ١٣).

قال ابن عابس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا: ﴿ ذَا غُصَّةٖ ﴾ أي شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج(٢).

ومن طعامهم الزقوم قال تعالى : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمۡ عَلَيۡهَا لَشَوۡبٗا مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرۡجِعَهُمۡ لَإِلَى ٱلۡجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الصافات : ٦٢ –٦٨).

والشوب الخليط والمزج ، أي: يخلط الزقوم المتناهي في القذارة والمرارة

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٥٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير ج٤(٤٣٨).

والحميم المتناهي في اللهب والحرارة.

وقال تعالى ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَأَكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الواقعة : ٥١ -٥٦).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (الخان : ٤٣ -٤٦).

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٢)، فقال رسول الله ﷺ : «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت في الأرض، لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه، وليس له طعام غيره**»(١).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (الحاقة : ٣٥ -٣٦).

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الغسلين ، الدم والماء والصديد الذي يسيل من لحومهم(٢).

﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ ، واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.



(١) رواه أحمد برقم (٢٧٣٥) وقال محققوه : إسناده صحيح.
(٢) تفسير ابن كثير ج٤ (٤١٧).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله معطي الجزيل لمن أطاعه ورجاه ، وشديد العقاب لمن أعرض عن ذكره وعصاه ، اجتبى من شاء بفضله فقربه وأدناه ، وأبعد من شاء بعدله فولاَّه ما تولَّاه.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله ، وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون : بعد ما سمعتم عن طعام أهل النار، فإنهم يحاجون إلى شراب فماذا يشربون:

سابعًا : شراب أهلها :

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (إبراهيم : ١٦ –١٧).

﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ ﴾: يتغصصه، ﴿ يُسِيغُهُۥ ﴾ : يبتلعه: ﴿ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قد قضى أن لا يموتوا فيها كما قال عز شأنه: ﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾ (الأعلى : ١٣).

وقال جلت عظمته: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (فاطر : ٣٦).

وقال تعالَىٰ: ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ (محمد : ١٥).

هذا الشراب من الحميم يقطع ما في بطونهم من الأمعاء والاحشاء والأكباد كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الحج : ١٩ - ٢٠).

وقد جاء عند الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما في جوفه، حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان**».

والحميم : هو الماء الحار في غاية الحرارة.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ (الدخان : ٤٧ - ٤٩).

ومعنى فاعتلوه: أي: سوقوه سحبًا ودفعًا في ظهره.

إلى أين إخوة الإيمان؟ إلى سواء الجحيم.

أي ، إلى وسطها ، ثم يقال له على وجه التهكم والتوبيخ ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ .

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف : ٢٩).

والمهل: الرصاص المذاب.

يشوي الوجوه : أي : حتى تتساقط لحومها.

(١) الترمذي برقم (٢٥٨٢) وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة برقم (٣٤٧٠).

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ ﴾ (النبإ: ٢٤ -٢٦).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه.

ثامنًا: ملابس أهل النار:

قال تعالى: ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ (إبراهيم: ٥٠).

والقطران: ما تطلى به الإبل.

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ألصق شيء بالنار.

وكان ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا يقول: القطران هنا النحاس المذاب.

جاء في صحيح مسلم[(٢)] عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والنائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب**».

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴾ (الحج: ١٩).

أي: فصلت لهم مقطعات من النار.

وكان إبراهيم التيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا قرأ هذه الآية يقول سبحان من خلق من النار ثيبًا.[(٣)]

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٤٦٤).
(٢) مسلم برقم (٩٣٤).
(٣) التخويف من النار لابن رجب الحنبلي ص(١٢١).

تاسعًا: مقامع أهلاها وسلاسلهم وأغلالهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحج : ٢١).

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يضربون بها فيقع كل عضو على حياله فيدعون بالثبور.

وقال تعالى : ﴿ إِذِ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسۡحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي ٱلۡحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسۡجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (غافر : ٧١ -٧٢) ، أي: الزبانية تسحبهم تارة إلى الجحيم ، وأخرى إلى الحميم.

وجاء عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال : أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد وإن قعرها بعيد ، وإن مقامعها حديد.[١]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الحاقة : ٣٠ -٣٢)

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا : تدخل في استه ثم تخرج من فيه ، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى.[٢]

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾ (الإنسان : ٤). ومعنى ﴿ أَعۡتَدۡنَا ﴾ : أرصدنا وهيأنا.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ (سبإ : ٣٣) .

عاشرًا: عظم أهلها وبشاعة منظرهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠٤].

---

(١) الترمذي ج٣(٢٦) بتحقيق الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٢) تفسير ابن كثير ج٤(٤١٦ -٤١٧).

ومعنى ﴿ كَـٰلِحُونَ ﴾: أي عابسون.

أي: قد عبست وجوههم وتقلصت شفاههم من شدة العذاب ، حتى إن الكافر يتقي العذاب بوجهه كما قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّـٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الزمر: ٢٤].

وفي الصحيحين[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**» .

وفي صحيح مسلم[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : «**ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث**» .

وعند الترمذي[٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ ، قال: «**إن غلظ جلد الكافر اثنتان وأربعون ذراعًا، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة**» .

اللهم نجنا من النار وأعذنا من دار الخزي والبوار ، وأسكنا برحمتك دار المتقين الأبرار، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم أعز الإسلام وانصر المسلمين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين .

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وأقم الصلاة، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) البخاري برقم (٦٥٥١) ومسلم برقم (٢٨٥٢).
(٢) مسلم برقم (٢٨٥١).
(٣) الترمذي برقم (٢٥٧٧) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .



٣٨ الجنة ونعيمها (١)

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون: عباد الله حديثنا معكم بمشيئة الله عَزَّوَجَلَّ في هذه الجمعة المباركة عن الجنة ونعيمها.

إخوة الإيمان: الجنة هي دار المتقين الأبرار الطيبين الأخيار.

الجنة هي دار المطيعين للعزيز الغفار ، تلك الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، واقرءوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة :١٧].

عباد الله : قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر :٧٣].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل :٣١-٣٢].

قال الإمام السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في تفسيره [١]: طيبين أي طاهرين مطهرين من كل نقص ودنس يتطرق إليهم ويخل في إيمانهم .

فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبته ، وألسنتهم بذكره والثناء عليه ، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه.

الجنة : هي دار الصالحين من الآباء والأزواج والذرية ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الرعد :٢٣-٢٤].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله : «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم** » ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٣(٦٦).

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ السجدة :١٧].[1]

فاسلك طريق المتقين وظن خيرًا بالكريم
واذكر وقوفك خائفًا والناس في أمر عظيم
إما إلى دار الشقاوة أو إلى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد وتب إلى الرب الرحيم

معاشر المسلمين: إنها الجنة دار السلام كما قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام :١٢٦].

فالله سمى الجنة دار السلام، لسلامتها من جميع الآفات والنقائص، وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه وحسنه من كل وجه،ولأن أهلها يسلمون من العذاب كما قال الله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾ [ق :٣٤].

والملائكة تسلم عليهم كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد :٢٤]. يسلم عليهم من فوقهم كما قال ، ويسلم بعضهم على بعض كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة :٢٥ -٢٦].

بل إن الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يسلم عليهم من فوقهم : ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس : ٥٨].

إنها الجنة جنة المأوى، لأنها مأوى عباد الله الصالحين ، وتأوي إليها أرواح الشهداء وجبريل والملائكة والمؤمنون قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[النازعات:٤٠ -٤١].

(١) البخاري برقم (٤٧٨٠) ومسلم برقم (٢٨٢٤).

وقال تعالى: ﴿ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ [النجم :١٥].

وقال تعالى: ﴿ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة :١٩].

إنها الجنة جنة عدن كما قال تعالى: ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ [مريم :٦١].

وقال تعالى: ﴿ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[الصف :١٢].

وسميت بذلك من الإقامة والدوام والتوطن فيها.

إنها الجنة جنة الفردوس ، قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المؤمنون :١٠ -١١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الكهف :١٠٧ -١٠٨].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: فجنة الفردوس نزل، وضيافة لأهل الإيمان والعمل الصالح،وأي: ضيافة أجل وأكبر، وأعظم من هذه الضيافة، المحتوية على كل نعيم، للقلوب، والأرواح، والأبدان، وفيها ما تشتهيه الأنفس. وتلذ الأعين، من المنازل الأنيقة، والرياض الناضرة، والأشجار المثمرة،. والطيور المغردة المشجية، والمآكل اللذيذة، والمشارب الشهية، والنساء الحسان، والخدم، والولدان، والأنهار السارحة، والمناظر الرائقة، والجمال الحسي والمعنوي، والنعمة الدائمة، وأعلى ذلك وأفضله وأجله، التنعم بالقرب من الرحمن ونيل رضاه، الذي هو أكبر نعيم الجنان،

(١) تيسير الكريم الرحمن ج٣(٢٠٩ -٢١٠).

والتمتع برؤية وجهه الكريم، وسماع كلام الرؤوف الرحيم، فلله تلك الضيافة، ما أجلها وأجملها، وأدومها وأكملها»، وهي أعظم من أن يحيط بها وصف أحد من الخلائق، أو تخطر على القلوب، فلو علم العباد بعض ذلك النعيم علماً حقيقياً يصل إلى قلوبهم، لطارت إليها قلوبهم بالأشواق، ولتقطعت أرواحهم من ألم الفراق، ولساروا إليها زرافات ووحداناً ولم يؤثروا عليها دنيا فانية، ولذات منغصة متلاشية، ولم يفوتوا أوقاتًا تذهب ضائعة خاسرة، يقابل كل لحظة منها من النعيم من الحقب آلاف مؤلفة، ولكن الغفلة شملت، والإيمان ضعف، والعلم قل، والإرادة وهت فكان ما كان، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وأسماء الجنة كثيرة معلومة.

أيها المؤمنون: إنها الجنة التي غرسها الله بيده روى مسلم في صحيحه[١] عن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إن رسول الله ﷺ قال: «سأل موسى ربه، ما أدنى أهل الجنة منزلة، قال: هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم[٢]، فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، قال: رب، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت[٣] غرست[٤] كرامتهم بيدي،

---

(١) مسلم برقم (١٨٩).
(٢) قال القاضي عياض هو ما أخذوه من كرامة مولاهم وحصلوه.
(٣) أردت: اخترت واصطفيت.
(٤) غرست: اصطفيتهم وتوليتهم فلا يتطرق إلى كرامتهم تغيير.

وختمت عليها، فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر »، قال: ومصداقه [١] في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة :١٧] .

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**خلق الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أربعة أشياء بيده ، العرش وجنات عدن وآدم والقلم**» [٢] .

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : [٣]

سبحان من غرست يداه جنة الـ ـفردوس عند تكـامل البنيان

ويـــداه أيـضًـا أتقنت لبنائها فتبـارك الرحمن أعظـم بان

عباد الله : الجنة هي سلعة الله الغالية ، ففي مستدرك الحاكم[٤] عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية ، ألا إن سلعة الله الجنة** » .

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : [٥]

يا سلعة الرحمن لست رخيصة بـل أنـت غالية عـلى الكسلان

يـا سلعة الـرحمـن ليس ينالها في الألـف إلا واحـد لا اثنان

يـا سلعة الـرحمـن مـاذا كفؤها إلا أولـو الـتقـوى مـع الإيـمان

---

(١) مصداقه: دليله وما يصدقه.
(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ج٢(١٢٦) برقم (٦٩٣) وإسناده صحيح ، بتحقيق عبد الله الحاشدي.
(٣) شرح النونية للشيخ هراس ج٢(٣٩٥).
(٤) مستدرك الحاكم ج٤(٣٠٨) وهو حسن.
(٥) شرح النونية للشيخ هراس ج٢(٤٤١).

يا سلعة الرحمن سوقك كاسد بين الأراذل سفلة الحيوان
يا سلعة الرحمن أين المشتري فلقد عرضت بأيسر الأثمان
يا سلعة الرحمن هل من خاطب فالمهر قبل الموت ذو إمكان
يا سلعة الرحمن كيف تصبر الـ ـخطاب عنك وهم ذوو إيمان

إخوة الإيمان : قد دعا الله عباده المؤمنين إلى الجنة والمغفرة فأين المسابقون إلى الجنات؟ وأين المسارعون إلى فعل الطاعات والخيرات؟ .

يقول رب الأرض والسماوات في كتابه الكريم : ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة : ٢٢١].

ويقول جَلَّجَلَالُهُ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس : ٢٥].

فالله يذكر الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ، ثم يدعو عباده إلى الجنة والمغفرة ويرغبهم في الجنة ، ويلفت أنظارهم إليها ، لذلك لا تجد – يا أخا الإيمان – غالبًا آية تذم الدنيا إلا يأتي المدح بعدها للآخرة ، وهذا كثير في القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٢٤].

ثم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ .

ويقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد :٢٤].

وبعد هذا التحقير لهذه الدنيا ووصفها بما سمعتم ، دعا عباده إلى المسابقة إلى الجنة والمغفرة ، فقال عز شأنه: ﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحديد :٢١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعلى :١٦ -١٧].

فالدنيا دنية فانية،والآخرة شريفة باقية، فكيف يؤثر عاقل ما يفنى على ما يبقى؟، هذا والله لا يفعله عاقل.

وصدق من قال :

ولا خير في الدنيا لمن يكن لـه ... مـن الله في دار المـقـام نصيب

فإن تعجب الدنيا رجـالاً فإنها ... مـتـاع فليلٌ والـــزوال قـريب

اللهم يا من منحت الأصفياء منازل الحق ، ومدى الغايات ، اجعلنا من أهل الجنة .

اللهم يا واهب المواهب ، ومجزل الرغائب ، أمنن علينا بدخول الجنة.

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ، ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخُطْبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله جعل جنة الفردوس لعباده نولًا ، ويسر المكلفين للأعمال، وهداهم النجدين ليبلوهم أيهم أحسن عملًا ، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وأصحابه ، وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

أما بعد :

فيا أيها المؤمنون : من دخل الجنة ينعم ولا يبأس ، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، فيها النعيم المقيم والملك الكبير ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين يقول تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [التوبة : ٢٠ – ٢٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الصافات : ٦٠ – ٦١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المطففين : ٢٢ – ٢٨].

وقال جلت عظمته: ﴿ يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ

وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الزخرف :٦٨ -٧٣].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الدخان :٥١ -٥٧].

وروى مسلم في صحيحه[١] عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: « **ينادي مناد: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا** » فذلك قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الأعراف :٤٣] .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ ، قال: «**من يدخل الجنة ينعم لا يبأس**[٢]**، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**» رواه مسلم[٣] .

أيها المؤمنون : لقد كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم يتسابقون إلى الجنة ، ويسارعون إليها أشد المسارعة .

(١) مسلم برقم (٢٨٣٧)
(٢) ولا ييأس : أي يصيبكم بأس ، وهو شدة الحال.
(٣) مسلم برقم (٢٨٣٦).

وهذه بعض الأمثلة التي تدل على مدى حبهم للجنة ، واشتياقهم لها:

فهذا أنس بن النظر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ روى الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه[١] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: «يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع»، فلما كان يوم أحد، وانكشف المسلمون، قال: «**اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، - يعني المشركين - ثم تقدم**»، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: «يا سعد بن مُعاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أحد»، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح، أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مَثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه .

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿ **مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا** ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وهذا عُمير بن الحمام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا من المسابقين فقد روى مسلم في صحيحه [٢] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**»، قال: - يقول عُمير بن الحمام الأنصاري: - يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض؟ قال: «نعم»، قال: بخ بخ، فقال رسول الله ﷺ : «**ما يحملك على قولك بخ بخ؟**» قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء ة أن أكون من أهلها، قال:

(١) البخاري برقم (٢٨٠٥) وأخرج مسلم الجزء الأخير منه برقم (١٦٧٥).
(٢) مسلم برقم (١٩٠١).

«**فإنك من أهلها**»، فأخرج تمرات من قرنه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » .

وهذا جعفر الطيار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جعل يرتجز ويقول في مؤته شوقًا إلى الجنة.

يا حبذا الجنة واقترابها   طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها   كافرة بعيدة أنسابها

علي إذ لاقيتها ضرابها

وهذا أيضًا عمرو بن الجموح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المسابقين إلى الجنة ففي مُسند الإمام أحمد [١] عن أبي قتادة أنه حضر ذلك قال: أتى عمرو بن الجموح إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن قاتلت في سبيل الله حتى أقتل أمشي برجلي هذه صحيحة في الجنة؟، وكانت رجله عرجاء، فقال رسول الله ﷺ : «نعم» . فقتلوه يوم أحد هو وابن أخيه ومولى لهم، فمر عليه رسول الله ﷺ فقال: «كأني أنظر إليك تمشي برجلك هذه صحيحة في الجنة» . فأمر رسول الله ﷺ بهما وبمولاهما فجعلوا في قبر واحد.

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقول: « لما طعن حرام بن ملحان وكان في غزوة ذي قرد وكان خال أنس يوم بئر معونة، قال: بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة » رواه البخاري [٢] .

وهذا الأخرم الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين

(١) أحمد برقم (٢٢٥٥٣) وسنده حسن.
(٢) البخاري برقم (٤٠٩٢).

الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله. رواه مسلم[1]

أولـئـك أبـائـي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يـا جـريـر المجامع

وقال آخر:

كـــرر عــلـيَّ حديثهم يـا حــادي فحديثهم يُجـلي الفؤاد الصادي

وقال آخر:

سـلام من الرحمن نحو جنابهم فــإن سـلامـي لا يليق ببابهم

هكذا الصحابة منحهم الله التوفيق والهداية والشوق العظيم إلى الجنة، فبذلوا أرواحهم في سبيل نصرة هذا الدين ، وضحوا بكل غالٍ ونفيس من أجل الوصول إلى الجنة ، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وهذا كثير بن مرة ذكروا عنه أنه قال : إن من المزيد في الجنة أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ، ماذا تريدون أن أُمطر كم؟ فلا يتمنون شيئاً إلا أمطروا.

قال كثير : لئن الله أشهدني ذلك لأ قولن أمطرنا جواري مزينات.[2]

قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه السحابة:[3]

ويظلهم إذ ذاك منه سحابة تـــأتي بـمـثـل الــوابـل الهــتـان

---

(١) مسلم برقم (١٨٠٧).
(٢) صلاح الأمة للعفاني ج٥(٦٩٠).
(٣) شرح النونية للشيخ هراس ج٢(٤٢٧).

بينا هـم في الـنـور إذ غشيتهم	سبحان منشيها من الرضوان
فتظل تمطر هم بطيب ما رأوا	شبهاً لـه في سـالـف الأزمـان
فيزيدهم هـذا جمـالًا فـوق ما	لهـم وتـلـك مــواهـب المنـان

فيا أخي المسلم، احذر أن تقدم على جنة عرضها السماوات والأرض وليس فيها موضع قدم.

وقد أحسن من قال:

وجنات عدن زخـرفت ثم أزلفـت	لقوم على التقوى دوامـاً تبتلوا
بها كل ما تهوى النفوس وتشتهي	وقــرة عـين لـيـس عنها تحـول

نسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من أهل جنات النعيم ، اللهم نجنا من النار وأعذنا من دار الخزي والبوار ، وأسكنا برحمتك دار المتقين الأبرار، اللهم ارزقنا الخلد في جنانك وأحل علينا فيها رضوانك ، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، من غير ضراء مُضرة ولا فتنة مُضلة.

والحمد لله رب العالمين .





٣٩ الجنة ونعيمها (٢)

الخُطْبَةُ الأُوْلَى[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمالنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كِتَابُ اللهِ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المؤمنون : عباد الله حديثنا معكم في هذه الجمعة المباركة بمشيئة الله وتوفيقه عن وصف الجنة ، التي أعدها الله لعباده المؤمنين ، وإن الحديث عن الجنة لشيق ومحبوب إلى النفوس المؤمنة وكيف لا يكون شيقًا ، وهم يسمعون الحديث عن جنة عرضها السماوات والأرض ، يسمعون الحديث

عن الجنة التي هي دار كرامة الله ورحمته.

عباد الله : لقد دعا الله عباده إلى الجنة والمغفرة.

فقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [البقرة :٢٢١].

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس :٢٥].

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(١)]: فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران وإن سلالت عن سقفها فهو عرش الرحمن وإن سألت عن ملاطها فهو المسك الأذفر ، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وإن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة لا من الحطب والخشب ، وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل وإن سألت عن أنهارها ﴿ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد :١٥]

وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فانية الذهب والفضة في صفاء القوارير ، وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام ، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب

---
(١) حادي الأرواح ص(٢٠٢) وما بعدها بتصرف.

لمن يسمعها وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة الفي عام وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلًا من تلك الخيام ، وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب فما لها من فروج ولا خلال وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ أبي البشر، وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين وأعلى منهما خطاب رب العالمين وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء الله مما شاء يسير بهم حيث شاؤوا من الجنان وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون....».

إخوة الإيمان : إن نعيم الجنة فوق ما نصفه وأعظم مما نتصوره ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ [السجدة :١٦ – ١٧].

روى البخاري ومسلم[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم** » ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة :١٧].

وروى البخاري في صحيه [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لقاب قوس في الجنة، خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب**» .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن النبي ﷺ : قال «لروحة في سبيل الله، أو غدوة، خير من الدنيا وما فيها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة، أو موضع قيد - يعني سوطه - خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأته ريحاً ، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[٣]

وفي مُسند الإمام أحمد والترمذي في سُننه[٤] عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**لو أن ما يقل ظفر مما في الجنة بدا، لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوؤه ضوء الشمس، كما تطمس الشمس ضوء النجوم**» .

ومعنى بدا: أي ظهر.

وتزخرفت: أي تزينت .

وسواره: أي الحلي.

---

(١) البخاري برقم (٤٧٨٠) ومسلم برقم (٢٨٢٤).
(٢) البخاري برقم (٢٧٩٣) .
(٣) البخاري برقم (٦٥٦٨) .
(٤) أحمد برقم (١٤٤٩) والترمذي برقم (٢٥٣٨) وصححه العلامة الألباني .

وطمس: أي محا.

أمة الإسلام: الجنة واسعة جدًا قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ رَأَيۡتَ نَعِيمٗا وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠].

وأول من يدخل الجنة من البشر هو محمد رسول الله ﷺ روى مسلم في صحيحه[١] عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة**».

وفي صحيح مسلم أيضًا [٢] عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**».

وأمته المرحومة تدخل الجنة بعده، ففي صحيح مسلم أيضًا [٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة».

صفة من يدخلون الجنة وماذا أعد الله لهم فيها:

عباد الله: روى البخاري ومسلم [٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال

(١) مسلم برقم (١٩٦).
(٢) مسلم برقم (١٩٧).
(٣) مسلم برقم (٨٥٥).
(٤) البخاري برقم (٣٣٢٧) ومسلم برقم (٢٨٣٤).

رسول الله ﷺ : «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوطون، ولا يتفلون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة ، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء**» .

وفي رواية للبخاري وغيره[١] «**آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًا**» .

وفي صحيح البخاري[٢] عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ ، قال: «**ليدخلن من أمتي سبعون ألفًا، أو سبع مائة ألف، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**» .

وفي الصحيحين[٣] عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه، ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر، فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**» ، ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ .

(١) البخاري برقم (٣٢٤٦) .
(٢) البخاري برقم (٣٢٤٧) .
(٣) البخاري برقم (٥٧٠٥) ومسلم برقم (٢٢٠) وهذا لفظ مسلم .

وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: «**ما الذي تخوضون فيه؟**» فأخبروه، فقال: «**هم الذين لا يرقون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**»، فقام عكاشة بن محصن، فقال: « ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أنت منهم؟**» ثم قام رجل آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**» .

وعند أحمد في مُسنده والترمذي في سُننه[1] عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب، ولا عذاب مع كل ألف سبعون ألفًا وثلاث حثيات من حثيات ربي**» .

وعن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين أبناء ثلاثين أو ثلاث وثلاثين سَنة** »[2].

ومعنى جردًا: ليس على أبدانهم شعر.

ومردًا: ليس لهم لحى.

أما أبواب الجنة وسعتها:

أما أبواب الجنة ، فهي ثمانية قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ [الزمر :٥٣].

وقال تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴾ [ص :٥٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ

(١) أحمد برقم (٢٢٣٠٣) والترمذي برقم (٢٤٣٧) صححه الألباني رحمه الله.
(٢) أحمد برقم (٢٢١٠٦) والترمذي برقم (٢٥٤٥) وحسنه العلامة الألباني.



﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد الآية ٢٣].

وعن عتبة بن عبيد وعاصم بن لقيط رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله ﷺ: «**الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب**»(١).

وفي الصحيحين(٢) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون»

وفي الصحيحين (٣) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**»، فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، قال: «**نعم وأرجو أن تكون منهم**».

وفي صحيح مسلم (٤) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ - الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**».

زاد الترمذي (٥) «**اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين**».

---

(١) أحمد برقم (١٧٦٥٧) الصحيحة برقم (١٨١٢).
(٢) البخاري برقم (٣٢٥٧) ومسلم برقم (١١٥٢).
(٣) البخاري برقم (١٨٩٧) ومسلم برقم (١٠٢٧).
(٤) مسلم برقم (٢٣٤).
(٥) الترمذي برقم (٥٥) وصححه العلامة الألباني.

وتلك الأبواب في غاية الوسع والكبر ، ففي صحيح مسلم [١] عن عتبة بن غزوان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **لقد ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة، وليأتين عليها يوم وهو كظيظ من الزحام** » ومعنى كظيظ : أي : ممتلئ.

وفي مُسند الإمام أحمد[٢] عن معاوية بن حيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم آخرها، وأكرمها على الله، وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عامًا، وليأتين عليه يوم وإنه لكظيظ من الزحام**» .

إخوة الإيمان : هل بعد هذه الأحاديث التي سمعناها نبقى غافلين عن هذا النعيم ونظل بعد الدنيا مسارعين؟ يا سبحان الله ما أعظم تفريطنا!!

إخوة الإسلام ، إنه الزحام على الفردوس ، إنه الزحام على جنة المأوى، إنه الزحام على جنة الخلد ، إنه الزحام على جنة النعيم المقيم ، إنه الزحام على جنة دار السلام ، إنه الزحام على جنة النعيم التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

معاشر المؤمنين : لعل هذا الحديث يكون دافعاً لنا لمرضاة رب العالمين لنفوز بالنعيم المقيم ، وننعم بجوار رب العالمين.

قال الشاعر رَحِمَهُ اللَّهُ :

واعمل لدار غدٍ رضوان خازنها ... والجار أحمد والرحمن بانيها
قصورها ذهب والمسك طينتها ... والزعفران حشيش نابت فيها

---

(١) مسلم برقم (٢٩٦٧).
(٢) أحمد برقم (٢٠٠٢٥) قال شيخنا الوادعي : حديث صحيح الجامع ج١(٤٦٦).

أنهــارهــا لبن صفي مــن عسل ... والخمر يجري رحيقًا في مجاريها

والطير تجري على الأغصان عاكفة ... تسبح الله جــهــرًا في معانيها

من يشتري الدار في الفردوس يعمرها ... بركعة في ظـلام الليل يخفيها

أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.



الخُطبَةُ الثَّانِيَة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فيا أيها المؤمنون: إن الحديث عن الجنة طويل، ولكن كما يقال يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق.

أيها المسلمون، أما بناء الجنة وتربتها وحصباؤها:

ففي مُسند أحمد [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلنا يا رسول الله، إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد قال: «**لو تكونون – أو قال: لو أنكم تكونون – على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي، لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا، لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر لهم**» قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «**لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها -: أي طينها- المسك الأذفر -: أي الذي اشدت رائحته-، وحصباؤها-أي الحصى الصغيرة- اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**».

وعن أنس بن مالك وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قصة الإسراء والمعراج: «**ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ- القباب والخيام-، وإذا ترابها المسك**» [٢].

---

(١) أحمد برقم (٢٠٠٢٥) وصححه شيخنا الوادعي في الجامع.
(٢) البخاري برقم (٣٤٩) ومسلم برقم (١٦٣).

وفي رواية «**ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»[(١)].

ومعنى حبائل اللؤلؤ : القلائد والعقود من اللؤلؤ .

وعن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن ابن صياد، سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: «**در مكة بيضاء مسك خالص**» [(٢)].

والمعنى : في البياض در مكة والدر مك ، الدقيق الخالص البياض.

وفي الطيب : مسك خالص.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : «**أرض الجنة خبزة بيضاء**» [(٣)].

ويشهد لهذا الحديث ، حديث أبي سعيد مرفوعًا « **تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة نزلًا لأهل الجنة**» [(٤)].

وأما درجات الجنة وتفاوت أهلها:

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴾ [طه :٧٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء :٢١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ

(١) شرح السُّنَّة للبغوي ج١٣ (٣٤٧).
(٢) مسلم برقم (٢٩٢٨) .
(٣) رواه أبو الشيخ في العظمة وخرجه الألباني في الصحيحة برقم (١٤٣٨) .
(٤) البخاري برقم (٦٥٢٠) .

﴿دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾[النساء: ٩٥-٩٦].

روى البخاري في صحيحه[1] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: **«من آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله، أو جلس في أرضه التي ولد فيها»، قالوا: يا رسول الله، أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: «إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»** .

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ، فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء، قال: **«يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»** [2] .

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ، وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها »** [3] .

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: **«إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق،**

(١) البخاري برقم (٧٤٢٣).
(٢) البخاري برقم (٢٨٠٩).
(٣) الترمذي برقم (٢٩١٤) الصحيحة برقم (٢٢٤٠).

من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[(١)].

أشجار الجنة وثمارها: أشجار الجنة كثيرة ومتنوعة ، فهناك أشجار العنب والنخل والرمان والسدر والطلح ، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [النبأ :٣١ -٣٢].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴾ [الرحمن :٦٨] .

وقال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الواقعة :٢٧ -٣٤].

﴿ سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴾: أي لا شوك فيه.

﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾: أي متراكم بعضه فوق بعض.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴾[الكهف :٥١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴾ [الواقعة :٢٠].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المرسلات :٤١ -٤٤].

بل أشجار الجنة دائمة العطاء والظلال كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴾ [الرعد :٣٥] .

---

(١) البخاري برقم (٣٢٥٦) ومسلم برقم (٢٨٣١).

وأشجار الجنة ذات فروع وأغصان باسقة نامية قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ﴾[الرحمن : ٤٦ -٤٨] .

وفي الصحيحين [١] عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة، يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها» أي يسير في ظلها كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] .

وثبت عند ابن حبان وغيره [٣] ، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**طوبى شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها**» .

وفي الترمذي [٤]عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب**» .

قصورها وغرفها وخيامها:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ الصَّـٰلِحَـٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ الْعَـٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [العنكبوت :٥٨-٥٩].

وقال تعالى: ﴿ لَـٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾ [الزمر :٢٠].

وقال تعالى: ﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى الْخِيَامِ ﴾ [الرحمن :٧٢].

(١) البخاري برقم (٦٥٥٣) ومسلم برقم (٢٨٢٨).
(٢) البخاري برقم (٣٢٥٢) ومسلم برقم (٢٨٢٧).
(٣) ابن حبان برقم (٧٤١٣) الصحيحة برقم (١٩٨٥).
(٤) الترمذي برقم (٢٥٢٥) وقال الألباني رحمه الله صحيح.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : « **بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر ابن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبراً فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله** » (١) .

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: « **إن أهل الجنة ليتراءون الغرف في الجنة، كما تتراءون الكوكب في السماء** » (٢) .

وعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال النبي ﷺ : « **إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا** »(٣) .

وفي لفظ « **في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة، عرضها ستون ميلًا، في كل زاوية منها أهل، ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمن** » (٤) .

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : الميل ستة آلاف ذراع(٥) .

نور الجنة : ليس في الجنة ليل ولا نهار إنما هو نور دائم أبدًا ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، ولكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش. (٦) والله أعلم.

ريح الجنة: قال ﷺ :« **وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » (٧) .

---

(١) البخاري برقم (٣٢٤٢) .
(٢) البخاري برقم (٤٨٧٩) ومسلم برقم (٢٨٣٠).
(٣) البخاري برقم (٣٢٤٣) ومسلم برقم (٢٨٣٨).
(٤) البخاري برقم (٣٢٤٣) ومسلم برقم (٢٨٣٨).
(٥) رياض الصالحين ص(٥٥٦) بتحقيق الشيخ شعيب رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٦) الفتاوى ج٤(٣١٢).
(٧) مسلم برقم (٢١٢٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقال عليه الصلاة والسلام «من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا»[١].

وقال ﷺ: «**وإن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين عامًا**» [٢].

الأولاد في الجنة: ففي جامع الترمذي[٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي**».

أنهار الجنة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٥].

عباد الله: هذه بعض أخبار الله وأخبار رسوله ﷺ عن الجنة، ونعيمها، فهل من مشمر للجنة؟ وهل من طالب للفردوس.

نسأل الله الرؤوف الرحيم ذا الفضل العظيم ألَّا يحرمنا رؤية وجهه الكريم، ولا المقام في جنات النعيم، وأن يجعلنا من عباده المتقين، ربنا توفنا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، واجعلنا من ورثة جنة النعيم.

والحمد لله رب العالمين.



---

(١) البخاري برقم (٣١٦٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(٢) أحمد برقم (١٨٠٧٢) وانظر صحيح الجامع برقم (٦٤٤٨).
(٣) الترمذي برقم (٢٥٦٣)، وصححه العلامة الألباني.

٤٠ ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾

الخُطْبَةُ الأُولَىٰ:

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمدُهُ وَنَسْتَعيْنُهُ وَنَسْتَغْفرُهُ،وَنَعُوذُ بالله منْ شُرُور أَنْفُسنَا وَمنْ سَيِّئَات أَعْمَالنَا،مَنْ يَهْده اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلل فَلا هَاديَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَريْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَديث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها المسلمون : لقد رغب الله العباد وحثهم على فعل الطاعات وترك المحرمات ، بل وأمرهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بالمسارعة ، والمسابقة إلى الجنات العلى، فقال رب الأرض والسماء: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ

﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران :١٣٣].

وقال جلت عظمته في كتابه الكريم: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الحديد :٢١].

وثبت في البخاري ومسلم [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالوا: ذهب أهل الدثور -المال الكثير- بالدرجات العلى، والنعيم المقيم، فقال: «**وما ذاك؟**» قالوا: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون ولا نتصدق، ويعتقون ولا نعتق،فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أفلا أعلمكم شيئًا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم**» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «**تسبحون، وتكبرون، وتحمدون، دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين مرة**».

زاد مسلم في روايته: «فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**» .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة.

وقال وهيب بن الورد -رحمه الله تعالى- : إن استطعت أن لا يسبقك أحد إلى الجنة فافعل.

ولقد أخبرنا ربنا جل جلاله وتقدست أسماؤه عن أهل الجنة أنهم يقولون : ﴿أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١﴾[الصافات : ٥٨ -٦١].

(١) البخاري برقم (٦٣٢٩) ومسلم برقم (٥٩٥).

قال الإمام ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[١] : معناه لمثل هذا النعيم والفوز فليعمل العاملون في الدنيا ليصير إليه في الآخرة .

وقال تعالى: ﴿ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾[المطففين: ٢٦].

قال عبيد بن عمير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيهم – يعني السلف الصالح[٢] .

وقال بلال بن سعد رَحِمَهُ ٱللَّهُ : زاهدكم راغب ، ومجتهد كم مقصر، وعالمكم جاهل ، وجاهلكم مغتر.[٣]

وقال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : كان في التابعيين ثلاثين لو قيل لأحدهم أن القيامة ستقوم غداً لما استطاع أن يزيد شيئاً .

أيها المؤمنون : هذه أمثلة أضعها بين أيديكم ما كان عليه الصحابة من السباق إلى الجنة والمنافسة فيها فهذا أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لقد كان من السابقين إلى الخيرات المسارعين إلى الأعمال الصالحات رجاء الجنات ، روى الإمام مسلم في صحيحه[٤] عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ : «**من أصبح منكم اليوم صائمًا؟**» قال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا، قال: «**فمن تبع منكم اليوم جنازة؟**» قال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكينًا؟**» قال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا، قال: «**فمن عاد منكم اليوم مريضًا؟**» قال أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنا، فقال رسول الله ﷺ : «**ما اجتمعن في امرئ، إلا دخل الجنة**» .

---

(١) تفسير ابن جرير ج٩ (٥٥١).
(٢) الزهد لابن المبارك برقم (١٦٨).
(٣) الزهد لابن المبارك برقم (١٦٩).
(٤) مسلم برقم (١٠٢٨).

بل قد بشره رسول الله ﷺ بالدخول من أبواب الجنة الثمانية ففي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: « **من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة** »، **فقال أبو بكر** رضي الله عنه: **بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها، قال: «نعم وأرجو أن تكون منهم»** .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :قال العلماء الرجاء من الله،ومن نبيه واقع. [٢]

وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحط رحله في الجنة منذ وقت طويل وما زال على ظهر الأرض فقد بشره رسول الله ﷺ بقصر في الجنة ، ففي البخاري ومسلم [٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ : **«بينا أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب فذكرت غيرته فوليت مدبرًا، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله»** .

وهذا بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه الذي هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه ، ففي الصحيحين [٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لبلال: **«عند صلاة الفجر يا بلال حدثني بأرجى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت دف نعليك : ومعنى دف نعليك - أي حركة نعليك- بين يدي في الجنة»** قال: ما عملت عملًا أرجى عندي: أني لم أتطهر طهورًا، في ساعة

(١) البخاري برقم (١٨٩٧) ومسلم برقم (١٠٢٧).
(٢) الفتح ج٧(٣٨١).
(٣) البخاري برقم (٣٦٨٠) ومسلم برقم (٢٣٩٥).
(٤) البخاري برقم (١١٤٩) ومسلم برقم (٢٤٥٨).

ليل أو نهار، إلا صليت بذلك الطهور ما كتب لي أن أصلي .

وفي مُسند الإمام أحمد [١] عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بلالًا فقال: « **يا بلال بم سبقتني إلى الجنة؟ ما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، إني دخلت البارحة الجنة فسمعت خشخشتك، فأتيت على قصر من ذهب مرتفع مشرف فقلت: لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من العرب. قلت: أنا عربي، لمن هذا القصر؟ قالوا: لرجل من المسلمين من أمة محمد. قلت: فأنا محمد، لمن هذا القصر؟ قالوا: لعمر بن الخطاب** » .

فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لولا غيرتك يا عمر لدخلت القصر**» . فقال: يا رسول الله، ما كنت لأغار عليك. قال: وقال لبلال: «**بم سبقتني إلى الجنة؟**» **قال: ما أحدثت إلا توضأت وصليت ركعتين. فقال رسول الله** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بهذا**» .

أولئك أبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وهذا عثمان بن عفان: أمير المؤمنين الخليفة الراشد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

قال أبو عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ اللَّهُ : أن عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حوصر أشرف عليهم وقال: أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألستم تعلمون أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «من حفر رومة فله الجنة»؟ فحفرتها، ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة فله الجنة**»؟ **فجهزتهم، قال: فصدقوه بما قال** » [٢] .

انظر يا أخا الإيمان والإسلام كيف يشتري عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بئر رومة

---

(١) أحمد برقم (٢٣٠٤٠) صحيح لغيره ، والترمذي برقم (٣٦٨٩) .
(٢) البخاري برقم (٢٧٧٨) .

من اليهود ويجعلها وقفًا للغني والفقير وابن السبيل من أجل دخول الجنة، ويأتي بألف دينار وينثرها في حجر رسول الله ﷺ حين جهز جيش العسرة، حتى قال عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فرأيت رسول الله ﷺ يقلبها في حجره ، ويقول: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين**» [(١)] .

لماذا هذا كله؟! إنه من أجل دخول الجنة ، وصدق من قال فيهم:

حلف الـزمـان ليأتين بمثلهم حنثت يمينك يـا زمـان فكفر

وهذا عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ففي مُسند الإمام أحمد[(٢)] عن عبد الله أن النبي ﷺ أتاه بين أبي بكر، وعمر، وعبد الله يصلي، فافتتح النساء فسحلها، فقال النبي ﷺ : «**من أحب أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل، فليقرأه على قراءة ابن أُم عبد**» ، ثم تقدم يسأل، فجعل النبي ﷺ يقول: «**سل تعطه، سل تعطه، سل تعطه**» ، فقال: فيما سأل اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنة الخلد. قال: فأتى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبد الله ليبشره، فوجد أبا بكر رضوان الله عليه قد سبقه، فقال: إن فعلت، لقد كنت سباقًا بالخير» .

وهذا حارثة بن النعمان يطلب الجنة بالبر رضوان الله عليه:

ففي مُسند الإمام أحمد [(٣)] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله ﷺ : « **نمت، فرأيتني في الجنة، فسمعت صوت قارئ يقرأ، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا حارثة بن النعمان ، فقال رسول الله** ﷺ : «**كذلك البر، كذلك البر**» وكان أبر الناس بأمه.

---

(١) الترمذي برقم (٣٧٠١) وحسنه الألباني المشكاة برقم (٦٠٧٣).
(٢) أحمد برقم (٤٢٥٥) وحسنه شيخنا العلامة الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ في الجامع ج٤(٧٣).
(٣) أحمد برقم (٤٢٥٥) الصحيحة للألباني رحمه الله برقم (٩١٣)

الله أكبر ،ما أعظم إيمانهم! وما أحسن الحديث عنهم!! .

كــرر عــليَّ حديثهم يــا حــادي فحديثهم يجلي الفؤاد الصادي

وهذا حرام بن ملحان خال أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ففي صحيح البخاري [(١)]: « لما طعن حرام بن ملحان، وكان خاله يوم بئر معونة، قال: بالدم هكذا فنضحه على وجهه ورأسه، ثم قال: فزت ورب الكعبة» .

وهذا الأخرم الأسدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول كما في صحيح مسلم [(٢)]: يا سلمة، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر، وتعلم أن الجنة حق، والنار حق، فلا تحل بيني وبين الشهادة، قال: فخليته، فالتقى هو وعبد الرحمن، قال: فعقر بعبد الرحمن فرسه، وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه ولحق أبو قتادة فارس رسول الله ﷺ بعبد الرحمن، فطعنه فقتله» .

وهذا أبو الدحداح يبيع حائطه بنخلة في الجنة ففي مُسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان ومعجم الطبراني الكبير[(٣)] عن أنس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها فأمره أن يعطيني إياها حتى أقيم بها حائطي فقال رسول الله ﷺ : «**أعطها إياه بنخلة في الجنة**» فأبى فأتى أبو الدحداح الرجل، فقال: بعني نخلتك بحائطي، ففعل، فأتى أبو الدحداح فقال: يا رسول الله «إني قد ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له وقد أعطيتكها» فقال رسول الله ﷺ: «**كم من عذق رداح لأبي الدحداح مرارا**» ، فأتى أبو الدحداح امرأته، فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط ، فقد بعته بنخلة في الجنة، فقالت: ربح البيع أو كلمة تشبهها.

---

(١) البخاري برقم (٤٠٩٢).

(٢) مسلم برقم (١٨٠٧).

(٣) أحمد برقم (١٢٤٨٢) وابن حبان برقم (٧١٥٩) الطبراني في الكبير برقم (٧٦٣) وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ الجامع ج٤(١٠٩).

وقوله : دواح : أي عظيم شديد العلو وكل شجرة عظيمة دوحة.

وهذا الرجل لما منع إعطاء النخلة لم يكن عاصيًا للرسول ﷺ لأن قوله: «**أعطها إياه**» من باب الشفاعة لا من باب الأمر والله أعلم .

معاشر المسلمين : وهكذا حب الجنة والمسارعة إليها لم يكن من الرجال فحسب، بل حتى في جانب النساء فهذه امرأة من الأنصار تصبر على الآلام والأسقام والأمراض من أجل الجنة، ففي الأدب المفرد للإمام البخاري(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت الحمى إلى النبي ﷺ فقالت: ابعثني إلى آثر أهلك عندك، فبعثها إلى الأنصار، فبقيت عليهم ستة أيام ولياليهن، فاشتد ذلك عليهم، فأتاهم في ديارهم، فشكوا ذلك إليه، فجعل النبي ﷺ يدخل دارًا دارًا، وبيتًا بيتًا، يدعو لهم بالعافية، فلما رجع تبعته امرأة منهم فقالت: والذي بعثك بالحق إني لمن الأنصار، وإن أبي لمن الأنصار، فادع الله لي كما دعوت للأنصار، قال: «**ما شئت، إن شئت دعوت الله أن يعافيك، وإن شئت صبرت ولك الجنة**» ، قالت: بل أصبر، ولا أجعل الجنة خطرًا.

وهذه امرأة أخرى ففي صحيحي البخاري و مسلم(٢) عن عطاء بن أبي رباح ، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ ، قالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك**» قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف فدعا لها».

نسأل الله أن يحفظنا من الفتن ويعصمنا من الزلل والمحن ، والحمد لله رب العالمين .

---

(١) الأدب المفرد برقم (٥٠٢) . وصححه شيخنا الوادعي رَحِمَهُ اللَّهُ ج٢(٢٢٦).
(٢) البخاري برقم (٥٦٥٢) ومسلم برقم (٢٥٧٦).

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيمًا لشانه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه أما بعد:

فيا أيها الناس ، يقول الله تعالى: ﴿ **فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ [المائدة :٤٨].

وقال ربنا جل شأنه عن بعض رسله : ﴿ **إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ** ﴾ [الأنبياء :٩٠].

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ** ﴾ [المؤمنون :٦١].

وقال رسول الله ﷺ : « **من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة** »[١] .

أيها المؤمنون: لماذا نحن معاشر المسلمين نمني أنفسنا بالأعمال الصالحة ولا نعمل؟ والله إنه لحري بنا أن نسلك طريق الطاعة ودرب الاستقامة، أما الأماني والتسويف وطول الأمل فكل هذا من خداع الشيطان ووعوده، قال تعالى: ﴿ **يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا** ﴾ [النساء :١٢٠] .

---

(١) مستدرك الحاكم ج٤(٣٠٨) وهو حسن بشواهده ، عن أُبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

إن المبادرة إلى الأعمال الصالحة وقاية بإذن الله للمؤمن من الفتن ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا**» [1] .

زاد أحمد : « **يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل** » [2] .

فلا إله إلا الله ما أشد غفلتنا ولا حول ولا قوة إلا بالله كم فرطنا وأهملنا من عمل صالح، حتى إذا جاء الموت لأحدنا انتبه وتصدق ، وأراد أن يعمل الخير في وقت لا يقبل فيه العمل ، ولذلك جاء عند البخاري ومسلم في صحيحيهما [3] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أي الصدقة أعظم أجرًا؟ قال: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم**»، **قلت لفلان كذا، ولفلان كذا وقد كان لفلان**» .

وصدق ربنا القائل في محكم التنزيل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون :٩ -١١]

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه، أو تجب عليه فيه زكاة، فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت. فقال رجل: يا ابن

(١) مسلم برقم (١١٨).
(٢) أحمد برقم (٨٠٣٠) .
(٣) البخاري برقم (٢٧٤٨) ومسلم برقم (١١٨).

عباس، اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار. فقال سأتلوا عليك بذلك قرآنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ٩ - ١].[١]

أيها المسلمون : لقد التهى المسلمون بالحياة الدنيا، وانشغلوا بشهواتها وملذاتها، وأصبحوا منهمكين فيها ليل نهار إلا من رحمه الله.

دع الحرص على الدنيا وفي العيش فلا تطمع

ولا تجمع من المال فلا تدري لمن تجمع

إخوة الإيمان والإسلام : ومن تأمل أحوال الصحابة رضي الله عنهم جميعًا وجدهم سبَّاقين إلى الخيرات، مبادرين إلى الطاعات، ومسارعين إلى الجنات، ففي يوم أحد يأتي رجل إلى النبي ﷺ فيقول: « **أرأيت إن قتلت فأين أنا؟** قال: «**في الجنة فألقى تمرات كن في يده، ثم قاتل حتى قُتل**»[٢].

وفي صحيح مسلم[٣] عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أخذ سيفًا يوم أُحد فقال: «**من يأخذ مني هذا؟**» فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا، قال: «**فمن يأخذه بحقه؟**» قال فأحجم القوم. فقال سماك ابن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال: فأخذه ففلق به هام المشركين».

إذًا أيها الإخوة، إن من توفيق الله للعبد المسلم أن أعطاه الله إمكانات يستطيع بها المسابقة إلى الخيرات إن استغلها لذلك، ففي صحيح البخاري[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال النبي ﷺ : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من**

---

(١) تفسير ابن كثير ج٤ (٣٧٣).
(٢) البخاري برقم (٤٠٤٦) و مسلم برقم (١٨٩٩).
(٣) مسلم برقم (٢٤٧٠).
(٤) البخاري برقم (٦٤١٢).

الناس: الصحة والفراغ» .

وعن ابن عباس، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك »** (١) .

يا لها من موعظة بليغة مؤثرة.

فالصحة يعرض لها المرض ، والوقت ينقضي ويزول ، والفراغ يمتلئ شغلًا فالواجب استغلال هذه الطاقات بالخير والطاعات.

قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع ... عسى أن يكون موتك بغتة

كم صحيح رأيت من غير سقم ... ذهبت نفسه الصحيحة فلتة

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ :

تمر بنا الأيام تترى ... نساق إلى الآجال والعين تنظر

فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى ... ولا زائل هذا المشيب المكدر

نسأل الله العلي القدير أن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين.

والحمد لله رب العالمين.

(١) الحاكم ج ٤ (٣٠٦) وانظر صحيح الجامع للألباني برقم (١٠٧٧).

(٤١) التوبة وسعة رحمة الله

الخُطْبَةُ الأُوْلَىٰ[١] :

إِنَّ الحَمْدَ للهِ،نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ،وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا،مَنْ يَهْدِه اللهُ فَلَا مُضلَّ لَهُ،وَمَنْ يُضْلِلِ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ،وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ،وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ :

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيث كتَابُ الله، وَأَحْسَنَ الْهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أيها الناس : حديثنا معكم بإذن الله جَلَّوَعَلَا في هذه الجمعة المباركة بعنوان التوبة وسعة رحمة الله.

عباد الله : لقد وصف الله المؤمنين بصفات جليلة ، وذكر أول صفة

من صفاتهم التوبة فقال جلت عظمته في كتابه العظيم: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وبين في موضع آخر من كتابه الكريم أن التوبة من صفات المتقين، فقال عز شأنه: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ**﴾ [آل عمر: ١٣٥].

والتوبة فرض على المؤمنين يقول سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿**وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١].

وقال عز شأنه في كتابه الكريم: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ**﴾ [التحريم: ٨].

وقال تعالى على لسان شعيب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ﴾ [هود: ٩٠].

وفي صحيح مسلم (١) عن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**».

فهذه الأدلة وغيرها تدل على أن التوبة إلى الله جَلَّ وَعَلَا واجبة على كل

---

(١) مسلم برقم (٢٧٠٢).

مسلم ومسلمة ، وأنها فرض عين على كل مكلف ، ولذلك أجمعت الأمة على وجوبها.

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الجامع لأحكام القرآن[١] ، واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على المؤمنين.

لقوله تعالى: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١].

وقال ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : الإجماع منعقد على وجوب التوبة.[٢]

والتوبة هي الرجوع إلى الله عما يكرهه الله ظاهرًا وباطنًا ، إلى ما يحبه الله ظاهراً و باطنًا[٣] وهي حقيقة دين الإسلام.[٤]

والتائب وصف له : يقال لباذل التوبة ولقابل التوبة ، فالعبد تائب إلى الله ، والله تائب على عبده ، والتواب العبد الكثير التوبة ،وذلك بتركه كل وقت بعض الذنوب على الترتيب حتى يصير تاركًا لجميعها.

وقد يقال لله عَزَّوَجَلَّ ذلك أي تواب وذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالًا بعد حال ، والمتاب في قوله تعالى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [الفرقان : ٧١]. يقصد به التوبة التامة ، وهي الجمع بين ترك القبيح وتحري الجميل[٥].

ومن رحمة الله جَلَّوَعَلَا بعباده أن فتح لهم باب التوبة ففي سُنن الترمذي

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٥(٩٠).
(٢) مختصر منهاج القاصدين ص(٢٥١)..
(٣) مختصر منهاج القاصدين ص(٢٥١)
(٤) مدارج السالكين ج١(٣٤٣).
(٥) نظرة النعيم ج٤(١٢١٦٩).

وغيره بسند صحيح[١].

عن صفوان بن عسال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله** عَزَّوَجَلَّ **جعل باباً ، بالمغرب مسيرة عرضه سبعين عاماً للتوبة ، لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله، وذلك قول الله** عَزَّوَجَلَّ ﴿ **هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ** ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وباب التوبة مفتوح كل وقت من ليل أو نهار للتائبين ، كما جاء ذلك في صحيح مسلم[٢] عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله** عَزَّوَجَلَّ **يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها**» .

أيها المؤمنون : إن التوبة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خير من الدنيا وما فيها ، قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ **فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾** ﴾ [التوبة : ٧٤] .

وهذا رسول الله يخبره ربه بأن يجعل لقومه الصفا ذهبًا ، أو يجعل لهم باب التوبة والرحمة ، فاختار نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم باب التوبة والرحمة وهذا من حرصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمته: ففي مُسند الإمام أحمد[٣] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قالت قريش للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهبًا، ونؤمن

(١) الترمذي برقم (٣٥٣٦) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ .
(٢) مسلم برقم (٢٧٥٩).
(٣) أحمد برقم (٢١٦٦) وسنده صحيح.

بك، قال: «**وتفعلون؟**» قالوا: نعم، قال: فدعا، فأتاه جبريل فقال: « **إن ربك يقرأ عليك السلام، ويقول: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهبًا، فمن كفر بعد ذلك منهم عذبته عذابًا لا أعذبه أحدًا من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال: بل باب التوبة والرحمة**» .

معاشر المؤمنين : إن التوبة ليست خاصة بالمذنب الجاني ، بل عامة في حق جميع المؤمنين الذين يريدون الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

قال مجاهد بن جبر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من لم يتب في كل صباح ومساء فهو من الظالمين لقوله تعالى:﴿ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[الحجرات :١١].

سعة رحمة الله عَزَّوَجَلَّ :

قال تعالى :﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الحجر : ٤٩] .

وقال تعالى : ﴿ قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ : هذه الآية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب منها ، ورجع عنها وإن كانت مهما كانت ، وإن كثرت مثل زبد البحر.....أهـ[١] .

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا من آيس عباد الله من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب الله[٢] .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٥٩).
(٢) تفسير ابن كثير ج٤(٦٠).

ﭐلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٤].

وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١١٠].

وقال تعالى في حق المنافقين: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٦].

وقال تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [غافر : ٣].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء : ٢٦ – ٢٧].

فانظر يا أخي المؤمن ؛ كيف كرر الله ذكر التوبة مرتين ، لأن العبد يتكرر منه الذنب.

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الأنفال : ٣٨].

يا من عدى ثم اعتدى ثم اقترف ثم انتهى ثم ارعوى ثم اعترف

أبشر بقول الله في آياته إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء : ١١٦].

أيها الإخوة ، لقد فتح الله جَلَّوَعَلَا باب التوبة والإنابة بعد كل كبيرة من الكبائر ، حتى لا يقنط أحد من رحمة الله وفضله ، وفي هذه الأمثلة التي سأتلوها على مسامعكم أكبر دليل على سعة رحمة الله جَلَّوَعَلَا وعفوه وكرمه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الفرقان : ٦٨ - ٧١].

وقال تعالى : ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمًا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمۡ أَنَّ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةَ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ [آل عمران : ٨٦ - ٨٩].

وثبت عند الإمام النسائي[١] عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم فأرسل إلى قومه: سلوا رسول الله ﷺ : هل لي من توبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلانا قد ندم، وإنه قد أمرنا أن نسألك: هل له من توبة؟ فنزلت ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمًا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ إلى قوله ﴿ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾ فأرسل إليه فأسلم .

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ

(١) النسائي ج٧ (١٠٧) وصححه شيخنا العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُٱللَّهُ في الصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين برقم (٥٩١).

جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [البروج : ١٠].

فتأمل قوله :﴿ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا ﴾ ، أي: لم يقلعوا عما فعلوا ، ويندموا على ما أسلفوا :﴿ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾ .

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : انظروا إلى هذا الكرم والجود ،قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة.(١)

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المائدة : ٣٣- ٣٤].

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾ [مريم : ٥٩ – ٦٠] .

فيا من ضيعت الصلوات ، وأقبلت على الشهوات ، اتق الله وأقبل على مولاك ، وتب إلى ربك من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال.

قدم لنفسك توبة مرجوة قبل الممات وقبل حبس الأنفس

بادر بها غلق النفوس فإنها ذخر وغنم للمنيب المحسن

وقَالَ تعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ

(١) تفسير ابن كثير ج٤(٤٩٧).

﴿ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾ [النور : ٤ –٥].

مع أن القذف من كبائر الذنوب فقد فتح الله لهم باب التوبة والإنابة.

وفي صحيح مسلم [(١)] عن عمران بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن امرأة من جهينة أتت نبي الله ﷺ وهي حبلى من الزنى، فقالت: يا نبي الله، أصبت حداً فأقمه عليَّ ، فدعا نبي الله ﷺ وليها، فقال: «**أحسن إليها، فإذا وضعت فأتني بها**»، ففعل، فأمر بها نبي الله ﷺ ، فشكت عليها ثيابها، ثم أمر بها فرجمت، ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟ فقال: «**لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟**» .

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن نبي الله ﷺ قال: « **كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة** »، **قال قتادة: فقال الحسن ذكر لنا، أنه لما أتاه الموت نأى**

(١) مسلم برقم (١٦٩٦).

بصدره»(١) .

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا ، لأتيتك بقرابها مغفرة**» (٢) .

فسبحان من يغفر الزلات ويقيل العثرات ، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

أيها المؤمنون : لقد دع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى النصارى إلى التوبة بعد مقالتهم الشنيعة كما أخبر الله عنهم يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[المائدة : ٧٣].

ثم حرضهم على التوبة فقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٧٤].

ولقد أخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: عن الملائكة أنهم يقولوا : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [غافر : ٧].

وقال ربنا جَلَّ وَعَلَا : ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ

(١) البخاري برقم (٣٤٧٠) ومسلم برقم (٢٧٦٦).
(٢) الترمذي برقم (٣٥٤٠) والصحيحة برقم (١٢٧) .

فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٥٦].

وقال عز شأنه في كتابه الكريم : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَٰحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰٓ ﴾ [النجم : ٣٢].

وفي صحيح مسلم [(١)] أن رسول الله ﷺ **قال : «يقول الله تعالى في الحديث القدسي : يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم »** .

فنسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يمن علينا بالقبول والتوبة النصوح ، وأن يتوفانا مسلمين.

والحمد لله رب العالمين.



---

(١) مسلم برقم (٢٥٧٧) عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الخُطبَةُ الثَّانِيَة :

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوبة شديد العقاب، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين .

أما بعد :

فإن التوبة إلى الله تعالى وظيفة العمر وبداية العبد ونهايته ، وأول منازل العبودية وأوسطها وآخرها ، فما أحوجنا إلى التوبة النصوح لا سيما وذنوبنا كثيرة وأخطاؤنا جسيمة، نذنب في الليل والنهار والله يستر العيوب ويغفر الذنوب ، فمن وفق للتوبة فقد وفق لخير الدنيا والآخرة ، وكما قال بعض السلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ : العبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية.

والتوبة - يا عباد الله - واجبة من كل ذنب ولها ثلاثة شروط:

الأول : الإقلاع عن المعصية.

الثاني : أن يندم على فعلها.

الثالث: أن يعزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فيزاد شرط رابع وهو أن يبرأ من حق صاحبها .

قال عليه الصلاة والسلام : «**من كانت عنده مظلمة لأخيه فإنه فليتحللها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن**

له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»[(١)].

أخي المسلم : لو رأيت التائب رأيت جفنًا مقروحًا ، تراه في الأسحار على باب الاعتذار مطروحًا، سمع قول الإله:﴿ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا ﴾، مطعمه يسير وحزنه كثير ومزعجه مثير ، وكأنه أسير قد أنحل بدنه الصيام، وأتعب بدنه القيام ، فبذل بدنًا وروحًا ، توبوا إلى الله توبة نصوحاً ، أين من يبكي جنايات الشباب التي بها قد اسود الكتاب ، أين من أتى الباب يجد الباب مفتوحًا ، توبوا إلى الله توبة نصوحًا.[(٢)]

أمة الإسلام : والتوبة إلى الله جَلَّ وَعَلَا لها فضائل كثيرة ، وفوائد متعددة ، فهي سبب للفلاح والفوز في الدنيا والآخرة ، قال ربنا سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ :﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [النور : ٣١].

وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ﴾ [القصص الآية ٦٧].

وهي سبب للمغفرة من الله للتائبين كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴾ [طه : ٨٢].

التوبة إلى الله رب العالمين سبب للمتاع الحسن ، ونزول الغيث وزيادة القوة والإمداد بالأموال والبنين ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴾ [هود : ٣].

وقال تعالى إخبارًا عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ :﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ

(١) البخاري برقم (٦٥٣٤).عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ
(٢) غالية المواعظ للألوسي ص(١١١).

﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح : ١٠ -١٢].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: على لسان هود عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ﴾ [هود : ٥٢] .

ومن فضائل التوبة أن الله عَزَّوَجَلَّ يحب التوابين كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢١].

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أكثر الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها فضلًا عن القيام بها ، علمًا وعملًا وحالًا ، ولم يجعل الله تعالى محبته للتوابين إلا وهم خواصه الخلق لديه (١) .

ومن فضائل لتوبة أن الله عَزَّوَجَلَّ يفرح بتوبة التائبين ففي صحيح مسلم(٢) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها - الخطام هو الحبل-، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح** » .

وهذا فرح عظيم من الله الرؤوف الرحيم بتوبة التائبين إليه ، الله أكبر، إن هذا الفرح لم يجئ في شيء من الطاعات سوى التوبة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فأين التائبون إلى الله المقبلون عليه بالذل والانكسار.

(١) مدارج السالكين ج١ (٣٤٣).
(٢) مسلم بقم (٢٧٤٧).

قال إبراهيم الكينعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ببابك عبد واقف متضرع مقل فقير سائل متطلع
حزين كئيب من جلالك مطرق ذليل عليل قلبه متقطع

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : بالفقر والافتقار والذل والانكسار تحيا قلوب العارفين.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فؤادي محزون ونومي مشرد ودمعي مسفوح وقلبي مروع[١]

عباد الله التوبة المقبولة لها علامات:

قال شقيق البلخي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : علامة التوبة البكاء على ما سلف ،والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء وملازمة الأخيار [٢] .

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ابن آدم ، ترك الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة ، ما يؤمنك أن تكون عملت كبيرة أغلق دونها باب التوبة ، فأنت في غير معمل [٣] .

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : من أراد التوبة فليخرج من المظالم ، وليدع مخالطة الناس وإلا لم ينل ما يريد [٤] .

وليحذر المسلم من الابتداع في دين الله ، فإن البدع سبب من الأسباب المانعة لقبول التوبة كما قال عليه الصلاة والسلام «إن الله احتجر التوبة

---

(١) البدر الطالع للإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ص(٢٦) وما بعدها.
(٢) سير أعلام النبلاء ج٩(٣١٥) .
(٣) سير أعلام النبلاء ج٤(٥٧٨).
(٤) سير أعلام النبلاء ج٧(٣٨٩).

على كل صاحب بدعة»[١].

ومعنى احتجر: أي منع.

وكذلك الإدمان على شرب الخمر ففي سُنن الترمذي[٢] عن عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال رسول الله ﷺ: «**من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاة أربعين صباحًا، فإن تاب لم يتب الله عليه، وسقاه من نهر الخبال**» قيل: يا أبا عبد الرحمن: وما نهر الخبال؟، قال: نهر من صديد أهل النار.

ولا تنسوا- يا إخوان - أن الإصرار على الذنوب ينافي التوبة الصادقة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالى في شأن من يعود لقتل الصيد وهو محرم: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ [المائدة: ٩٥].

وقَالَ تَعَالَىٰ: في أكلة الربا: ﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

هذا والله نسأله المزيد من فضله والعون على طاعته، اللهم تقبل توبتنا واغسل حوبتنا واغفر زلتنا يا أرحم الرحمين.

---

(١) الصحيحة برقم (١٦٢٠) وهو في المختارة للمقدسي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) الترمذي برقم (١٨٦٢) وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [الصافات : ١٨٠ -١٨٢].

اللهم إنا نسألك رحمة من عندك تهدي بها قلوبنا ، وتجمع بها شملنا ، وترد بها الفتن عنا ، وتحفظ بها غائبنا ، اللهم اجعلنا حربًا على أعدائك ، سلمًا لأوليائك ، نحب بحبك من أطاعك من خلق ، ونعادي بعداوتك من عاداك من خلقك ، اللهم إنا نسألك الفوز عند القضاء والنصر على الأعداء ، ومنا زل الشهداء ، ومرافقة الأنبياء ، اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء اللهم أصلح الراعي والرعية وأهد الأمة المحمدية يا أرحم الراحمين.



فهرس

